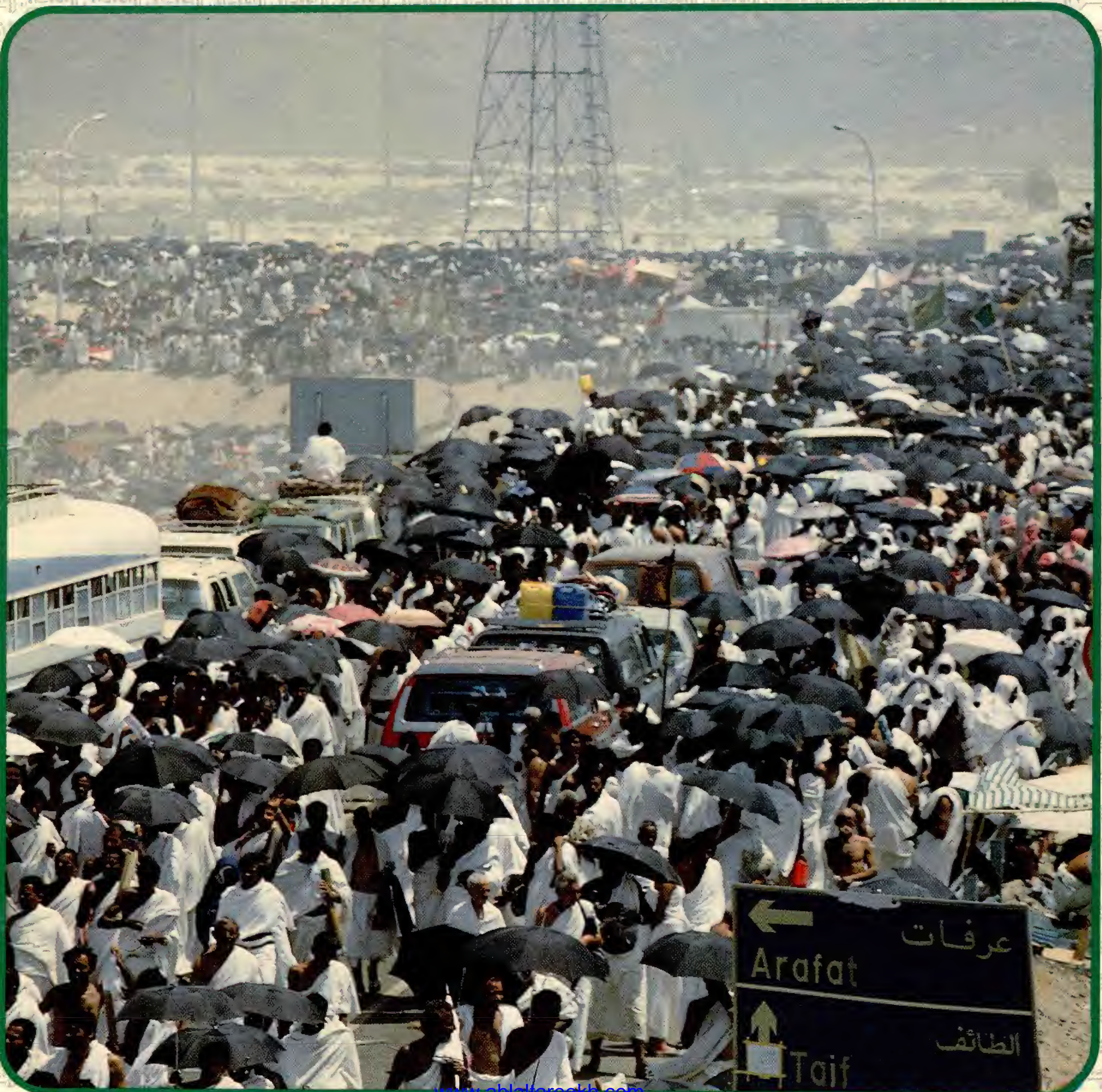
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 138 - 12TH YEAR - JUL/AUG. 1988.

العدد (١٣٨) ـ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ السنة الثانية عشرة ـ تموز (يوليو) ـ آب (أغسطس) ١٩٨٨ م





الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE • PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

العدد (١٣٨) ـ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ السنة الثانية عشرة ـ تموز (يوليو) ـ آب (أغسطس) ١٩٨٨ م ISSUE 138 - 12TH YEAR - JUL/AUG. 1988.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

• ALL CORRESPONDENCE TO :

AL-FAISAL MAGAZINE P.O.BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA
Tel. 4653026 - 4653027, Telex 402600 DRFATH SJ, Telefax : 4647851

• المـراسـلات :

مجلة « الفيصل » ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ تلكس ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ ـ فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

• EUROPE - AMERICA - ASIA :

Country			Country		
Belgium	BF	200	Pakistan	RS	15
Denmark	DKR	30	Portugal	ESQ	100
Finland	FMK	30	Spain	PTS	150
France	FF	15	Sweden	SKR	30
F.R.G.	DM	10	Switzerland	SF	6
Greece	DR	200	United Kingdom	£	2
Italy	L	4000	U.S.A.	$	5
Netherlands	DFL	10			
Norway	NKR	30			

• أسعار بيع النسخ في البلاد العربية :

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	مصـر	١٠٠ قرش
الكـويـت	٦٠٠ فلس	السـودان	١٠٠ قرش
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم	المغـرب	٥ دراهم
قطـر	٧ ريالات	تونـس	٥٠٠ مليم
البحـريـن	٦٠٠ فلس	الجزائر	١٠ دنانير
سلطنـة عمـان	٦٠٠ بسة	العـراق	٤٠٠ فلس
الأردن	٤٠٠ فلس	سـورية	٦ ليرات
ج. ع. اليمنية	٦ ريالات	ليبيـا	٨٠٠ درهم
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس		

• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES :

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

• أسعار الاشتـراكات السنويـة :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة « الفيصل »

في هذا العدد



• طالع استطلاعاً مصوراً عن المتحف القومي للفنون والعادات الشعبية في فرنسا .. ص (١٩)



• عن أطول أنهار العالم.. وأصل تسميته، واكتشافات منابعه، وروافده، ومشروعات الري على مجراه.. عن نهر النيل طالع ص (٦٧)



•لقاء مع الشاعر الدكتور حسن فتح الباب حول القصيدة، والمسرح الشعري، والسيرة الإبداعية.. وغيرها.. طالع ص (٤٣)



عن مرض «الكواشيوركور».. أو «وجه القمر».. الذي يصيب الأطفال، وطرق علاجه طالع ص (٨٢)



عن الأقليات الإسلامية في العالم .. وحملات التنصير في بعض الدول الإسلامية .. طالع ص (٨٧)

من كتاب هذا العدد



رمضان عبد المقصود أبو غالية

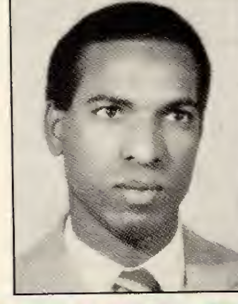
● تخرج في كلية اللغة العربية .. جامعة الأزهر عام ١٩٦٤م .

● يعمل حالياً وكيلاً بالمدارس الثانوية .

● نشر شعره في الصحف والمجلات .

● من جماعة رواد « قصر ثقافة قويسنا » بمصر .

● « له مجموعة من القصائد الشعرية .. منها تحت الطبع « عيون المشاعر » ، و« حروف في أبجدية الفداء » ، و« معاناة مواطن عادي » .



أحمد طاهر إمبابي

● من مواليد « رأس سدر » سيناء - مصر عام ١٩٥٥م .

● ماجستير الهندسة الزراعية (قسم الزراعة) .

● عمل معيداً في كلية الزراعة بجامعة القاهرة - الفيوم .

● يعمل حالياً مدرساً مساعداً بكلية الزراعة — الجامعة نفسها .

● يجيد اللغة الإنجليزية .

● شارك في بعض المؤتمرات الزراعية في مصر .

● من أعماله « دراسة نظم مختلفة لميكنة إنتاج محصول القمح » رسالة ماجستير .

● عضو الجمعية المصرية للهندسة الزراعية منذ عام ١٩٨٢م .

● عضو نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة منذ عام ١٩٧٩م .



جمال محمود محمد دغيدي

● من مواليد « أشمون » - منوفية — مصر عام ١٩٦٠م .

● بكالوريوس طب وجراحة .

● يجيد الإنجليزية وشيئاً من الفرنسية .

● عمل طبيباً .. ويعمل حالياً طبيباً بمستشفيات جامعة الاسكندرية .

● شارك في بعض المؤتمرات الشعرية والفنون والآداب .

● له ديوان شعر مطبوع بعنوان « اللقاء » .. وله مجموعة شعرية تحت الطبع .

● حاصل على المركز الأول في الشعر الفصيح عام ٨٣ و١٩٨٥م ، وحصل على المركز الأول في شعر الزجل (العامي) عام ١٩٨٤م .

● حصل على جائزة الشعر في مسابقة هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

● يكتب المقالة ، وكتابة المقالات الطبية والعلمية .



محمد أحمد حسن الخولي

● من مواليد أسوان - أدفو - مصر عام ١٩٦٠م .

● ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية — دبلوم الدراسات العليا في العلوم الشرعية ، ويحضر للحصول على الماجستير في علم الحديث .

● يجيد الإنجليزية .

● عمل مدرساً للغة العربية بالقاهرة ، كما عمل باحثاً بالمركز العربي للبحوث العربية والإسلامية بالقاهرة أيضاً .

● يعمل حالياً مصححاً بشركة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض .

● له مجموعة أبحاث جامعية .. وله تحقيق رسالة في بر الوالدين لابن القيم (لم تنشر) ، وكذلك دراسة لكتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية .

شعر الحرب في أدبنا المعاصر

بقلم: د. وليد قصاب

لم تواجه أمتنا الإسلامية والعربية في أثناء تاريخها الطويل أظلم من هذه الحقبة أو أخطر منها ، ولم يكن كيانها في يوم من الأيام أكثر تعرضاً للاندثار منه في هذه المرحلة . وعندما تواجه أية أمة من الأمم هذا الذي نواجهه يصبح تجنيد جميع الأسلحة التي تملكها ــ مادية ومعنوية ـ واجباً مقدساً لا يُعفَى أحد منه ، لمواجهة الغزو ، ورد الهجمة ، والنهوض من الكبوة مرة أخرى .

والحديث عن سلاح الكلمة ، وهو سلاح ما يزال مؤثراً فعّالا ، لم تزحزحه عن مكانته الأسلحة المادية الفتّاكة التي اخترعها البشر ، وما يزال العالم كله يستخدم هذا السلاح اليوم على مدى واسع قد يفوق أحياناً استخدامه للأسلحة الأخرى المنظورة ؛ فلا شيء يعدل الكلمة الصادقة الشريفة في تأثيرها ، وفي خصب موقعها . لقد قاتلت الكلمة جنباً إلى جنب مع البندقية في **الحرب العالمية الثانية** ، وكتب أدباء الغرب في تلك الحرب أدباً رائعاً ، فكان دوي الكلمات والأشعار ، وأناشيد الحماسة والكفاح ، لا يقل عن دوي القنابل المدمرة التي كانت تتساقط في كل مكان ، وكان لكل شعب أدبه الحربي الخاص به ، المعبّر عن آماله وأحلامه . كانت الكلمة تصوغ وجدان المقاتلين ، وتبني نفوسهم ، وتؤسس فيها عقيدة معينة تحملهم على الموت ، وتدفعهم إلى القتال . وليس أدل على تأثير الكلمة مما قاله **ستالين** عام ١٩٤٦ م ، في خطاب تحدث فيه عن نتائج الحرب ؛ فقد ذكر فيه الكاتب الروسي **أهرنبورغ** ، وما كان لأدبه من دور في المعركة ، فقال : « إن الكاتب إيليا أهرنبورغ أسهم إسهاماً كبيراً في ربح الحرب وسحق العدو . . » .

في معركة فلسطين

يحفل الأدب العربي الحديث بنماذج لا حصر لها من شعر الحرب وأدب المعركة ، ويدور أغلب ذلك ــ إن لم نقل كله ــ حول معركة العرب الرئيسية الكبرى مع اليهود ، متمثلة في **قضية فلسطين** : جرح الأمة الدامي ، وهمها السرمدي ؛ فهي أخطر معركة واجهتها منذ وجودها وإلى هذا التاريخ .

لقد وقف الأدب العربي الحديث ــ بكل فنونه وأشكاله ــ يتحدث عن هذه المعركة الكبرى ، ويشارك فيها ، ويسجل أحداثها ، ولم تفته مرحلة من مراحلها الطويلة ، أو حلقة من حلقاتها المفجعة المؤلمة ، وبين أيدينا اليوم ، ثروة ضخمة من أدب المعركة الذي كتب حول قضية فلسطين .

ولكن المؤسف حقا ــ كما لاحظ عدد من الدارسين ــ ألا تكون هذه الثروة الأدبية الضخمة بحجم القضية ، وأن يكون ضعف تمثل تجربة المعركة تمثلاً حقيقياً واضحاً في أكثر ما كُتب ؛ ففي طور المعركة الأول الذي سبق وقوع النكبة ، وحينما كان الصراع على أشده بين العرب




★ إبراهيم طوقان ★


★ علي محمود طه ★

الفلسطينيين وبين اليهود والإنجليز داخل حدود فلسطين لم يستطع هذا الأدب أن يتحسس المستقبل ، أو أن يستبق الأحداث ويرهص بها ، فتكون لها بصيرة تخترق الحجب ، ليهيئ الأفكار ، وينبّه الغافلين ، ويعد الأمة لما أريد بها ، ولما دبّر لها ، وكانت تجري الأحداث متلاحقة رهيبة ، والرأي العام غير مطلع على حقيقة ما يجري ، غير مدرك من هم اليهود ؟ ومن هم الإنجليز؟ وما مخططاتهم في فلسطين وغيرها من بلاد العرب والمسلمين ؟ ولو عبّأ الأدب ، أو غيره من وسائل الفكر والدعاية ، الأمة تعبئة كاملة ، أو أعد ضميرها الإعداد الصحيح لما وقع ما وقع من مهازل وانتكاسات في حرب فلسطين لا تخفى على أحد . ولكن الإنصاف يقتضينا أن نذكر أن بعض الأدباء قد تنبهوا — في هذا الطور — إلى خطورة الموقف ، فراحوا يحذرون القوم ، ويدعون إلى القوة والمقاومة ، وترك التخاذل ، ولمّ الشعث ، ومن أبرز شعراء هذه الفترة **إبراهيم طوقان** الذي راح يشحذ الهمم ، وينفخ روح المقاومة في النفوس ، كقصيدته التي نظمها عام (١٩٢٨ م) ، يدعو فيها إلى البذل ، ونبذ التفجّع والحزن اللذين لم يعودا يجديان في عصر القوة ، كقوله :

كفكفْ دموعَكَ ليس ينفعك البكاءُ ولا العويلُ
وانهض ولا تشكُ الزما نَ فما شكا إلا الكسولُ
واسلك بهمتك السبيل ولا تقل كيف السبيلُ ؟

★★★

أفنيتَ يا مسكين عمرك بالتأوه والحزنْ
وطنٌ يباعُ ويُشترى وتصيح فليحيا الوطنْ

لو كنت تبغي خيره لبذلت من دمك الثمنْ
ولَقُمْتَ تضمِدُ جرحه لو كنتَ من أهلِ الفِطنْ

وتوالت قصائد طوقان في دور المعركة الأول . ندّد بوعد **بلفور** ، وحذر من هجرة اليهود ، ومجّد الأرض ، ودعا إلى التمسك بها ، وسخر من تهاون زعماء البلاد وقادتهم ، وقرّعهم ساخراً في أكثر من قصيدة ، ومضى يبث روح التضحية والشهادة في النفوس . وقصيدتاه (**الفدائي**) و (**الشهيد**) مشهورتان في هذا الباب .

كما يهدر صوت الشاعر المصري **علي محمود طه** في هذه المرحلة داعياً إلى حمل السلاح ، وخوض غمار الحرب ، فليس غيرها من طريق لرد الظلم ، ودفع الأذى ، يقول :

أخي جاوز الظالمون المدى فحقَّ الجهادُ وحقَّ الفدى
أنتركهم يغصبون العروبة مجد الأبوّة والسؤددا
وليسوا بغير صليلِ السيوفِ يجيبون صوتاً لنا أو صدى
فجرِّد حسامك من غمده فليس له بعدُ أن يُغمدا

وهكذا وجدت أصوات شعرية كثيرة ، أتينا على نماذج منها ، صوّرت معركة فلسطين في دورها الأول ، فدعت إلى الحرب ، وتعبئة القوى والجهود ، ولكن هذا الشعر — في مجمله — لم يصوّر روح المعركة الحقيقية ، ولم يكن على مستوى الخطر الزاحف وحجمه ، بل كان أكثره موغلاً في العاطفية ، أو يقف على السطح من القضية ، ولم يستطع أن يصوّر جوهر الصراع العقيدي الفكري بيننا وبين اليهود ومن ورائهم الصليبية العالمية الحاقدة .

وما إن وقعت الكارثة ، وحُمَّ القضاء حتى نهض الأدب بنصيب وافر من الحديث عن المعركة ، وتفتق عن ثروة أدبية لم يسبق لمعركة من معارك هذه الأمة أن حظيت بمثلها . وقد صار الأديب في هذا الدور أكثر تعلقاً بالأحداث ، وتصويراً لها ، وقد استطاع أن يعرض لنا صوراً كثيرة مؤثرة من مشاهد النكبة ، نافذاً إلى النفس العربية ، معبِّراً عما اعتورها من حزن ، ويأس ، وقلق ، ونقمة ، وتشاؤم . وكان الشعر هو اللون الغالب



في أدب المعركة دائماً ، وقد كاد ألا يدع جانباً من جوانب المعركة إلا صوّره . ذكر الشعراء الديار ، ومعاهد الصبا ، ورسموا مشاهد مؤلمة للمأساة ، وشرحوا أهوالها ، وبيّنوا ما يعانيه اللاجئون الفلسطينيون من مآس وتشرد وألم ، ومضوا يحضّون على الأخذ بالثأر ، وتدمير إسرائيل ، لاسترجاع الأرض ، وإعادة المقدّسات ، وذكّروا بأمجاد المسلمين السابقة ، وأنهم كانوا لا ينامون على ضيم ، ولا يسكتون على ذل في حين استنام هذا الجيل ، واستمرأ العار ، ورضي بالدنية . يقول **عمر أبو ريشة** مصوّراً حال الأمة ، وما آلت إليه من خور وضعف :

أمتي هل لك بين الأمم ... منبرٌ للسيف أم للقلم
أتلقَّاك وطرفي مُطْرِقٌ ... خجلاً من بقايا أمسك المنصرم
ألإسرائيل تعلو رايةٌ ... في حِمَى القدس وظل الحرم
كيف أغضيتِ على الذلِّ ولم ... تنفضين عنك غُبار التُّهمِ
أما كنت إذا البغيُ اعتدى ... موجةً من لهبٍ أو من دَمِ

ثم يلتفت إلى الجندي العربي المقاتل ليرى فيه وحده الأمل والرجاء وسبيل الخلاص :

أيها الجندي يا كبش الفدا ... يا شعاع الأمل المبتسمِ
ما عرفت البخل بالروح إذا ... طلبتها غصص المجد الظمي
بورك الجرح الذي تحمله ... شرفاً تحت ظلال العلم

ويدعو الشاعر السعودي **محمد علي السنوسي** إلى المعركة والجهاد ، وإلى أن تتفجّر الأرض غضباً مما يحدث :

هزوا الجزيرة من أركانها حردا
وأشعلوا الشرق من أقطاره غضبا
إن الحياة جهادٌ والجدير بها
من غالب العاصفات الهُوْجَ والنُّوَبَا
فإن من أحكم الأقوال تجربةً
أُعدتِ الراحةُ الكبرى لمن تعِبَا

وقد شارك الشعراء العرب في كل مكان بالحديث عن معركة العرب الكبرى ، وحربهم الشرسة مع اليهود وأعوانهم من الصليبية العالمية ، لم يكد يتخلف شاعر عربي في أي مكان عن المشاركة في هذه المعركة ، فقد كانت المصيبة فادحة ، والخطب جللاً . وراح الأدب يحاول أن يلعب دوره ، فنبّه الغافلين ، ومجّد البطولة والفداء ، وحذر من الأعداء ، وسخر من روح الضعف والاستكانة .

ولكن الأدب ـ في رأينا ـ لم يبلغ حجم المعركة ، والثروة الضخمة التي بين أيدينا هي دون هذه القضية المصيرية بأبعادها السياسية والفكرية والإنسانية الخطيرة ، وهي تفتقر ـ في الكثير منها ـ إلى الرؤية العميقة التي تتجاوز الانفعال ، أو تتجاوز الحزن القاتم ، والأسى المؤلم لتتحول إلى فعل مؤثر ذي بال ، يحشد النفوس ، ويعبئها التعبئة الحقيقية .

شعر الحرب في أدبنا المعاصر


★ عمر أبو ريشة ★


★ محمد علي السنوسي ★

القديم والحديث

قد يحملنا هذا على عقد موازنة سريعة بين شعر الحرب في أدبنا القديم وشعر الحرب في أدبنا الحديث ، وقد يكون من أول ما يلفت النظر في هذه الموازنة أن أدب الحرب لا يحتل في تراثنا العربي الحديث ـ بصورة عامة ـ ما كان يحتله من مكانة وتأثير في تراثنا القديم ، على الرغم من وجوده ذلك الوجود الواسع العريض الذي تحدثنا عنه ، إلا أن تأثيره في معركة الأمة الحالية لا يعدل تأثيره القديم ؛ لقد رأينا الكلمة تثير الحماسة ، وتبعث الشجن ، وتحمل على الفعل ، فكانت أحياناً تشعل الحرب أو تمنعها ، وكانت استجابة العربي لها لا تعدلها استجابة ، وكان وقعها عليه كوقع الحسام : « **وجرحُ اللسانِ كجرحِ اليد** » .

وقد يكون من وراء ذلك مجموعة من الأسباب يمكن إيجازها فيما يأتي :

(١) يشكك بعضهم أصلاً في دور الكلمة في الحرب ، ويرى أنه لم يعد لها تأثير في عصر القوة ، عصر العلم والتكنولوجيا والأسلحة الفتاكة المتقدمة ، وما أظن بعضنا إلا يتذكر تلك الرسالة العاطفية التي وجّهها **توفيق الحكيم** إلى وزير الثقافة في أعقاب حرب رمضان (سنة ١٩٧٣ م) ، يطلب فيها أن تهيئ له حكومته عملاً يدوياً يناسب سنّه ، ويشارك من خلاله في معركة الشرف ، بدلا من صناعة الكلمة التي لا مكان لها في ساحة القتال ، وما أدري إن كان الحكيم قد عبّر في هذه الرسالة عن فقدان الكلمة لدورها في الحرب ، وأنه لا مكان لها في ساحة القتال ، أو كانت تعبيراً انفعالياً عاطفياً عن دهشته أمام هذه الحرب التي كدنا نيأس من بدئها ، وما حققه الجندي العربي فيها من بسالة وفداء ؟

ومهما يكن من أمر فإن الذي لا شك فيه أن الكلمة لم تفقد دورها في التأثير ، ولا يمكن أن تفقده أبداً ، فالكلمة دائماً هي المحرّض والباعث على الفعل ، ولكن تأثيرها يتلاشى ويموت عندما تفقد الحرارة والصدق ، فتتحول إلى شعارات جوفاء ، ودعاية فارغة تافهة . وأما الكلمة الطيبة الخيرة فإنها لا تموت ولا يموت تأثيرها أبد الدهر . **قال تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة**




★ ستالين ★ ★ توفيق الحكيم ★

خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، الآيات ٢٤ ـ ٢٦).

والكلمة ليست مناقضة للفعل، وليست إياه بطبيعة الحال، وإنما هي حاملة عليه، ودافعة إليه. وفي عصر العلم والتكنولوجيا هذا لم تفقد الكلمة تأثيرها في أي ميدان من الميادين، بل ما تزال تستخدمها جميع المدارس والأحزاب والاتجاهات الفكرية والسياسية للحرب والدعاية والإعلان، أو بتعبير أبسط، لنشر السياسة التي تعتبر الحرب امتداداً لها بوسائل أخرى، وشكلاً مختلفاً من أشكالها. إن جميع المدارس والاتجاهات الفكرية والسياسية المختلفة تجنِّد اليوم الكلمة للترويج لأفكارها، ونشر آرائها وعقائدها، إيماناً بخطر الكلمة وعظيم دورها.

(٢) ويرى بعضهم في الحديث عن هذه الظاهرة أن أدباءنا العرب المعاصرين ليسوا مقاتلين كما كان أديبنا العربي القديم، ولعل واحداً منهم لم يخض معركة، أو يصطل بنار حرب، فصلتهم بالمعركة ليست في عمق صلة أديبنا القديم، الذي كان في أغلب حالاته فارساً مقاتلاً، وقد عبّر عن هذا الموقف ذات مرة **نزار قباني** في إدانة للأدباء المعاصرين، فقال: «نحن هاربون من الجندية، وكل أدبائنا يصطنعون المرض، ويقدمون التقارير الطبية، ويتفرجون على المعركة من الطابق العاشر، من شققهم المكيّفة بالهواء، والمفروشة (بالموكيت)... نحن لا نعرف شكل الموت إلا في السينما، ولا نعرف اللون الأحمر إلا في معارض الرسم. أما الموت الحقيقي، والدم الحقيقي الذي يسقي كل ذرة رمل في صحراء **سيناء** ومرتفعات **الجولان** فنحن نركّبه تركيباً كيميائياً في مختبرات خيالنا... إن مئات المراسلين الصحفيين ماتوا في الحروب بحثاً عن خبر جديد، أو لقطة فوتوغرافية نادرة، ولكننا لم نسمع أن شاعراً أو كاتباً عربياً واحداً مات وهو يبحث عن لقطة شعرية أو روائية نادرة...».

وعلى الرغم من أنه ليست من مهمة الأديب أن يقاتل أو يحمل السلاح كما يفعل أصحاب الحرب المتخصصون، وإنما مهمته أن يصوغ وجدان المقاتلين، وأن يجسّد عقيدة الحرب التي يقاتلون من أجلها، إلا أن النهوض بهذه المهمة العظيمة تقتضيه أن يتمثل أبعاد التجربة تمثلاً عميقاً، وأن يعايش ظروف المعركة معايشة صدق وحرارة، فقد روي مثلاً أن الكاتب الروسي **تولستوي** قد قام بزيارة ميدان **(بورودينو)** الذي دارت فيه رحى المعركة الشهيرة بين الجيشين الروسي والفرنسي أكثر من مرة قبل الشروع بكتابة روايته الشهيرة **(الحرب والسلام)** وشوهدت لديه مخطوطات المعركة، وتوزع الجيوش.. ولكن كثيراً من أدبائنا العرب المعاصرين تنقصهم هذه الخبرة بشؤون الحرب، وأمور المعركة، **وبذلك يفترق أديبنا المعاصر عن أديبنا القديم الذي كان ـ كما ذكرنا ـ في أغلب المواقف، فارساً ومقاتلاً وبطلاً، وكان ينشد شعره وهو في أتون الحرب، يخوض غمارها، ويصطلي حرّها، فلا غرو أن يكون أكثر قدرة على تصويرها، والنفاذ إلى أعماقها.**

(٣) وثمة أمر آخر يسوقه المهتمون بهذه الظاهرة، وهو أن معارك العرب الحالية ليست بحجم قضيتهم، وكثير من المعارك التي خاضوها في تاريخهم المعاصر كانت حروباً مصطنعة مزيفة، أفقدت أدباءنا الثقة بها، والانفعال معها انفعالا حقيقياً صادقاً، وبالتالي القدرة على تصويرها تصويراً عميقاً صادقاً، وأين معاركهم الحالية من أيام **القادسية واليرموك** أو **عين جالوت وحطين** وغيرها من معارك العزة والفخار؟ وقد يعبّر عن هذا الموقف قول الشاعر العربي القديم مصوّراً عجز لسانه عن تصوير معارك قومه:

فلو أن قومي أنطقتني رماحُهم
نطقتُ، ولكن الرماحَ أجرَّتِ

كما كان للهزائم المتكررة التي مُنِيَ بها العرب في تاريخهم المعاصر، والنكسات المتلاحقة التي أصابتهم في معاركهم التي خاضوها مع العدو أثر عميق في صبغ شعر الحرب عندهم بصبغة معينة؛ فقد غلبت على هذا الشعر مسحة الأسى والندب، ونغمة البكاء والتفجع والحزن، فصار ـ في كثير من الحالات ـ لوناً من ألوان النواح، وراح يجتر معارك الماضي، ويتحدث عنها، ويسهب في تصويرها، ولعله يجد في هذا الضرب من الحديث تعويضاً لما يلقاه في حروب قومه الحالية من خواء وانكسار.

دور الأدب

إن أشرف مهمة يؤديها الأدب في الحرب هي البناء النفسي السليم للإنسان المقاتل، وصياغة وجدان الجندي صياغة صحيحة متينة، وذلك هو الذي يكفل له التأثير والامتداد وبلوغ النفس، ولكن أدب الحرب إذا اشتغل بالدعاية السياسية ورفع الشعارات الهجينة فقد تأثيره ولم يَعْدُ شفاه قائليه. إن كثيراً مما يسمى شعر المقاومة في أدبنا المعاصر هجين الروح والأسلوب، لا يمت إلى ضمير الأمة أو وجدان مقاتلنا العربي المسلم من قريب أو بعيد. **إننا في هذا الوقت العصيب محتاجون إلى أدب حرب يبث في نفوس جنودنا روح الإيمان واليقين بشرف المعركة التي يخوضونها وقدسيتها وجلالها، ويبعث فيهم شعلة الأمل والتفاؤل**، ويمتّن روحهم المعنوية، فيعلِّمهم الثبات والصمود، والإصرار والعزم. ومن ثمّ كان من أعجب العجب أن نجد بعضاً ممن يسمون أنفسهم بشعراء المقاومة،

شعر الحرب في أدبنا المعاصر



★ نزار قباني ★



★ تولستوي ★

أو الشعراء الثوريين يتحدثون عن روح نضال لا تنبع من وجدان هذه الأمة ، ولا تعبِّر عن ضمير مقاتلنا العربي المسلم ، وإنما أغلبه شعارات جوفاء تخدم أغراضاً سياسية معينة أكثر مما تخدم قضية الأمة الكبرى ، بل إن كثيراً من هذه الأشعار قد مسخ القضية المصيرية ؛ فتحولت فلسطين إلى قضية قومية عند بعضهم ، وإلى وطنية عند بعض آخر ، وتقزمت في سطحية من التعبير وتفاهة في المضمون عند بعض ثالث ؛ فإذا فلسطين ـ التي يطلب مقاتلنا أن يموت من أجلها ـ هي أرض البرتقال والزيتون ، وبيادر القمح الخصيب ، والغلال المثمرة ، ومربع الصبا والطفولة والذكريات والحبّ .

ومن الواضح أن مثل هذا المضمون الذي يدور حوله أغلب ما يسمى بشعر القضية لا يربي في نفوس المقاتلين روح الإيمان الحقيقي بجلال المعركة التي يخوضونها ، فيحملهم حملاً على شرف الموت من أجلها . **إن فلسطين ، التي يُستعذب الموت في سبيلها ، هي قبلة المسلمين الأولى التي توجهوا إليها في صلاتهم ستة عشر شهراً قبل أن يولّوا وجوههم قِبَل مكة المكرمة ، ومسجدها الأقصى أحد ثلاثة مساجد يشد إليها المسلمون الرحال حيثما كانوا ، والصلاة فيه بألف صلاة كما أخبر بذلك كله المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومهبط الملائكة ، وأرض المحشر والمنشر ، ومسكن المؤمنين كما ذكر المفسرون في قوله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾** (سورة الإسراء ، الآية ١) .

إن عقيدة الحرب المتينة التي ينبغي أن يرسخها الأدب في نفوس المقاتلين هي أن يقاتلوا في سبيل الله ، لإعلاء كلمته ، والدفاع عن دينه ، وإذا سيطر هذا الشعور على نفس الجندي صار كالجبل الأشم ، والصخرة الراسخة ، وغدا الجهاد محبباً إلى نفسه ، والموت شرفاً يحظى به ، على نحو قوله تعالى **﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾** (سورة التوبة ، الآية ١١١) .

لقد آن لأدبنا أن يواجه المعركة الحقيقية ، لا المعركة المزورة المزيفة التي يصطنعها أصحاب الشعارات ، وأن يهبط إلى الناس يخاطبهم بلغة يفهمونها ، بلغة صادقة معبرة بعيداً عن الضباب والطلاسم ، وأن يصوّر لهم همومهم ومعاناتهم بأمانة وموضوعية ، لا همـوم الآخـرين وقلقهم وشذوذهم وهربهم . إن من أعجب العجب أن يصطنع بعض الأدباء مشكلات الآخرين من قلق وتشرد وهجرة وإباحية وإلحاد في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى قبسة الأمل والرجاء ، وشعلة التفاؤل والإشراق ، وإلى بث العزيمة ، وحشد الحماسة ، وتمتين روح الإيمان واليقين في النفوس .

إن أدباءنا جميعاً مدعوّون إلى الجهاد بالكلمة الصادقة المؤمنة الخيّرة النبيلة جنباً إلى جنب مع الجنود والمقاتلين ، وأن يكونوا جميعاً مجندين لهذه الغاية المقدسة الشريفة ؛ فلا يغتفر لصاحب كلمة يرى أمته محاصرة مهددة توشك أن تحتضر ، ثم يشتغل بالحديث عن مسائل الجنس والنساء والحب والغناء وغير ذلك من سفاسف الأمور وتوافهها ، وإذا كانت الكلمة في أصلها أمانة ومسؤولية ، فإن الذي لا شك فيه أن هذه المسؤولية تبلغ أعلى مستوى لها في زمن الحرب ، ففي هذا الوقت يكون البناء النفسي السليم للأمة عامة ، والجندي المقاتل خاصة ، أشرف مهمة تمارسها الكلمة .

الأدب الصهيوني

لقد حشدت إسرائيل الكلمة لصالحها ، وجنَّدت لها كتّاباً وفنانين من داخل البلاد وخارجها طوال عقود من الزمن ، فكان أن صاغت وجدان الإنسان الإسرائيلي صياغة دينية توراتية مستمدة من تعاليم التوراة المزعومة التي يدّعون التمسك بها ، علمته أن فلسطين أرض مقدسة ، أرض الميعاد ، التي بارك الله فيها ، ووهبها لبني إسرائيل ، الذين جعلهم شعبه المختار ، وفضّلهم على العالمين ، وجعل شعوب الأرض الأخرى أميين رعاعاً ينبغي ذبحهم ، ولذلك يصرخ الشاعر اليهودي (**رافي دان**) في المقاتلين اليهود قائلاً :

صوّبوا بنادقكم نحو الشرق

بل إن بيجن ـ رئيس وزراء العدو الأسبق ـ قال ذات مرة في إحدى خطبه : « إن الله قد فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق ، فلا يجوز لأحد (دينياً) أن ينازعنا فيها . . » .

ولتحقيق هذه العقيدة الدينية التي يؤمن اليهود بها كانت الحرب شعارهم الدائم . يقول بيجن في كتابه (**الثورة**) : « **إن العالم يشعر بالعطف على الذين يذبحون ، ولكنه لا يحترم سوى أولئك الذين يحاربون** » . ويقول أيضاً في الكتاب نفسه : « **نحن نحارب ، إذن نحن موجودون** » .

وهكذا تبدو صياغة وجدان المقاتلين صياغة نفسية صحيحة نابعة من عقيدة أمتهم وفكرها ومبادئها الأصيلة ، وتبصيرهم بحقيقة المعركة التي يخوضونها مع عدوهم أشرف مهمة يمارسها أدب الحرب الراقي النبيل .

...يت يعود تاريخ بناءه لعهد العثمانيين ★



★ مدخل حارة الحدادين ★

السلط

مركز ولاية البلقاء في الأردن

لا نبالغ إذا قلنا أن مدينة السلط هي المدينة الأردنية الثالثة من حيث الأهمية بعد عمان والكرك، وهي مركز محافظة البلقاء التي تمتد الى الغرب من محافظة عمان، وتغطي المساحة الواقعة ما بين محافظة الكرك جنوبا ومحافظة أربد في الشمال، مشتملة على منطقة غور الأردن الذي يعد الممول الرئيسي للأردن بالخضار والفواكه طوال أيام السنة وهو أكثر مناطق العالم انخفاضا بحيث يزيد في بعض المواقع عن ... م تحت سطح البحر وفيها يقع الساحل الشرقي من البحر الميت الغني بالمعادن والمنجنيز والأملاح. وكان التفكير عند انشاء إمارة شرق الأردن (١٩٢١ م) يتجه لاتخاذها عاصمة للامارة، إلا أن الاختيار وقع على عمان فيما بعد لموقعها المتوسط من البلاد

التاريخ القديم

ولا نجد لمدينة السلط ذكراً في كتب التاريخ الإسلامي قبل القرن الثامن الهجري فأول من ذكرها بهذا الاسم هو **الشيخ شمس الدين ـ أبو عبد الله ـ محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي** (شيخ الربوة) المتوفى سنة ٧٢٧هـ. وذلك في كتابه « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » . وقبل ذلك كان يطلق عليها **(الصلت)** وقد عرفها الصليبيون بهذا الاسم كما عرفها به المماليك وقبلهم الأيوبيون . ويبدو أنها عرفت قبل ذلك بهذ الاسم الذي يقال بأنه محرّف عن الكلمة اللاتينية (الرومانية) Saltus التي تعني الوادي المشجرّ ، أو الجبال المقطوعة . وسواء صح المعنى الأول أو الثاني فإنه ينطبق على مدينة السلط ، فهي تقع وسط منطقة مشجرة وعلى سفوح سلسلة من الجبال التي تشكل حذوة حصان فتحتها متجهة إلى الشرق .

بين عصرين

ويبدو أن منطقة البلقاء بعامة (السلط بوجه خاص) كانت مأهولة بالسكان منذ أقدم الأزمنة فقد تم العثور في سنة ١٩٨٤ م على مجموعة من القطع الأثرية الفخارية والبرونزية والنحاسية التي تعود إلى حوالي ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، وقد تمكّن علماء الآثار بعد تفحص هذه المجموعة وما كان عثر عليه في الحفريات من قطع أخرى ، تمكنوا من تكوين فكرة عن تاريخ هذه المدينة في العصرين **الحجري القديم والوسيط** . فالإنسان في هذه المنطقة كان يعيش على الصيد ويأوى إلى الكهوف ويصنع الأسلحة من سكاكين وحراب من الحجارة . ومن المؤكد أن خصب المدينة وتوفر المياه واعتدال الهواء ورقته ساعدا الإنسان على التحول من حرفة الصيد التي تتطلب التجوال المستمر إلى حرفة أخرى أكثر استقراراً وهي الفلاحة . وقد عرف إنسان السلط البدائي الزراعة منذ فترة مبكرة . وانتقل من الكهوف والمغاور التي ما تزال باقية إلى الآن لاستخدام الأكواخ ومانزال توجد في قمتي **(يرفا) و(أوشع)** أنصاب حجرية ضخمة لعلها كانت رموزاً لعقائد الإنسان الدينية آنذاك . ويذكر الباحث الأثري **رفيق الدجاني** أن هذه الأنصاب الحجرية من مخلفات المقابر التي خلفها إنسان **العصر الحديدي** في هذه البقعة .

العصر الحديدي

وتدل الأواني الفخارية المكتشفة في منطقة السلط على أنها كانت مأهولة بالسكان نحو عام ١٦٠٠ قبل الميلاد ، وهو التاريخ الذي شهد حركة **الهكسوس** ونزوحهم إلى بلاد **مصر** وجلبهم لبعض المخترعات وأصناف الأواني التي تعلموا صنعتها من المصريين . وكذلك المنسوجات والأسلحة والعربات التي تجرها الخيول . ويستدل المؤرخون من حركة الهكسوس وما جلبوه من مصر من أدوات ومخترعات على ازدهار المنطقة ولاسيما في مجال التجارة .

وفي حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد اكتسح **العمونيون** البلاد وعملوا على نقل السكان نقلة حضارية جديدة عندما نشروا استخدام معدن الحديد ويعتقد بأن السلط في زمن العمونيين كانت تتألف من ثلاثة أقسام : أحدها المدينة القديمة التي تقع في سفح الجبل والسهول المحيطة بها التي كانت تشتغل في زراعة المحاصيل ورعي الماشية ، ثم القلعة التي ما تزال بقاياها إلى الآن في قمة الجبل ، ويدلُّ تصميمها على أنها بنيت في العهد العموني ، وكانت تربطها أنفاق سرية بمصادر المياه . ومايزال النفق الذي يربطها بعين الماء القديمة قرب المسجد ماثلاً إلى الآن .

والمعروف أن الدولة العمونية كانت تمتد من **الزرقاء** شمالاً إلى **(أرنون)** أو وادي الموجب في الجنوب ، ومن بادية الأردن شرقاً إلى نهر الأردن غرباً وبهذا تكون السلط ضمن الدولة العمونية .

العهد البيزنطي

والواقع أن الفترة اللاحقة من تاريخ هذه المدينة يحيط بها الغموض . فنحن لا نكاد نعرف إلا القليل عنها في العهد **البابلي** ، **والآشوري** ، **والكلداني** . والأمر ينطبق على

★ واجهة منزل نقولا الفاخوري ★



ما كان في عهد دولة الفرس ، ودولة اليونان ، فالوثائق والمجموعات الأثرية الموجودة لا تسعف الباحث في تكوين فكرة ولو بسيطة ، والذي يعرف من تاريخها في عهد الرومان والبيزنطيين أكثر مما يعرف عن غيره من العهود .

والذي يدلّ دلالة قاطعة على ازدهارها في هذا العهد وجود معصرة للزيت تعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين وقد زارها المؤرخ والرحالة اللاتيني (**هيراكليس**) ، ووصفها بقوله (سالتوس المقدسة) .

وفي **عهد بيزنطة** أصبحت السّلط أسقفية تابعة لأسقفية **بصرى** في الشام أو **البتراء** في جنوب الأردن . ويذكر أن **الغساسنة** الذين حكموا سورية قبل الإسلام قد شمل حكمهم السّلط ونواحيها . وغلب عليها اسم **البلقاء** ، وذكرها الشاعر **حسان بن ثابت** على أنها المدينة الكبيرة والعامرة في سورية بعد دمشق .

انظر خليلي ببطن جلّق هلْ
تُـوُنِسُ دون البلقاء من أحد

بين الأمويين والعباسيين

وفي أثناء **الفتوحات الإسلامية** توجه إليها غير واحد من قادة المسلمين ، مما يدل على أهميتها في ذلك الوقت ، وفتحت على يدي **يزيد ابن أبي سفيان** ، وظلت (السلط) في العهدين الإسلامي الراشدي والأموي مركزاً لمنطقة البلقاء ويذكر **البلاذري** في (فتوح البلدان) أن **أبا سفيان** اشترى أرضاً في البلقاء وأنها صارت إلى ولده معاوية بعده ، ثم احتجزها **العباسيون** وآلت إلى بعض أولاد (المهدي) .

ومما يؤيد هذه الإشارة أن أهالي البلقاء وقفوا إلى جانب الأمويين في صراعهم مع الزبيرية . وأشار غير واحد من الشعراء إلى هذه الحقيقة منهم **عدي العاملي** الذي قال :

إذا قيل خيلُ الله يوماً ألا اركبي
رضيت بكف الأردني انسحالها

وقال **كثير عزة** :

لولا الإلهُ وأهْلُ الأردن اقتسمتْ
نارُ الجماعةِ يومَ المرجِ نيران

ولعل موقف البلقاء المؤيد للأمويين كان سبباً يدفع العباسيين إلى إهمال هذه المدينة ، فنحن لا نجد لها ذكراً من المدن التي عنوا بها ، لقد كانت تمثل بالنسبة لهم بقعة مليئة بآثار الأمويين وقصورهم التي تقع إلى الشرق منها ، ولذا اسدل عليها ستار الإهمال والنسيان ، وعادت إلى وضعها الطبيعي بعد قيام الحروب الصليبية ١٠٩٨ م ، واتخذها **صلاح الدين** عام ١١٠٧ م مركزاً حصيناً لمواجهة الفرنجة في بيت المقدس مما أسخط (**بلدوين**) الذي جهز حملة إلى المدينة وهدم قلعتها ، وفي عام ١١١٨ م فرضت على المدينة وضواحيها ضريبة ، وكان الصليبيون يطلقون عليها اسم (**سالت**) . ويذكر (**أبو الفدا**) في تقويم البلدان أن المدينة كانت في عهده (١٢٧٣ ـ ١٣٣١) « ذات بساتين كثيرة ، تجود بالرمان الذي يصدر إلى البلاد الشامية ، وهي بلد عامرة آهل بالناس » . ويبدو أن **القلقشندي** اعتمد على ما ذكره أبو الفداء ، فقد وصف المدينة بقوله : « هي بلدة عامرة ، آهلة ، ذات بساتين وفواكه » . والمعروف أن القلقشندي عاش مابين (١٣٥٥ ـ ١٤١٨ م) ويذكر أن واليها في عهده هو **ابن نباتة** ، كما يذكر أن (الصلت) معناها (الجبين الواضح البشرة) .

مركز لولاية البلقاء

وفي عام ١٥١٦ م دخلت السلط شأنها في ذلك شأن سائر مدن بلاد الشام تحت لواء **الدولة العثمانية** ، وأصبحت مركزاً لولاية البلقاء ، وازدادت أهمية المدينة وتناوب عليها عدد من الولاة ، كما خضعت لاستيلاء **ظاهر العمر** أحد المماليك المتمكنين بفلسطين ، **وإبراهيم باشا ابن محمد علي** الوالي المملوكي الذي كاد ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية ، ويوجه جيشه لاحتلال فلسطين وسورية ، ثم تتدخل الدول الأوروبية ، ومنها انجلترا ، فتجبره على التراجع .

وقد برزت السلط في هذه الأثناء بوصفها مدينة مستقلة ، أو عاصمة لحكومة السلط ، وفي سنة ١٩٢٧ م أصيبت هذه المدينة بزلزال هي وغيرها من المناطق الممتدة من **نابلس** بفلسطين إلى **عمان** في شرق الأردن ، وكان ضحايا هذا الزلزال في نابلس وحدها حوالي

★ شارع الخضر بالسلط ★





٢٢٧ قتيلاً ، أما في السلط فقد كان أثره أخف وطأة فلم يزد عدد القتلى عن ٢٧ قتيلاً ، وتضررت المباني لأنها كانت تقوم على سفوح منحدرة وكان عدد الغرف التي دمرت حوالي ١٠٠٠ غرفة ولم تسلم من هذا الزلزال المدمر مدينة عمان .

في كتب الرحالة

وللسلط وصف شائق في كتب المؤرخين والرحالة ، فإذا تجاوزنا ما كتبه عنها أبو الفداء في تقويم (البلدان) والقلقشندي في (صبح الأعشى) إلى كتب الرحالة المستشرقين مثل : **شوماخر ، ودونكان ، ١٨٩٠ م، و١٩٢٧م ، لوجدنا في وضعها ما يصور أهمية هذه المدينة وأهمية القلعة التي كانت تزود بالمياه عن طريق نفق سري من الأدوار السفلية في القلعة ثم يمتد باتجاه العين القديمة . وكان الجنود يسيرون في هذا النفق أثناء الحصار ويجلبون الماء دون أن يبصرهم الأعداء .**

ولكن النفق اختنق بعد عام ١٩٣٨ م نظراً لكثرة الأبنية والمساكن التي اقيمت في موضعه .

كما يذكر الرحالة أن منازل المدينة القديمة كانت تشغل المساحة الواقعة على سفح الجبل وكانت تتألف البناية الواحدة من طابقين . وتحيط بها أشجار الزيتون التي كانت تغطي ثلث مساحة المدينة في الماضي . وفي الربع الأول من القرن الحالي كانت البساتين تحيط بالمدينة من كل جانب وكانت ينابيع الماء والأودية والشلالات تتدفق وسط خضرة الأشجار فتبهج العين بمنظرها الساحر الخلاّب .

(بيركهارت) في رحلاته يشير إلى الجامع القديم بقوله : « ويعتبر المسجد الأثر الوحيد المتبقي في المدينة » . وقد رمم هذا المسجد مرة واحدة ، وعثر في أساساته على نسخة لمصحف قديم ، وهي موجودة الآن في **متحف الكرك** ، ثم هدم المسجد وأقيم على أنقاضه بناء من طابقين ، العلوي منهما مسجد والسفلي مخازن ومحلات تجارية .

★ تتميز بيوت السلط بالتداخل اللصيق بسبب ضيق المساحة وطبيعة المدينة الجبلية ★

ويذكر الرحالة (**سيلاه مرل**) الذي زار السلط عام ١٨٧٥م أن فيها مدرسة تسمى بمدرسة الإنجليز وكانت تضم ٧٥ طالباً بالإضافة إلى مدرسة الكاثوليك التي كانت قائمة قبل ١٨٧٥ م .

كما توجد فيها كنيسة فائقة الجمال ضمن مباني « **دير اللاتين** » وإلى جانبها مدرسة تابعة للدير ، وإلى الغرب من الدير توجد الكنيسة البروتستانتية التي شيدت على أنقاض حمام روماني قديم ذكره الرحالة سيلاه مرل . وإلى جانبها كان يقوم المستشفى الإنجليزي الذي شيد عام ١٩٠٥ م ثم أغلق عام ١٩٤٩ م . ويذكر أن هذا المستشفى كان قد أسس في **عكا** ثم نقل إلى السلط عام ١٩٠٠ م وذكره الرحالة **ستيوارت ارسكين** . (١٩٢٤ م) .

★ إحدى الساحات في مدينة السلط يمتزج فيها الحديث بالقديم ★



★ بيوت السلط القديمة حافظت على أصالتها ★



وقد أزيل من السلط مبنى السرايا (مركز الولاية العثمانية) وهو بناء من الحجر الأصفر المجلوب من مقالع السلط ، ويتألف من طابقين وساحة واسعة ، وسقف قصير يرى . وكان يقوم إلى جانبه مبنى استأجرته السلطة القائمة لاستخدامه اسطبلاً لخيول فرسان الدرك .

ويذكر الرحالة أن شوارع المدينة كانت مبلطة بحجارة صلبة ، وقد زال أثرها اليوم بعد أن استعملت مادة (الأسفلت) في تعبيد الشوارع .

وكانت في السلط مجموعة من (الخانات) التي تستقبل الزوار فينامون في الطوابق العليا ويودعون خيولهم وركائبهم في السفلى ، حيث يقدم لها العلف والخدمات البيطرية الضرورية .

آثار من العصور القديمة

ما تزال مدينة السلط عامرة بالآثار التي تعود إلى أقدم العصور ففي سنة ١٨٧٥ م بينما كان أحد الرجال يقوم بحفر بئر في تلة غير بعيدة عن البلدة عثر على أعمدة ومصطبة من الفسيفساء وآثار أخرى وقد تبين الدارسون فيما بعد أن هذه الآثار هي آثار **مدينة جادورا** Gadora **عاصمة مملكة بيرايا** التي كانت قائمة في القرن الأول قبل الميلاد وهذا المكان هو المعروف الآن باسم **التل** . ويقع في الجهة الجنوبية من المدينة حيث عين الماء المعروفة باسم **(عين جادور)** ، وحيث المسجد الصغير المسمى بمسجد (جادور) وتوجد في التل كهوف واسعة منحوتة في الصخر كانت تستعمل لدفن الموتى . كما عثر فيه على بقايا أواني فخارية ، ترجع إلى العصرين **الروماني والبيزنطي** ، كما يتضح أن تحت التل خرائب المدينة القديمة التي دمرت بفعل الحروب أو الزلازل غير مرة وشيدت فوق أنقاض الخرائب غير مرة أيضاً . وفي الطريق إلى التل المذكور توجد مقبرة منحوتة في الصخر تعلوها ستة أقواس ، وكانت هذه المقبرة تتألف من عدة مصاطب تحيط بها الأعمدة ولها بوابة حجرية ضخمة إلا أن الباب قد فقد .

وفي السلط بقايا مقبرة بيزنطية في الموقع المعروف باسم (**سارة**) وماتزال جدرانها تعلوها النقوش الفسيفسائية وفيها رسم لشخص مجهول بقي منه الذراع والنصف العلوي . كما توجد في المقبرة نقوش أخرى تمثل مشاهد من الحياة التي كانت سائدة في العصر البيزنطي كما يوجد في المدينة قبر روماني تم العثور عليه ١٩٧٨ م يتألف من غرفة مربعة وطابقين في كل طابق ثلاثة مدافن . وفي أحد الطابقين تمثال يظن أنه لرب الأسرة ، وهو يرتدي ثوباً يتدلى فوق كتفه الأيسر وله شاربان ناعمان ولحية صغيرة . ويرجع هذا القبر إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين .

أما محتويات هذه المقبرة فتتألف من قطع نقود بعضها يعود إلى عهد **هيرودوس** وبعضها إلى عهد **قسطنطين الأول** وهياكل بشرية وجماجم رجال ونساء وأطفال وجرّة فخارية صغيرة وقطع نحاسية وأقراط من الذهب .

وفي السلط حمام روماني يوجد عند مدخل المدينة تم اكتشافه عام ١٩٨١ م وهو يتألف من مبنى يقع في ثلاثة أقسام ، وقد طليت جدرانه من الداخل بطلاء على عدة طبقات ، ولكن هذا الحمام غير واضح المعالم بسبب اكتشافه في الموقع الذي أقيم فيه مبنى الجمعية الاستهلاكية المدنية .

قلعة السَلْط

ومن أبرز مآثر المدينة التاريخية « القلعة » وهي تقوم على قمة جبل كان يعرف باسم « **رأس الأمير** » وهي تشبه **قلعة الربض** في عجلون من حيث هندستها ، ورغم أنها في موقع حصين إلا أن المؤسس زاد في تحصينها بإضافة سور من الحجارة الضخمة ، وجعل في هذا السور عدداً من الأبراج ولكن هذه الأبراج زالت جميعاً ماعدا برج واحد ، هو « **برج خيار** » ويحيط بالقلعة خندق عريض ، ويصلها بعين الماء القديمة نفق سري يستعمله الجند في أثناء الحصار لجلب المياه ، ويستدل الباحثون من مظهر القلعة ، وبقاياها أنها تعرضت للهدم والترميم وإعادة البناء عدداً من المرات .



★ منزل السيد جلال الزعبي ★

وإذا ثبت أن **العمونيين** هم الذين أنشاؤها فإن **الهيلينيين** من أبناء مملكة (**بيرايا**) التي ظهرت في القرن الأول الميلادي ، كانوا أوّل من جددها ، ثم تعاورها المحاربون والبناؤون بالتدبير وإعادة الإنشاء في العهدين البيزنطي والإسلامي ثم في أثناء الحروب الصليبية . ويذكر **ابن شداد** في « الأعلاق الخطيرة » أن المملوك **ايبك بن عبد الله** والي الملك العادل على البلقاء أمر بإعادة بناء القلعة لتكون نقطة أمينة في الإقليم تقضي على اللصوص وقطاع الطرق .

ويقال إن **التتار** سنة ١٢٦٠ م قاموا بهدم القلعة ، ولكن هذا التدمير لم يكن كاملاً وكانت أضراره محدودة وقام عمال **الظاهر بيبرس** بترميم القلعة وإحياء مجدها الغابر .

وفي سنة ١٧٦٠ م احتل القلعة **ظاهر العمر**



★ مدرسة السلط الثانوية .. أول ثانوية في الأردن وفيها تخرج نخبة من رجالات الأردن اللامعين ★

والي عكا ، وقام بإعادة بنائها تقريباً حوالي ١٨١٢ م ، وفي سنة ١٨٤٠ م قام جيش **إبراهيم باشا** بملاحقة بعض المعارضين الذين لجأوا إلى السلط واختبأوا في القلعة ، فما كان من جيشه إلا أن نسف القلعة ، وتطايرت حجارتها الضخمة في الهواء ، وسقطت فوق التلال القريبة ، وأصبحت القلعة بعد ذلك مركزاً لحماية تركية ، وظل الأمر على هذا إلى أن وضعت **الحرب العالمية الأولى** أوزارها فرحل عنها العثمانيون الأتراك لتدخل عالم النسيان .

وظل أمرها متروكاً حتى قام أحد وجهاء المدينة (**حمدي الأتيس**) ببناء مسجد جميل في موقعها فلفت إليها الأنظار وعثر فيها على بعض الأواني الفخارية والزجاجية التي تعود إلى عصور مختلفة رومانية وبيزنطية وإسلامية .

عادات وتقاليد معمارية

ولأنّ مدينة السلط من المدن الأردنية القديمة والعريقة فإن لها تقاليد في البناء والهندسة مازال موجودة في بعض البيوتات التي يرجع إنشاؤها إلى أكثر من مائة سنة . ولهذا فإن بعض هذه البيوت تعد من الآثار التي تجتذب الزوار ، ويمكن تقسيم البيوت إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

★ **النوع الأول** : هو مساكن الأثرياء التي كانت تتألف في العادة من بناء واسع مغطى بالقرميد الأحمر ، ومزين بواجهة من الأعمدة الحجرية الاسطوانية التي يقام بعضها فوق بعض على هيئة عمود يزين الباب الخارجي للمنزل بصورة خاصة . أما البناء نفسه فمكوّن من عدة غرف واسعة ، وصالة يطلق عليها اسم (الصالون) ، ومن أبرز هذا النوع منزل **فريح أبي جابر ، والمعشر ، ويوسف السكر ، وفلاح الحميد** ، وكلهم من وجهاء المدينة قبل حوالي مائة سنة .

★ **النوع الثاني** : مباني أسر التجار وأهل العلم وهي تبنى عادة من الحجارة الصفراء ويتألف البيت من عدة غرف تحيط بها حديقة واسعة تزرع فيها أشجار العنب والفواكه وإذا كان البيت مؤلفاً من طابقين أو ثلاثة فغالباً ما تبرز في الواجهة الأمامية لكل طابق شرفة أو أكثر تحاط بقضبان حديدية لها مظهر زخرفي (بلكون) وهو يقرب مما يطلق عليه (الشناشيل) في العراق .

★ **النوع الثالث** : بيوت الفلاحين ، وهي تبنى في الغالب من حجارة غير منظمة الشكل ويستخدم في بنائها الطين والقش أو التبن كمادة مساعدة على اللصق ، ويتألف من صالة واسعة مقسمة إلى جزئين غير متساويين في المساحة ، الأول وهو الأقرب إلى الباب ، ويستعمل للدواب . أما الثاني فيرتفع بمقدار متر واحد عن أرضية القسم الأول ويسمى بالمصطبة ويستخدم لتناول الطعام واستقبال الزوار والنوم وتصل بين القسمين بضع درجات وفي أحد جوانبه تبنى خزانة من مادة البناء تستخدم لحفظ الدقيق (**كوارة**) .

وبيوت السلط تسقف غالباً بالقرميد الأحمر الذي يضفي عليها جمالاً واضحاً أما بيوت الفلاحين فتسقف بالطين الذي يبسط على عوارض من الحطب والقصب وقد يدعم بجسور من الحديد . ولكن هذه الأساليب في البناء انتهت الآن باستعمال مادة الأسمنت . ويغلب على البيوت القديمة في السلط ما يعرف (بالعقد) وهو بناء تتخلله من الداخل الأقواس ويكون سقفه من الداخل على شكل قبة مغطاة من الخارج بالقرميد . ويهتم أهالي المدينة بزراعة التين حول البيوت وكذلك أشجار الرمان والزيتون والعنب المتسلق الذي يغطي العرائش والشبابيك والنوافذ مما يضفي على البيت جمالاً يسرُّ الناظرين .

الأزياء الشعبية

وفيما يتعلق بالتقاليد الشعبية في مجال الملابس فإن لأهل السلط فنونهم الخاصة التي تميز ملابسهم عن ملابس غيرهم من أهالي المدن الأردنية . وقد ذكر **ستيوارت ارسكن** الذي زار السلط عام ١٩٢٤ م وصفاً طريفاً لثوب المرأة (السلطية) فقد ذكر أن المرأة في السلط كانت تخيط ثوبها وتطرزه بيديها وأن هذا كان يتطلب وقتاً طويلاً . ويتألف الرداء من



★ منظر من سوق الخضار في السلط القديمة ★



قطعتين . الأولى من القماش الأزرق الغامق الذي تتخلله (بنائق) جمع بنيقة من قماش أسود مطرّز بالألوان المختلفة ، وقطعة أخرى من القماش الأسود تمتاز بالطول الذي يزيد عن طول الثوب الداخلي وبطول الأردان . أما غطاء الرأس فيتألف من (**الحطة**) وهي تصنع من قماش حريري محلى بالقصب الأبيض إن كانت سوداء والذهبي إن كانت الحطة حمراء ، وقد برعت المرأة إلى جانب براعتها في تطريز الثياب بصنع البسط من الصوف والوبر الملوّن المخطط والطنافس المطرزة ، والثياب والطبخ ، وقد برعت في صنع نوع من الطعام الشعبي الذي يحضر في الولائم والأفراح ويعرف باسم « المنسف » وهي أكلة شعبية تتألف من الأرز ، واللبن (الجميد) الذي يتم طَهْوه مع لحم الضأن والسمن البلدي . ثم يقدم للضيوف ساخناً ويتناول بالأيدي . وهي من الأكلات الشعبية المنتشرة في شرق الأردن وفلسطين وسائر بلاد الشام ماعدا لبنان وشمال فلسطين وشمال سورية .

مستقبل السلط

وفي بداية هذا القرن كان عدد سكان السلط كبيراً بالقياس إلى المدن الأردنية الأخرى . وفي سنة ١٩٢٢ م بلغ عدد سكانها عشرين ألفاً في حين كان سكان **عمان** (٥,٤٠٠) نسمة **ومأدبا** (٢,٤٠٠) نسمة **وأربد** (٢,٥٠٠) نسمة **والكرك** (٣٠٠٠) نسمة ، وبدأ هذا العدد بالتراجع في السلط والتقدم في المدن الأخرى . ففي احصائيات تعود إلى سنة ١٩٣٨ م تبين أن عدد سكانها (١٤٤٧٩) نسمة أي بنقص قدره ٣٠٪ عما كان عليه في الماضي في حين أن أربد وصل عدد سكانها إلى (٦٦٩٣) نسمة ، وعمان (٦٥٧٥٤) نسمة ويرجع ذلك بالطبع إلى الهجرة التي نشأت عن اختيار عمان عاصمة وانتقال مركز الحياة التجارية والاقتصادية إليها . وعرفت المدينة استقراراً في السكان في حين شهدت المدن الأردنية الأخرى تزايداً ديمغرافياً كبيراً برز بشكل واضح بعد نكبة ١٩٤٨ م . والمعروف أن عدد سكان المدينة حسب أحدث الاحصاءات (١٩٧٩ م) لا يزيد عن (٣٣) ألف نسمة إلا قليلاً في حين ارتفع خلال هذه الفترة عدد سكان عمان إلى مليون نسمة تقريباً . والزرقاء إلى نصف مليون وكانتا قريتين قبل عام ١٩٢١ م .

ويبدو أن الأمور لا تبقى على حال فالتضخم الذي أصاب المدن الأردنية مثل الزرقاء وعمان زهّد الناس في السكن فيهما علاوة على ارتفاع أثمان الأراضي ، والعقارات ، وصعوبة التنقل مما دفع بالمواطنين إلى النزوح من هذه المدن ذات الكثافة السكانية العالية والتوجه للضواحي والأرياف والمدن الصغيرة . وتشهد السلط الآن هجرة معاكسة بحيث يقبل الناس على إنشاء المباني والبيوت والاستقرار في هذه المدينة عوضاً عن التوجه خارجها .

المراجع

١ ـ آثار الأردن للسيد لانكستر هاردينغ ، إصدار وزارة السياحة والآثار .
٢ ـ الأردن ، حضارة وتاريخ ، أ . لويس مخلوف .
٣ ـ البتراء ، إيان أونغ (باللغة الإنجليزية) .
٤ ـ الأردن ، سلسلة الآلة الزرقاء ، الناشر هاشيت/باريس .
٥ ـ إلى جانب نشرات من إصدار وزارة السياحة الأردنية .



المتحف القومي للفنون والعادات الشعبية الفرنسية

إعداد: ف. ب. م

عند حافة غابة بولونيا بالقرب من منطقة بورت مايود في مدينة باريس بفرنسا يقف قطار صغير ذو عربات متعددة الألوان تبدو كأنها خرجت لتوها من كتاب مصور. آخر محطة لهذا القطار توجد عند حديقة الحيوان حيث يمكن من هناك رؤية مبنى حديث يحتضن بداخله الأقسام المختلفة للمتحف القومي للفنون والعادات الشعبية الفرنسية.

وفي هذا المبنى العصري تعود الروح لماضي الأمة الفرنسية بتقاليدها. وحياتها اليومية. بثقافتها وفنونها. بالمهن التي كانت سائدة ووسائل الترفيه وتمضية أوقات الفراغ. بالأشياء التي كانت تستخدم من أدوات وملابس وأثاث. بالاحتفالات التي كانت تقام في ذلك الوقت.

إنه في الواقع متحف يتعلق بروح الشعب الفرنسي. بكل

المتحف القومي للفنون والعادات الشعبية الفرنسية

جوانب حياته ، ولذلك فإنه لا ينبغي أن يتوقع الزائر لهذا المتحف أن يجد فيه أعمالاً فنية مختارة تعرض لندرتها أو لقيمتها الجمالية ، بل ينبغي على الزائر أن يعرف أن ما يراه من معروضات ليس سوى مفاتيح لأنماط الحياة الفرنسية على مر القرون . تلك الحياة التي يغلب عليها الطابع الريفي الذي حافظ على سماته حتى عصر الثورة الصناعية .

القاعة الرئيسية

عندما ندخل القاعة الرئيسية للمتحف في بداية الزيارة نجد أنفسنا أمام صانع للقباقيب يعمل بالقدوم وأمامه عمود روماني صغير عليه نقوش لذات الأداة ، تؤكد استمرارية بعض المهارات اليدوية . إلى جانب ذلك نرى خرائط واضحة تبين الخصائص المتنوعة لفرنسا وسكانها .

والخرائط مثيرة للاهتمام فهي تحدد أصول الشعب الفرنسي وكل مجموعة عرقية غزت فرنسا خلال الألف عام الأولى . ويشار إلى كل مجموعة بنقطة صغيرة ملونة . وليس بمستغرب أن نجد أرض فرنسا وقد امتلأت بنقاط من جميع الألوان . فأجداد الفرنسيين « الغال » ليسوا وحدهم الذين يشكلون الأصول العرقية للأمة

الفرنسية بل أن هناك مجموعات أخرى عديدة .

وفي واجهتي العرض التاليتين نشاهد أشياء تعود إلى الفترات العظيمة التي شهدت ولادة وتحول الحضارة الريفية الفرنسية .

الغذاء والملابس

بدأ الإنسان البدائي في إطعام نفسه عن طريق جمع النباتات ، ثم بعد ذلك تعرف على وسيلة الصيد . وبالمتحف بندقية قديمة وقارب بالحجم الطبيعي كان يستخدم في بداية هذا القرن . ثم تعلم الإنسان بعد ذلك تربية الحيوانات ، وبالمعرض تماثيل من الجياد والأغنام وحولها

★ أزياء قديمة ★

الرعاة . وبعد ذلك نصل إلى فترة الزراعة الحقيقية وبالمعرض سلسلة من المنتجات الزراعية خاصة القمح والحبوب التي كانت تستخدم في صنع الخبز .

ويعرض المتحف المراحل المتعاقبة لنمو المزروعات ولموسم الحصاد والأدوات التي كانت تستخدم في هذه المراحل .

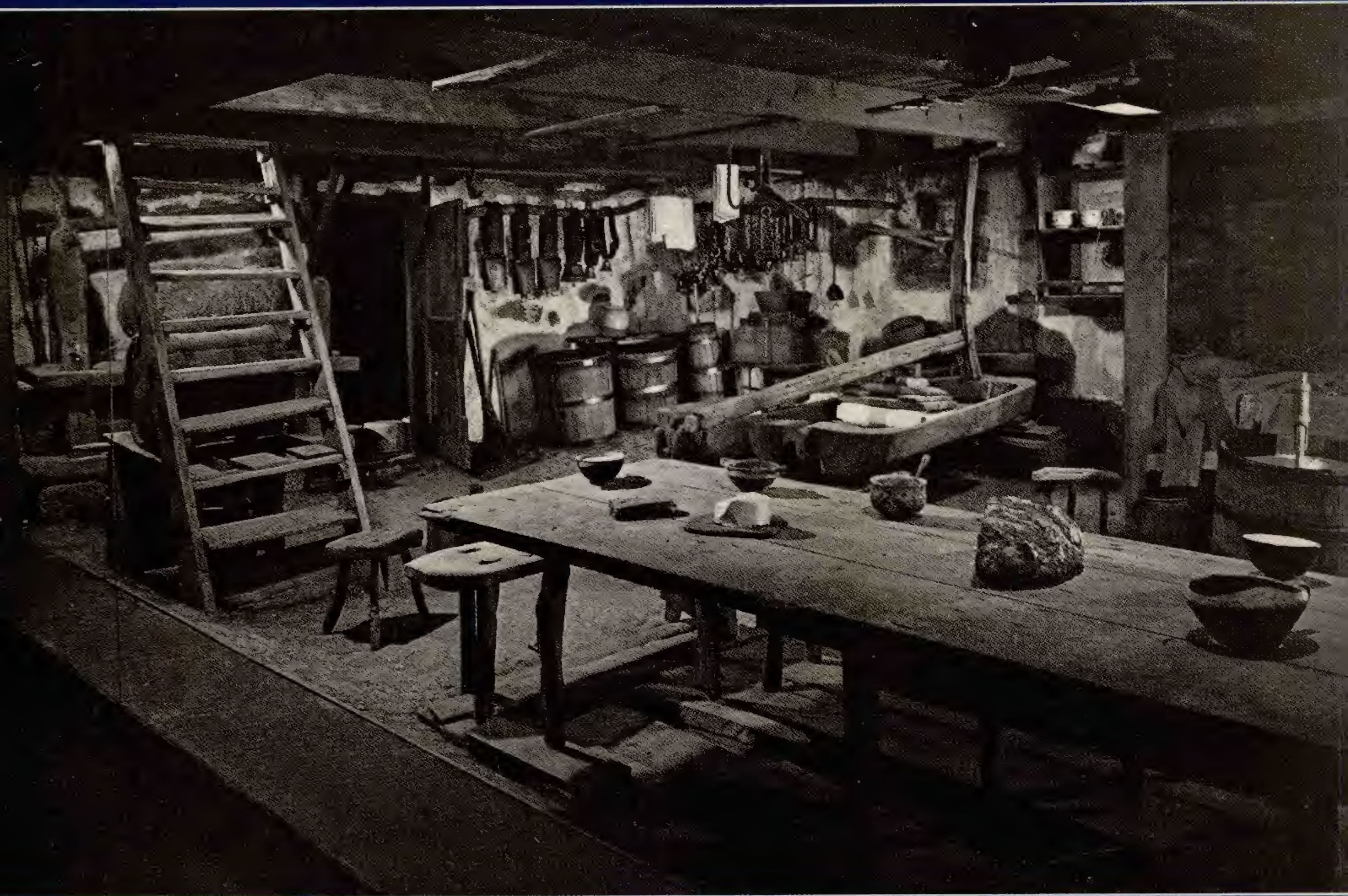
وبعد ذلك يتم تحويل الحبوب إلى دقيق ، ونجد من بين المعروضات **طواحين الدقيق** ونماذج من **طواحين الرياح وطواحين الماء** . وفي النهاية يصبح الدقيق خبزاً . ونجد في المتحف أفران المخابز القديمة والأدوات التي كانت مستخدمة في أفران ذلك

الزمان والرفوف التي كانت تعرض عليها منتجات تلك المخابز .

وفي إحدى قاعات العرض بالمتحف . نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام أحد رعاة الأغنام يقوم بغزل الصوف . وخلف الراعي توجد مجموعة من أدوات الغزل مثل المغزل وعجلات الغزل والأنوال . وكل هذه الأدوات تعطينا فكرة عن الخطوات المتعاقبة التي يمر بها الصوف من القص والغزل إلى أن يصبح نسيجاً .

استغلال الأخشاب والأحجار

تعد فرنسا ثاني أكبر دولة في



★ مصنع الجبن ★

أوروبا من حيث مساحات **الغابات** . وبالتالي فإنه كان من الطبيعي أن يصبح الخشب من أهم المواد الخام الأساسية في الحياة اليومية للشعب الفرنسي . وفي هذا القسم تعرض ورشة للخشب من منطقة « **مين** » . وعندما يضغط الزائر على زر يستمع إلى تعليق يشرح طبيعة المنتجات الخشبية من أدوات للطعام إلى خزائن لحفظ الملابس كانت هذه الورشة تقوم بتصنيعها .

ومنذ **عصور الغال والرومان** كانت هناك أشغال خزفية في فرنسا . وبهذا القسم من المتحف ورشتان تؤكدان على وجود هذا النوع من الأشغال منذ القدم . وفي إحدى نوافذ العرض أنواع مختلفة من الفخاريات التي تم جمعها من عدة أقاليم في فرنسا .

وكان الفرنسيون يقومون بجمع الخشب وتقطيعه وتشكيله في معدات تستخدم في حياتهم اليومية . وكانت المنازل التقليدية تبنى من الخشب . وفي المتحف منزل على هذا النمط يوجد داخله العديد من الأشياء المصنوعة من الخشب مثل خزانة كبيرة للملابس وأسرة خشبية عتيقة ، وطاولة ضخمة وأدوات مطبخ مختلفة من أهمها بطبيعة الحال المراجل .

وثمة أشياء معينة بالمنزل تشير إلى احتمال استخدام أجيال عديدة في أسرة واحدة لهذا المكان .

من المهد إلى اللحد

في هذا القسم نجد أشياء مرتبطة بالفترات المتعاقبة التي يمر بها الإنسان . فهنا نجد طفلاً ينام في مهده الصغير ، ونلاحظ قبعات تعرف باسم « **قبعات سانت كاترين** » وكانت هذه القبعات تعتمرها الفتيات في عيد سانت كاترين على أمل العثور على زوج في غضون عام ـ حسب اعتقادهن ـ ثم تتزوج الفتيات وتنجبن وأخيراً يأتي الموت وهو ممثل في هذا القسم بلحد . ويتجسد الموت في المتحف في شكل جنازة تسير في إحدى مناطق فرنسا الريفية ويرتدي المشاركون فيها ملابس مطرزة جنائزية .

وفي نافذة عرض أخرى نشاهد أشياء ترمز إلى ارتباط اثنين معاً مثل خواتم الخطوبة وباقات الزهور والهدايا التي تقدم إلى أسرة العروس .

وتمثل الأعياد والاحتفالات الشعبية ثراء في الفنون الشعبية الفرنسية ونشارك معاً في هذا القسم في احتفال ريفي بجمع العنب .

معتقدات وتقاليد

تعد فرنسا دولة كاثوليكية بشكل تقليدي ، حيث ينتمي ٩٥٪ من السكان للكنيسة الكاثوليكية . وثمة أشياء عديدة كان يعتقد فيها

المتحف القومي للفنون والعادات الشعبية الفرنسية

السكان في الزمان الغابر مثل التماثيل التي ترمز لأشياء دينية مقدسة عندهم .

وفي جانب آخر من هذا القسم أشياء متعلقة بالسحر والشعوذة . فنجد عرافة تجلس لتكشف الطالع ، وإناساً يتكهنون بالمستقبل بأشياء عديدة يحملونها معهم مثل أوراق اللعب .

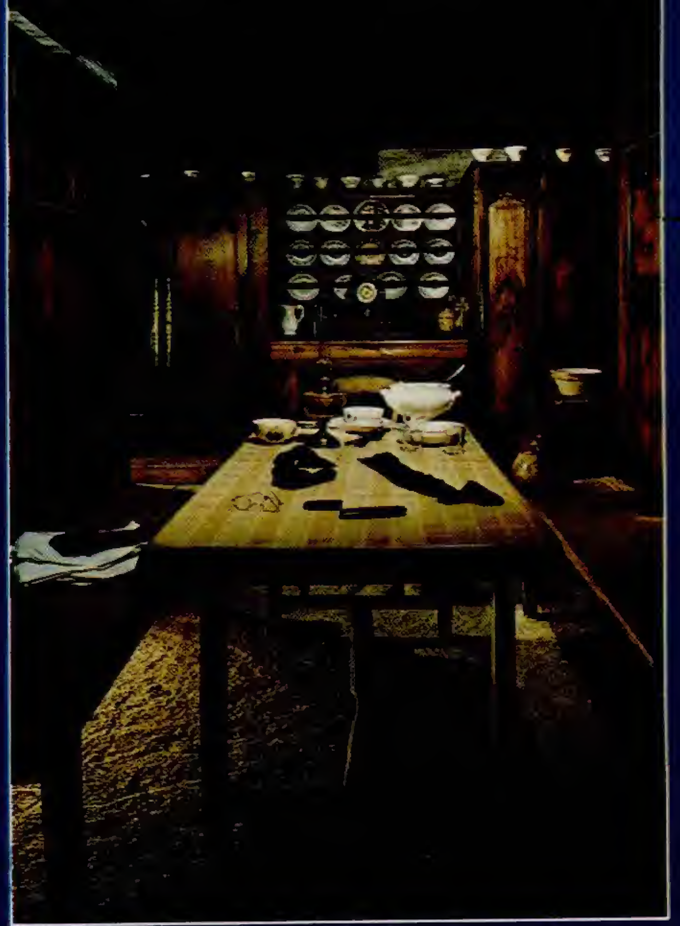
توقفت للحظات استريح فيها قبل أن أدخل قسماً آخر يتناول بالمجسمات مجتمع القرية وحياته اليومية . عند مدخل القاعة وجدت خريطة تمثل **منطقة** « **أوبراك** » الفرنسية وقراها المختلفة ومناطق تربية الأغنام والماشية . في أحد الأركان مجسم لمصنع « بورون » للجبن . وهو مصنع بُني في عام ١٩١٣ م . وبداخله نرى العمال وهم يقومون بأعمالهم بينما نرى آخرين في وقت استراحتهم .

يجسد هذا القسم الحياة اليومية للريف الفرنسي في الأسواق التقليدية التي يباع فيها كل شيء من محاصيل الحبوب إلى البيض والدواجن ، وكذلك الباعة

★ سلال من القش ★

★ ورشة نجارة ★





★ منزل قديم ونلاحظ مدى جودة المشغولات الخشبية ★

المتجولين وهم يحملون بضائعهم إلى الماشية التي تعمل في الحقول .

كما نشاهد نوعاً آخر من الحياة الريفية ، وهو عمل الحرفيين الذين كانوا يتعلمون فنونهم ومهاراتهم من خلال التنقل من مكان لآخر . وفي إحدى نوافذ العرض تجد صانع القباقيب وهو منكب على عمله بهمة ونشاط .

تمضية أوقات الفراغ

في هذا القسم توجد الكثير من الأشياء التي كان يستخدمها الفرنسيون في أوقات فراغهم . ومن أهم هذه الأشياء **الرماية** التي كان يغرم بها الفرنسيون منذ العصور الوسطى وحتى بداية الثورة الصناعية . ونجد في هذا القسم فرقة الرماة الفرنسية والطقوس والمراسيم التي كانت تجرى بين أفراد هذه الفرقة . والتدريبات على رمي الرمح والسهم مع عرض مثير لمجموعة رائعة من الأهداف المزخرفة التي كان يصوب عليها الرماة أسلحتهم .

كما كان الفرنسيون معرمين بألعاب السيرك والدمى المتحركة وألعاب النار والكثير من الألعاب الشعبية المسلية الأخرى وكلها

★ فن الدمى ★

www.ahlaltareekh.com

المتحف القومي للفنون والعادات الشعبية الفرنسية

تعرض في هذا القسم من المتحف . وقد أعيد إحياء السيرك في المتحف القومي للفنون الشعبية وذلك من خلال عرض لمجموعة من ملابس المهرجين وأدوات السيرك المعروفة . كما يوجد في ركن من هذا القسم نموذج لسيرك متجول في الريف الفرنسي . وقد علقت على الجدران الإعلانات ذات الألوان الكثيرة الصارخة التي كانت سمة ذلك العصر . أما الدمى المتحركة فكانت من أشهر الألعاب الشعبية في فرنسا وقد تطورت الآن ودخلت في فن المسرح الفرنسي من خلال « **مسرح الدمي** » .

أما الآلات الموسيقية فتوجد في ركن قائم بذاته في القسم وتجتذب الكثير من الزائرين نظراً لغرابتها وطرافتها في الوقت ذاته . وفي نافذة عرض نرى موكب زفاف يتصدره عازف كمان وعازف أوكورديون .

وبالنسبة للملابس والأزياء ، فإن شهرة الفرنسيين قد جابت الآفاق في هذا المجال . ورغم ذلك فإن الملابس تختلف من منطقة إلى أخرى في فرنسا ، فهناك مناطق تمتاز بالبساطة في اختيار الملابس ، ومناطق أخرى تهتم بارتداء الملابس المطرزة ذات الألوان المبهرة ، فضلا عن القبعات العريضة المحلاة بشرائط من الحرير والقطيفة . وقد شهدت الملابس الفرنسية تنوعا واسع النطاق خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . ونجد كل هذه الأنواع المختلفة من الملابس والأزياء معروضة في هذا القسم .

المشغولات اليدوية

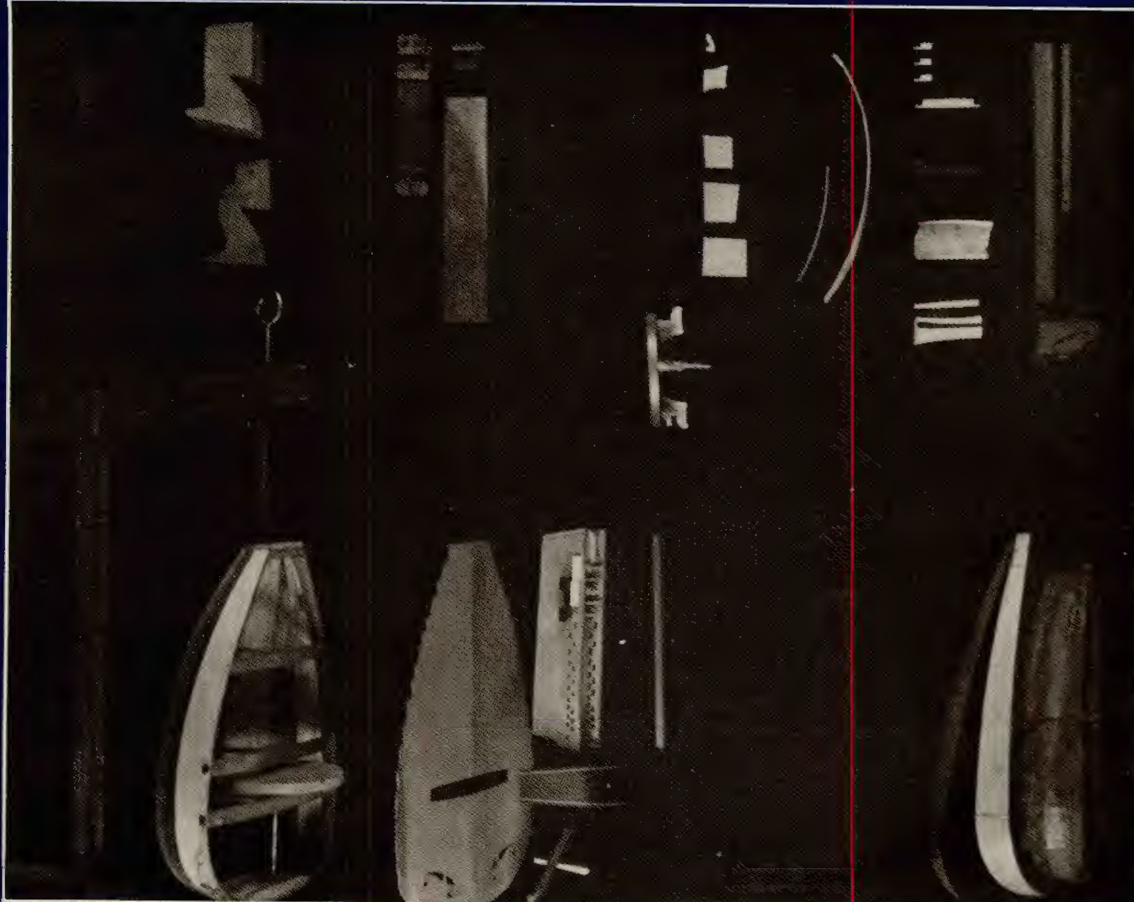
ويضم قسم المشغولات اليدوية العديد من الأشياء الفنية التي تتسم بالمهارة والاتقان والذوق الفني الرفيع . ويعجب الزائرون بشكل خاص بالسلال المصنوعة من الأغصان المجدولة، والفخاريات، والأشغال الحديدية مثل المواقد والكلابات التي تعلق فوقها أواني الطهي لتوضع على المواقد ، والأطباق .

كما برع الفرنسيون في صنع الأثاث ، واستطاع النجارون العاديون في الريف نقل أفكار متقدمة في صنع الأثاث إلى الناس العاديين . ونجح بعض الحرفيين في تصنيع أثاث مماثل لأثاث القصور الفرنسية العريقة من خزانات وأسرّة وطاولات .

وأخيراً ، فإن المتحف القومي الفرنسي للفنون والعادات الشعبية الفرنسية استطاع أن ينقذ الكثير من الأشياء الشعبية الفولكلورية ، وأن يعرضها على الزائرين الذين يأتون إليه من كل صوب ليروا على الطبيعة الحياة اليومية للفرنسيين في سنوات ما قبل الثورة الصناعية والاكتشافات التي غيرت حياتهم تغييراً جذرياً الآن . ولولا إنشاء هذا المتحف لكانت هذه الفنون قد طواها النسيان . ومع ذلك فإن ما يضمه المتحف لا يمثل كل جوانب الحياة اليومية للشعب الفرنسي ولكنه يمثل جزءاً يسيراً مما كان قائماً في فترة ما قبل العصر الصناعي .

*

★ آلات موسيقية ★



الجانحون للضلال

شعر: محمود عبد اللطيف فايد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون ياأولي الألباب﴾ الآية ١٩٧/س. البقرة.

هل قرأ المفسدون من أتباع الخميني هذه الآية؟ فكيف حاولوا إشعال نيران فتنة كبرى في مكة المكرمة، وروّعوا حجاج بيت الله الحرام، وقتلوا حراس الأمن، وضيوف الرحمن؟



أينهى اللهُ عن بَعْضِ الجدالِ ... ويشغبُ جانحون إلى الضَّلالِ ؟
وقد غَمَرَ الصَّفَا حرماً كريماً ... بعيداً عن خنا سوء الفِعَالِ
وعاش الضيفُ في أَمْنٍ أمينٍ ... فهاموا بالمهيمن ذي الجلالِ
فطافوا أو سَعَوا شكرا لمولى ... حبانا الفيض من رزقٍ حلالِ
وَصَلَّوا قانتين بلا فروقٍ ... يرجّون الرضا مولى الموالي
وكم قرأوا كتاب الله هدياً ... يسوقُ إلى النبيل مِنَ الخلالِ
وظلّ الذكر إنعاشاً لروحٍ ... فراتاً فاق محبوب الزلال
وعشنا إخوةً في الله نسعى ... إلى جبر الكسير .. إلى الكمال
وزان جموعَنا حسْنُ انتظام ... وإقبال على درج المعالي
حدود الله نحفظها تقاةً ... ولا نصغى إلى قيلٍ وقالِ
فقد كنا ملائكةً بحقٍّ ... فعشنا ناعمين بصفو بالِ
على أجسادنا أثواب طهر ... وكل من بياضِ الصَّدرِ حالِ !
فكيف تصايح الفسّاقُ ؟ تباً ... لمن يحدو القطيع إلى الضَّلالِ
وفي كبد الطهارةِ عاثَ قومٌ ... وأهدوا إخوةً شرَّ النِّصال
أنعبد ربنا صمداً وندعو ... لأوثانٍ ونُمعنُ في الخبَالِ ؟
دماء المسلمين غدَتْ حلالاً ... تراق على الصخور أو الرمال ؟
وفي البلد المحرّم من قديمٍ ... ومهْوَى الناس من حِقَبٍ طوالِ
وما إسلامنا إلا انقيادٍ ... لأمر الله أو حسن اتصال
فكيف تكون إسرائيل عونا ... لتدفعنا إلى سُبُل الوبالِ ؟
وتغري بعضنا بفناءِ بعضٍ ... لتحظى بالصدارةِ في المَجَال
ولا نرضى بوقف الحرب حتى ... يكون اليوم أكثر ما بدالي
آيات الهدى توصى شعوباً ... بحبّ الهلْك أو عشق النكال
وقبلتنا توحّدنا ولكن ... عقول البعض قُدّت من ضلال !!
نحاربُ منذ أعوام جواراً ... أتقتيل الأخوّة من نضالٍ ؟
أليس لديكُم رجلٌ رشيدٌ ... يروم السلمَ إصلاحاً لحالٍ ؟
وإبقاء على رحمٍ تأذى ... ورُحْماً للشيوخ وللعيالِ
أنهدم دورنا جهرا نهارا ... ونحرق نافعا من وفر مال ؟
ونهدي وُلدنا حطباً لحرْب ... كأن الحرب فردوس الظلال !
ونزعم أنّ مسلكنا حكيمٌ ... وأيم الله ذا عين المحال
ويا أسفا على دينٍ جليلٍ ... يُجرّع علقماً من بعض آلِ
بدوا شبْه الغيوم على سناه ... وكانوا العار أحدق بالجلال
أفيقوا قبل أن نردى جميعا ... فنهج الرشْد محبوب الرجال
ألا (اعتصموا بحبل الله) طرّاً ... ومن يشردْ يجد سوء المآل
وكم يبكي الكرامُ على قطيعٍ ... تسيّره أساطين الضلالِ
ألا لا يستوي راعٍ غويٌّ ... وراعٍ لازم سنن الكمال
ألا يا (خادم الحرمين) : شكراً ... جعلت الكيدَ أوهى من خيالِ
أرادوا فتنةً كُبْرَى وخطّوا ... إذا بنُهاك أرزن من جبال !
وكانت حكمة (الفهد) انتصاراً ... على من رامَنا خطَبَ اشتعال
وأشرطة الحقائق حين تحكي ... تكذّب ما روى أهلُ الضَّلال
ومن يك (نايف) عضداً لديه ... يجد منه (المهنّد) للمعالي
سنا الحرمين يزداد انتلاقا ... ومكر المفسدين إلى زوالٍ !!
شعوب المسلمين تتيه فخراً ... بما قدّمتَ من سامي الفعال
وتسخر من (قرامطةٍ) عرايا ... قطيع الخزي (حزب أبي رغال)!!

« المسافرون ـ الرسام الفرنسي : بول لازرج »



من ديوان الشعر السعودي

الحج إلى بيتِ اللهِ الحرامِ

شعر فؤاد شاكر

أهلَّت بأفواجِ الحجيج المواكبُ ... وخفَّت إلى البيتِ الحرامِ المناكبُ

تدانت بهم من كل صقع محافلٌ ... وفاضت بهم من كلِّ حدبٍ نجائبُ

مشاةً ، وركباناً على كلِّ ضامرٍ ... فمن كل فجٍ أدرك الحج طالبُ

تلاقت على صدق العقيدة أخوةٌ ... يؤلفها من صادق الرأي صائبُ

جموعٌ تباريها جموعٌ كأنهـا ... عصائب طير ، تحتذيها ، عصائبُ

يحف بهم فيضُ الخشوع وهذه ... مدامعهم عبر الجفون مساربُ

إلى حيث بيت الله يعلو لواؤه ... ويعتز فيه من حمى الدين جانبُ

وتندى بآثار السجود جباههـم ... وتمضي بهم بين الشعابِ مآربُ

يظللهم من وارفِ الأمنِ نعمةٌ ... كأنَّ مجاليها عليهم ، مضاربُ

بني العرب والإسلام من كلِّ بقعةٍ ... ومن حاضرٍ منكم يلاقيه غائبُ

شهدتم على هذا الصعيد مظاهراً ... بها الوحدة الكبرى هنا تتجاوبُ

فمن هذه الدنيا مشارق أهلها ... تلاقى بهم في المشعرين مغاربُ

يظلكمُ فيها لـواءُ « محمـد » ... وتعلو بكم في الخالدين المراتبُ



عن ديوانه « وحي الفؤاد »

حديث الجمال في القرآن الكريم

بقلم : د. السيد رزق الطويل

الجمال ثالث ثلاثة من القيم الخالدة التي شغلت الفكر البشري منذ بدأت السيرة الإنسانية على ظهر الأرض لتحقق الرسالة التي من أجلها خلق الله الإنسان ، وهي العبودية الخالصة له وحده ، هذه القيم الثلاثة : الحق والخير والجمال .

وكان تناول الفكر الإنساني لها وهو بمعزل عن الدين الحق منذ فجر الفلسفة اليونانية حتى عصرنا الحاضر مثيراً ، مضطرباً ، متناقضاً ، هزيلاً تحولت هذه القيم الثابتة على يديه إلى قضايا نسبية ، وهذا شأن الفكر الإنساني عندما ينأى عن هداية الدين الحق ؛ إذ يتخبط في غياهب الوهم ، ويضل بوادي الظنون .

والجمال له جانبان : حسي ومعنوي ، وقد فشل الفكر الإنساني تماماً في وضع مقاييس ثابتة لهما جميعاً .

لكن الكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يتناول هذه القيمة تناولاً سديداً ، راشداً ، محكماً ، يجعلها تسهم في سمو المجتمع البشري ، ودفعه إلى تحقيق رسالته الكريمة .

ولقد ورد لفظ « جميل » و« جمال » في ثماني آيات من الكتاب العزيز . منها موضع واحد عن الجمال الحسي .

وتحدث في المواضع السبعة الباقية عن الجمال المعنوي والخُلُقي .

في الجمال الحسي

الجمال الحسي في كل موجود متناسق ، لا عوج في خلقه ، ولا اضطراب ، ولا تشويه والله تبارك وتعالى خلق الكون بما فيه ومن فيه على أكمل صورة ، وأجملها ، وأسماها ، وقدم الله تبارك وتعالى ظواهر هذا الكون الجميل في الكتاب العزيز شواهد على قدرته ، ودلائل على ربوبيته ، وآيات ناطقه بتوحيده .

يقول تبارك وتعالى في الحديث عن الأنعام وما فيها من جمال ومتاع : ﴿ **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** ﴾[1] . وهذه الآية تقدم صورة للجمال عندما تحس به النفس الإنسانية فيملأ جوانبها سعادة ومسرة ، والجميل في الآية أنها تقدم الرواح على السروح مع أن الواقع عكس ذلك ، وكان هذا لأن الإحساس بالجمال والمتعة بالأنعام عندما تعود من المرعى ممتلئة شبعى أكثر من الإحساس بها وهي ذاهبة غرثى .

وهذه هي الآية الوحيدة التي تتحدث عن الجمال الحسي بلفظ الجمال الصريح . وهناك آيات أخرى تتحدث عن الجمال في الكون بغير لفظه .

من ذلك حديث القرآن الكريم عن خلق الإنسان ؛ إذ قال تعالى بعد أن وصف مراحل الخلق التي مر بها الإنسان : ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾[2] ولا شك أن مخلوق أحسن الخالقين على أرفع مستوى من الجمال والإتقان .

وهناك آيات أخرى تكشف عن ظواهر الجمال في خلق الإنسان وهي تتمثل في التسوية ، والتعديل والتقويم ، فيقول تعالى : ﴿ **ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ربك** ﴾[3] ويقول : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[4] .

وفي حديث عن الجمال في السموات والأرض يقول سبحانه : ﴿ **بديع السموات والأرض** ﴾[5] ومعنى هذا تأكيد جوانب الإبداع في أنحاء الكون الكبير .

وفي موطن آخر يقدم القرآن صوراً بديعة من جمال الكون ، برهاناً على البعث ، فيقول تعالى : ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم ، كيف بنيناها وزيناها ، ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد .**

والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾[٦] .

فنلمح من مظاهر الجمال التي أبرزتها الآيات كلمة : وزيناها مما يجعل الزينة وهي من أبرز عناصر الجمال عنصراً في بناء الكون ، وكذا قوله تعالى ﴿ **ومالها من فروج** ﴾ والإتساق والتكامل من مظاهر الجمال وكذا قوله تعالى : « من كل زوج بهيج ، حب الحصيد ، والنخل باسقات ـ طلع نضيد » وهذه العبارات كلها تصور أنماطاً من الجمال لها مغزاها الكبير .

وهذه الصور الجمالية في الكون العظيم ترددت في عدة آيات .

منها قوله تعالى : ﴿ **الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين** ﴾[٧] .

فتناسق الخلق ، والتنائى عن العيب مظهراً أصيل للجمال ، وتزيين السماء بالنجوم يجعل الجمال هدفاً في الخلق ، أشارت إليه الآيات من سورة ق ، وأوضحته الآيات من سورة الملك ، كما ذكرته أيضاً هذه الآية ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظاً من كل شيطان مارد** ﴾[٨] .

كما تتحدث آيات الكتاب العزيز في مواطن أخرى عن نبات الأرض ، وماله من صورة جمالية آخاذة مثل قوله تعالى : ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ، وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه** ﴾[٩] .

ويقول تعالى : ﴿ **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾[١٠] .

ومن مظاهر الجمال في الكون : المال بصوره المختلفة حرثاً أو ذهباً أو فضة ، أو خيلاً ، أو أنعاماً ، والبنون ، وقد أكد القرآن هذه الحقيقة ، وأعقبها بموازنة لها قيمتها في منهج المؤمنين حتى لا يشغلهم جمال الفانية عن نعيم الباقية ، فقال جل شأنه : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار ... الآيات** ﴾[١١] وقال سبحانه : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾[١٢]

ومن جمال الحياة الثياب يلبسها الإنسان فتستره ، وتُجَمّله يقول تعالى : ﴿ **يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير** ﴾[١٣] .

وهكذا تختم هذه الآية بما يؤكد النظرة الإسلامية للجمال ، وهي أن الجمال المعنوي والنفسي الماثل في الاستمساك بمناهج الدين أولى بالاعتبار ، وأجدر بالحرص عليه ، والأخذ به .

ومع أن المنهج الإسلامي يؤثر الجمال المعنوي ، وجمال الحياة الباقية ، لكنه يرعى حاجات الإنسان ومطالبه الغالبة في الدنيا ، بل يغريه بقضائها إغراءاً ملحاً في إطار الطيب والحلال الذي يزيد الجميل جمالاً فيقول : ﴿ **يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾[١٤] إن البيان القرآني يعرض الجمال عنصراً أساسياً في بناء الكون ، ودعامة من دعامات الدين الحق ، وشريعته السمحة ، وقد جاء في الأثر : « إن الله جميل يحب الجمال » .

والنفس الإنسانية الكاملة بإيمانها الصحيح ترى الجمال صفة جوهرية فيها ، تنطلق منها إلى آفاق السمو والكمال البشري .

الجمـــال المعنـــوي

وهذا يدفعنا إلى تدبر ما قاله القرآن الكريم في مجال الجمال المعنوي لقد جاء الجمال المعنوي في القرآن الكريم مقروناً بأنماط شتى من السلوك البشري وقد تعجب لبعضها !! مالها وللجمال حتى تقترن به ؟! إنها من ألوان السلوك غير المستحب ، ومن أنواع الحلال البغيض عند الله الذي شرعه ليتيسر للحياة أسباب الجمال !!!

لقد اقترن الجمال بالصبر .
واقترن بالصفح .
واقترن بسراح المرأة من عصمة الزوجية .
واقترن بالهجر .

إن الصبر من أعظم الصفات التي تزداد بها النفس جمالاً ، وكمالاً والصبر الجميل هو الذي تزدان النفس فيه باليقين والثقة ، وتمتلىء بالأمل ، ويغمرهما بالرجاء في الله ، وتكون بمنآى عن الجزع والفزع والسخط على القضاء .

وجاء في الحديث عن الصبر الجميل في موضعين ، كلاهما في سورة يوسف .

• **أولهما** : على لسان يعقوب عليه السلام ، وقد جاءه أبناؤه ، يخبرونه بأن يوسف أكله الذئب ، وبرهنوا على قولهم بدم كذب على قميصه ، وبرغم الفاجعة الرهيبة على قلب الأب المؤمن واجه الأمر بأناة

بالغة ، وثقة عظيمة ، جعلته يحس أن الأمر على غير ما صور أبناؤه ، وتذرع بالصبر الجميل يقول تعالى على لسانه : ﴿ **قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون** ﴾[١٥] .

● ثانيهما : على لسان يعقوب أيضاً عندما جاءه نبأ احتجاز ابنه الثاني في سجن العزيز بمصر ، وبرغم تتابع المحنة ، وعمقها في وجدان الشيخ الرسول لكن ما يزال للصبر الجميل الغلبة على مشاعره فقال : ﴿ **بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم** ﴾[١٦] .

ويقترن الجمال بالصفح ، وهو من أسمى الصفات ؛ إذ هو يعني التغاضي عن إساءات الآخرين . وقد طلبه الله تبارك وتعالى من نبيه في مواجهة المعرضين المكذبين من قومه ، مبيناً له أنه صاحب رسالة مهمتها الهداية ، وعقاب الضالين مرجعه لرب العالمين ، والساعة آتية لا ريب فيها فقال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وإن الساعة لآتية ، فاصفح الصفح الجميل** ﴾[١٧] .

والصفح في حد ذاته جميل ، وعندما يتصف بالجمال يكون صفحاً لوجه الله ، لا يجعله صاحبه حديثاً يذكر به بين الناس .

وقد ذكر القرآن الكريم الصبر الجميل في موطن ثالث أمر الله به نبيه محمداً عليه السلام في مواجهة الباغين من قومه ، مشيراً إلى أن يوم الحساب كفيل بردع ظالمهم وباغيهم فقال تعالى : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج ، تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . فاصبر صبراً جميلاً** ﴾[١٨] .

وقد نقول : إن الجمال في الصبر والصفح قد يكون مألوفاً ، لكن ماذا نقول في جمال الهجر وجمال السراح ، وهما لون من المقاطعة ؟!!

إن القرآن بهذا يعطي بعداً جديداً للسلوك الإنساني ، وأن الجمال مطلوب ومرغوب حتى في السلوك الذي لا يخلو من ألم ومعاناة .

لقد أساء المشركون إلى الرسول الكريم ، وأمر الله في معاملتهم بالهجر مع الصبر ، والهجر قد يتنافى مع مهمة الداعية ، لكن الهجر الذي أمر الله به نبيه الهجر الجميل الذي يشعر المهجور بسوء تصرفه ، وضلال سعيه مع استبقاء البر به ، والود له فقال تعالى : ﴿ **واصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجراً جميلاً** ﴾[١٩] .

وسراح المرأة أن تكون في حل من رابطة الزوجية ، فهو الطلاق ، وهو أبغض الحلال إلى الله ، لكنه مع وقعه الأليم على النفس عندما يقترن بالجمال نحصل على ثمراته ، ونناى عن سوءاته ، ويجمل السراح عندما تفارق المرأة بيت الزوجية من غير غبن ، أو قهر ، أو انتقاص للحقوق ، بعيداً عن البغي والعدوان .

وذكر السراح الجميل مرتين في الكتاب العزيز ، وكلتاهما في سورة الأحزاب .

● **أولاهما** : في تخيير **النبي** لزوجاته عندما سألته التوسعة في النفقة فقال رب العالمين لنبيه : ﴿ **ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعكن ، وأسرحكن سراحاً جميلاً** ﴾[٢٠] .

● **وثانيتهما** : مطالبة الأزواج الذين يطلقون الزوجات قبل الدخول ، بأن يمتعوا الزوجات ، والمتعة كسوة ملائمة لمكانة المرأة ومستواها الاجتماعي ، ثم السراح الجميل دون بغي على الحقوق ، وتعقب بالإساءة فقال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن ، وسرحوهن سراحاً جميلاً** ﴾[٢١] .

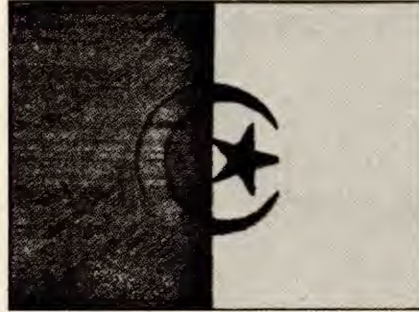
هذا هو حديث الجمال في القرآن الكريم يعطي مقاييس ثابتة راشدة للجمال المادي ، كما يعطي أبعاداً جديدة للجمال المعنوي بحيث يتحراه الإنسان في إقباله وإعراضه ، في حبه وكراهيته ، في ثوابه وعقابه ، في منحه ومنعه . والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .



الهوامش

(١) سورة النحل آية ٦ .
(٢) سور المؤمنون آية ١٤ .
(٣) سورة الانفطار الآيات ٦ ـ ٨ .
(٤) سورة التين آية ٤ .
(٥) سورة الأنعام آية ١٠١ .
(٦) سورة ق الآيات ٦ ـ ١١ .
(٧) سورة الملك الآيات ٣ ـ ٥ .
(٨) سورة الصافات الآيتان ٦ ، ٧ .
(٩) سورة لقمان الآيتان ١٠ ، ١١ .
(١٠) سورة الحج الآية ٥ .
(١١) سورة آل عمران الآيتان ١٤ ، ١٥ .
(١٢) سورة الكهف آية ٤٦ .
(١٣) سورة الأعراف الآية ٢٦ .
(١٤) سورة الأعراف الآيتان ٣١ ، ٣٢ .
(١٥) سورة يوسف الآية ١٨ .
(١٦) سورة يوسف الآية ٨٣ .
(١٧) سورة الحجر آية ٨٥ .
(١٨) سورة المعارج الآيات ١ ـ ٥ .
(١٩) سورة المزمل آية ١٠ .
(٢٠) سورة الأحزاب آية ٢٨ .
(٢١) سورة الأحزاب آية ٤٩ .





العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية

بقلم: د. أبو القاسم سعد الله

يذهب بعض الباحثين إلى التفريق بين الدين والوطنية في الجزائر ، ويرون أن المقاومة التي دامت منذ عام ١٨٣٠ م إلى العشرينات كانت مقاومة دينية ؛ أما « الوطنية » فلم تظهر إلا خلال العشرينات وبالضبط بعد إنشاء نجم الشمال الأفريقي . وهم يرون أن ظهور هذه المنظمة قام على المفهوم « السياسي » للمقاومة ، ومن ثمة المفهوم الوطني بدل المفهوم الديني[١] .

ويمكننا أن نقول بهذا الشأن أن الحركة الوطنية الجزائرية ظلت تعتمد ، إلى حدّ كبير ، على الدين طيلة العهد الاستعماري . فسواء تعلق الأمر بحركة الجهاد التي استمرت طيلة القرن الماضي أو تعلّق الأمر بالنضال السياسي منذ الحرب العالمية الأولى ، فإن العمود الفقري في كل تحرك ضد القوى الاستعمارية هو ، في نظرنا ، العامل الديني . ونعني أن الأمر كان كذلك حتى بعد ظهور منظمة النجم . وقد ازداد هذا العامل ظهوراً وقوة أثناء الثورة التحريرية ، ولم يكن يختفي إلاّ منذ برنامج طرابلس ١٩٦٢ م .

عوامل ظهور المنظمات

وليس غرضنا هو تقييم الأيديولوجية الوطنية منذ ١٨٣٠ م ، ولا التداخل الفكري الذي حدث في برامج وأهداف المنظمات الوطنية منذ ١٩١٩ م وإلى ١٩٦٢ م ، وإنما غرضنا محاولة البحث عن العامل أو العوامل التي كانت وراء ظهور المنظمات الوطنية خلال العشرينات ، وبالأخص « **منظمة النجم** » . فهل كان الدين وحده وراء ذلك ؟ أو كانت العلمانية وحدها وراءه ؟ أو كان هناك خليط من هذا وذاك ؟

ولعله من المفيد التذكير ببعض العناصر المتعلقة تعلقاً مباشراً بالموضوع . أن **الحملة الفرنسية** ضد الجزائر قد قررها **شارل العاشر** اليسوعي المتحمس ، وباركها **البابا** وأيدتها الكنيسة في فرنسا وفي غيرها من أوروبا . **وبعد نجاح الحملة تهاطل على الجزائر المبشرون ، وأخذت السلطات العسكرية تهدم المساجد وتحول بعضها إلى كنائس وتستولي على الأوقاف الدينية ، وكل هذا يعطي للغزو الفرنسي طابعاً صليبياً واضحاً ، لا يختلف كثيراً عن الطابع الصليبي الذي ميَّز الحروب الصليبية القديمة المعروفة في المشرق ثم في الأندلس .**

ثم إن القوانين الاستثنائية التي أصدرتها السلطات الاستعمارية بشأن الجزائريين كانت كلها تقوم على الروح الصليبية ، ولو كانت في ظاهرها تخفي ذلك . ويدخل في ذلك **قانون إلغاء القضاء الإسلامي ، وقانون الجنسية** الصادر سنة ١٨٦٥ م ، وإهمال التعليم الإسلامي ، وإطلاق الحرية للمبشرين ولا سيما « **منظمة الآباء البيض والأخوات البيض** » وتسليط المستشرقين الفرنسيين للطعن في الإسلام وتراثه ، وعدم تطبيق مبدأ « فصل الدين عن الدولة » بالنسبة للإسلام ، **كل ذلك وغيره من القوانين الاستثنائية تجعل من الوجود الفرنسي ليس مجرد سلطة احتلال سياسي واستغلال اقتصادي ولكن قوة صليبية تحمل معها أضغان الماضي بكل بشاعتها**[٢] .

المقاومة الجزائرية

فبماذا ردّ الجزائريون على ذلك ؟ إن المقاومة التي أعلنوها في المدن والأرياف كانت بالأساس دينية أيضاً ، أي أنها كانت من جنس الفعل ، فالغزو



العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية

الصليبي قابلوه بإعلان الجهاد . ولو أن الفرنسيين غزوا الجزائر اقتصادياً واستراتيجياً كما فعل زملاؤهم الإنجليزي بالهند مثلاً ، لكان من المحتمل أن تكون ردود الفعل الجزائرية غير دينية . ومع ذلك فالجهاد بالمفهوم الجزائري عندئذ كان يحتوي المعنى الديني المحض ، أي الحرب في سبيل الله وحده وطلب الشهادة أملاً في دخول الجنة ، ويحتوي أيضاً المعنى السياسي الصافي وهو الحرب في سبيل تحرير الوطن من الغازي المغتصب ، أملاً في العيش الكريم وابتغاءً للحرية . وهذا المفهوم للجهاد هو عين الوطنية أو هو « الوطنية السياسية » كما سماها بعض الباحثين . ونحسب أن الجهاد بالمفهوم الإسلامي الحقيقي لا يخرج أيضاً عن الدين والسياسة ، خلافاً لما نعته به أعداء الإسلام ، وهو **الحرب المقدسة** (Holy War و La Guerre Sainte) . فالجهاد الحقيقي يعني طلب الشهادة وطلب الحرية معاً . وفي الأثر : (**أطلب الموت توهب لك الحياة**) .

حكـــم السيـــف

وبعد أن سيطر الاستعماريون على الجزائر ، مُدناً وأريافاً ، بطرق مختلفة ، شملت التقتيل والتهجير والنفي والإرهاب والترويض ... وهي الطرق التي لخصوها هم في كلمتين (**حكم السيف**: Le Régime du sabre)[3] ، قلنا بعد سيطرتهم التامة التفتوا إلى مكامن الخطر في نظرهم وجنَّدوا لها سلاحهم الجديد ، وهو ليس السلاح المادي ، ولكن السلاح المعنوي . لقد لاحظوا أثناء اتصالهم بالشعب الجزائري مدى التلاحم والارتباط العضوي بين أجزائه في السراء والضراء ، ولاحظوا أيضاً أن مادة ذلك التلاحم والارتباط هو الدين . فعملوا على تفتيت تلك المادة بإثارة النّعرات القبلية والجهوية والعائلية . وقد ظهرت آثار هذه السياسة بالخصوص في ميدان التعليم وميدان التشريع ، **فلم يعد الجزائريون يتلقون تعليماً واحداً ، ولا يحصلون على نفس الاهتمام ، ولا يخضعون لتشريع إسلامي واحد . ومن الواضح أن هذه السياسة تتماشى تماماً مع الأهداف الصليبية (الدينية) من جهة والرومانية (السياسية) من جهة أخرى .**

الزوايا والمعاهد الإسلاميــة

كما لاحظ الخبراء الفرنسيون أن زعماء حركة الجهاد التي تولت محاربتهم كانوا ينبثقون من المعاقل الدينية المنتشرة عبر الوطن ، ونعني بها الزوايا والمعاهد الإسلامية التي كانت منذ قرون تعتني بالجهاد عند الخطر وتعتني بالعلم والتصوف عند المسلم . ولم تكن الطرق الصوفية المرتكزة حول الزوايا والمعاهد كلها طرقاً محاربة أو مجاهدة من حيث المبدأ ، ولم تكن كلها أيضاً ناشرة للعلم عملياً ، ولكن أغلبها كان كذلك زمن التسلط الاستعماري ـ الصليبي . ومن أبرز تلك الطرق في القرن الماضي : **القادرية** ، **والرحمانية** ، **والشيخية** . وقد أنجبت الأولى **الأمير عبد القادر** ، والثانية **للافاطمة نسومر والشيخ الحداد** ، والثالثة **الشيخ بوعمامة** .

الـدور العدائـي ضـد الاستعمـار

إن خبراء الاستعمار قد تفطنوا إلى الدور العدائي المزدوج الذي لعبته الطرق الصوفية ضدهم ، فعملوا على تقليم أظافرها وتدجينها . ونعني بالدور العدائي المزدوج :

(أ) المحافظة على الوحدة الوطنية بالمحافظة على القيم والتعاليم الإسلامية .

(ب) الدعوة إلى الجهاد والاستشهاد دفاعاً عن الدين والوطن .

وهكذا توجهت أنظار أولئك الخبراء (من علماء النفس ، والانثروبولوجيا ، والأديان ، واللغات ... إلخ) إلى تحييد الطرق الصوفية بوسائل عديدة ، منها الوعد والوعيد ، كشراء الذمم وتولية الوظائف الدنيوية والتجزئة ، إلخ . فلم تأت **الحرب العالمية الأولى** حتى تدجَّنت الطرق الصوفية وأصبحت ضالعة إرادياً أحياناً وغير إرادي أحياناً أخرى في ركاب الاستعمار . ولعل أبرز ظاهرة شهدتها هذه الفترة هي اختفاء روح الجهاد عند هذه الطرق التي أصبحت في الواقع أدوات لتنفيذ أوامر ورغبات الاستعمار مثل تخدير الشعب وتأييد السياسة الاستعمارية .

الحركات الإصلاحية في المشرق

ولكن الجزائر جزء من العالم الإسلامي الواسع الأرجاء ، وهي بذلك تتأثر بما يحدث فيه من تطورات . ففي الوقت الذي اعتقد فيه خبراء الاستعمار أنهم سيطروا على الجزائر سيطرة كاملة مادياً ومعنوياً ، وقضوا فيها على حركة الجهاد ودجَّنوا الطرق الصوفية ، وشرنموا المجتمع ، وأخذوا يتحدثون عن الجزائر الرومانية ـ المسيحية ـ الفرنسية إلى الأبد[4] ـ ظهرت في المشرق حركة إسلامية شاملة هدفها الثورة على الاستعمار والدعوة إلى قوة الإسلام بالعودة إلى أصوله الأولى . ولست في حاجة إلى ذكر أسماء دعاة الإصلاح والنهضة الإسلامية في **الهند ومصر وتركيا والجزيرة العربية وتونس** . فأسماء **سيد أحمد خان** ، **ومحمد بن عبد الوهاب** ، **وجمال الدين الأفغاني** ، **ومحمد عبده** ، **وخير الدين التونسي** ، واضرابهم ، لا تكاد تنساها ذاكرة التاريخ . ومهما كان الأمر فإنه لم يكد ينفتح باب **القرن العشرين** حتى هبت رياح الشرق على الجزائر تحمل الدعوة إلى النهضة الإسلامية ، ونحسب أن معارضة **التجنيد الإجباري** سنة ١٩١٢ م كانت تحت تأثير تلك الدعوة إلى حد كبير .

ثم كانت الحرب العالمية الأولى التي غيّرت مفاهيم دينية كثيرة أيضا . فقد أُجْبِر المسلمون الهنود والأتراك والجزائريون وغيرهم على محاربة بعضهم بعضاً . فكان ذلك بداية لوقفة تأمل طويلة لمراجعة قادة العالم الإسلامي ، بما فيهم قادة الجزائر ، علاقاتهم بالقوى التي تستعمرهم . كما أفرزت الحرب نفسها أوضاعاً وأفكاراً جديدة . ومنها الثورة الروسية وسقوط عدد من الامبراطوريات (الروسية ، والألمانية ، والعثمانية ، والنمساوية) ، وطرح مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ، واستقلال بعض الشعوب التي كانت بالأمس أجزاء من الامبراطوريات المذكورة ، وظهور الأحزاب الشيوعية .. إلخ .

الجبهة الداخلية في الجزائر

ويهمنا نحن المسلمين الجزائريين أن عقد العشرينات قد افتتح بعدة تطورات كان الدين وراءها في أغلب الأحيان . فمن الجبهة الداخلية نجد **حركة الأمير خالد** التي نادت بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين مع احتفاظ الأولين بأحوالهم الشخصية الإسلامية . وقد اعتبر المحللون المعاصرون هذه الحركة تعبيراً إسلامياً قوياً متخذاً من صناديق الانتخاب مجالاً له ، كما اعتبروها جزءاً من تحرك العالم الإسلامي الشامل نحو النهضة والانعتاق . ولم تكن حركة الأمير خالد وحدها في الميدان ، فقد تعززت بحركة **ابن باديس** التي انطلقت في ثلاثة ميادين ، هي : التعليم الحرّ ، والوعظ والإرشاد ، والإعلام الصحفي ، وكلها كانت تهدف إلى الإصلاح الديني والاجتماعي . ونحن نقول « **الإصلاح الديني والاجتماعي** » لأن حركة ابن باديس وجهت اهتمامها إلى إخراج الشعب الجزائري من التخلف العقلي الذي تحالفت على تكريسه الخرافات الطرقية (أو الطرق الصوفية ، بعد أن أصبحت أداة في يد الإدارة الاستعمارية) والجهل .

وفي هذا المجال يجب أن لا نهمل الدور الذي قام به المُحْسنون الجزائريون الذين كانوا مدفوعين بواعز ديني قوي عندما أنشأوا في العشرينات أيضاً : مدارس حرة من أموالهم لتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم ، وأنشأوا الملاجئ للفقراء والمساكين . وقد ختموا جهودهم بإنشاء (**نادي الترقي**) سنة ١٩٢٧م الذي صادف تأسيسه مرور قرن على الحصار الفرنسي للجزائر سنة ١٨٢٧م .

الجبهـة الخـارجيـة

أما من الجبهة الخارجية فعقد العشرينات شهد أحداثاً إسلامية كان لها أثر على مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية . ولا نستطيع هنا أن نذكر كل الأحداث التي عرفها العالم الإسلامي عندئذ ، وحسبنا القول بأن إلغاء الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤ م قد هزَّ مشاعر المسلمين الجزائريين وجعل بعضهم يفكر في البدائل ، ومن هؤلاء الأمير خالد الذي شارك في **مؤتمر القاهرة حول الخلافة** ، والشيخ **أبو يعلى الزواوي** الذي كتب يقترح إنشاء (**جماعة المسلمين**) بديلاً عن الخلافة . أما الحادث الثاني الذي نود الإشارة إليه فهو انتصار السعوديين على خصومهم وإعلان **الدولة السعودية** سنة ١٩٢٥ م وهذا الحادث يعني من جهة أخرى انتصار المذهب الوهابي أو التوحيدي ـ كما يسميه أصحابه ـ وهو المذهب الذي كانت أصداؤه تصل إلى الجزائر ، وطالما وجهت الصحف الفرنسية تهمة التأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزائر ، ولا سيما الشيخان **العقبي والإبراهيمي** ، وكلاهما كان حديث العهد بالعودة من المشرق إلى الجزائر بعد أن ملأ وطابه بأفكار ومذاهب المشرق ، وفي مقدمتها الفكر الإصلاحي ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وأخيراً نذكر انعقاد عدة مؤتمرات إسلامية للنظر في قضايا العالم الإسلامي ، ومنها قضية الخلافة . وقد ذكرنا مؤتمر القاهرة ، ومنها أيضا **مؤتمر الهند** سنة ١٩٢٩ م ، ثم **مؤتمر القدس** ١٩٣٠ م ، وقد كان لهذا المؤتمر بالذات أبعاد خاصة في الجزائر ، إذا كانت الدافعة ، كما يقول البعض ، إلى دعوة « **المؤتمر الإسلامي الجزائري** » سنة ١٩٣٦ م(٥) .

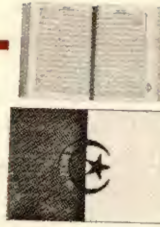
والمهم في كل ذلك هو أن تيار الحركة الوطنية في الجزائر كانت تغذيه عوامل دينية سلبية في الداخل ، وعوامل دينية إيجابية من الخارج . ففي حين كان الدين الإسلامي مضطهداً في الجزائر ، في الجنسية ، في المؤسسات ، في الشعائر ، إلخ . كانت تباشير النهضة الإسلامية تلوح في الأفق وتشجع الجزائريين على الإلحاح في طلب حقوقهم كمسلمين أحرار ، ومن ذلك استقلال بعض الشعوب الإسلامية ، وانتصار الدعوة الإصلاحية في نجد ، وانعقاد المؤتمرات والتجمعات الإسلامية .

ومن حقنا الآن أن نتساءل : إذا كان تاريخ الجزائر يشهد على العمق الديني الذي تميزت به المقاومة الشعبية للعدو ، وإذا كانت المعاملات الصادرة عن هذا العدو كلها تقريباً تكتسي طابعاً دينياً (صليبياً) فلماذا لم يظهر الدين كعامل سياسي قوي في برامج الأحزاب والمنظمات التي برزت خلال العشرينات ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نستعرض باختصار أهم التنظيمات التي ظهرت خلال هذه الفترة . لقد عرفنا أن الأمير خالد خاض الانتخابات على أساس وطني ـ إسلامي ، وأنشأ جمعية هي (الإخوة الإسلامية) . وكان يمكن لحركة الأمير خالد أن تسير بالجزائر في اتجاه وطني إسلامي لو لم تبادر سلطات الاحتلال إلى نفيه وتغليب خصومه عليه خوفاً من مغبة اتجاهه . وبذلك تراجع المد الوطني الإسلامي في الجزائر . ذلك أن الفئة المعروفة بالنخبة الاندماجية من أمثال **ابن التهامي** كانت تفتقر إلى الاتجاه الوطني والإسلامي معا ، ولا يمكن أن تكون بديلاً لحركة الأمير خالد إلاّ في نظر السلطات الاستعمارية .

وعندما تكونت (**اتحادية النواب**) سنة ١٩٢٧ م ، ولم تكن تلبية لطموح وطني ـ إسلامي في قلب الجماهير الجزائرية . ذلك أنها كانت تتألف من عناصر النخبة الاندماجية وعناصر القيادات المحلية التي كانت لا تتحرك إلاّ في إطار الشرعية الاستعمارية . ولم يكن رجال الدين ـ وخصوصاً رجال الطرق الصوفية ـ يتمتعون بضمير وطني (سياسي) يعبر عن النبض الإسلامي الواعي بخطورة المرحلة . فقد عرفنا أن معظم رجال الطرق الصوفية أصبحوا مدجنين يتفاعلون ولا يفعلون ويأتمرون ولا يأمرون . ومن أبرز هذه الطرق خلال العشرينات : **التيجانية والعليوية وبعض فروع الرحمانية** .

وبحكم فلسفته المادية لم يكن التنظيم الشيوعي ولا الاشتراكي في الجزائر يؤمن بالاتجاه الوطني ولا الإسلامي . يضاف إلى ذلك أن الرؤية لم تكن واضحة بعد عند أصحاب هذا التنظيم حول العلاقة بين المُسْتَعْمِر والمُسْتَعْمَر . ذلك أنهم كانوا لا يملكون جواباً محدداً على السؤال التالي : هل الجزائر مستعمرة أو جزء من الوطن الفرنسي ؟ كما أن العناصر التي تقبلت المذهب الشيوعي والاشتراكي كانت في أغلبها ، وخصوصاً قيادتها ، من الأوروبين الذين لا تربطهم بالوطنية الجزائرية ولا بالإسلام أية رابطة . فلا غرابة أن يختفي العامل الديني إذن من برنامج هذا التنظيم . على أنهم وإن استعملوا الدين والوطنية في مناشيرهم



العاملُ الدينيُ في الحركةِ الوطنيّةِ الجزائريّة

وخطبهم وصحفهم إنما كان ذلك لكسب الجماهير وليس هدفاً في حد ذاته .

هكذا إذن كانت الحياة السياسية في الجزائر خلال العشرينات ـ إنها حياة بدون تنظيم وطني (سياسي) ـ إسلامي محدد . وأمام هذا الفراغ الخطير كان غلاة الاستعمار يستعدون للاحتفال المئوي للاحتلال ، وتكريس الشرعية الاستعمارية عن طريق استعراض عضلات القوة ، والكتابات « العلمية » ، والاحتفالات الشعبية(٦) . إنه التحدي السافر للتاريخ ، وللعالم الإسلامي الناهض ، وللوعي الوطني الذي فجرته في الشعوب مبادئ **الرئيس ويلسون والثورة البولشفية** .

فمن يقبل التحدي باسم الجزائر ويتقمص نداؤه حركة التاريخ القائمة على الدين والوطنية معاً ؟ إن هناك في نظري تنظيمين توليا هذه المسؤولية التاريخية ، أحدهما كان في الجزائر نفسها وثانيهما كان في فرنسا . وكلاهما لم يقبل التحدي منذ الوهلة الأولى ، بل انتظر مدة حتى تكتمل له شروط معينة . وكلاهما لم يبدأ كما انتهى ولا انتهى كما بدأ . ونعني بهما **نجم الشمال الأفريقي وجمعية العلماء** .

فقد كان النجم وليد ظروف معينة سنة ١٩٢٦ م تداخلت فيها تطورات الوضع بالمغرب العربي (نفي الأمير خالد ، وثورة الأمير الخطابي ..) والتطور الأيديولوجي العالمي (الصراع بين تقرير المصير والاستعمار ، والشيوعية والرأسمالية) يضاف إلى ذلك الوضع الاجتماعي ـ الإنساني للمهاجرين ، وأحوال المسلمين في العالم عامة . وليس هنا محل تفصيل للظروف التي ولد فيها النجم ، وحسبنا أن نقول إنه لم يولد كتنظيم وطني ـ إسلامي من الوهلة الأولى ، ولا كان ذلك هو هدف الذين سعوا لإنشائه أول مرة . ولكن زعماء النجم أخذوا يعدّلون خط سيرهم بالتدرج إلى أن أضافوا إلى ذلك البعد الإسلامي . ويجب أن نلاحظ أن ذلك التحول في خط السير كان طويلاً ومعقداً وبطيئاً .

ومن جهة أخرى تطورت حركة الإصلاح الديني والاجتماعي إلى أن انتهت بميلاد **جمعية العلماء** سنة ١٩٣١ م . لقد ظلت هذه الحركة مجرد أنشطة متفرقة خلال العشرينات لا يجمعها جامع ولا هدف محدد ولا برنامج دقيق ، كانت تتمثل في جهود فردية وقناعات شخصية بضرورة الإصلاح ، وكثيراً ما التقت الجهود والقناعات في الوسائل والأهداف ولكنها لم تبرز في شكل تنظيم وقيادة ، ولكن هناك ظروف أخرى (غير التي مهدت لميلاد النجم) جعلت ميلاد جمعية العلماء أمراً يكاد يكون محتماً من الوجهة التاريخية . فأمام انعدام الاتجاه الوطني ـ الإسلامي في الجزائر ، خصوصاً بعد نفي الأمير خالد ، والتحدي السافر بالاحتفال المئوي ، ودعوة النخبة إلى الاندماج ، وسلبية الطرق الصوفية ـ بات من المحتم أن تنتظم تلك الجهود الفردية والقناعات الشخصية في جمعية دينية ـ وطنية تكرس المقاومة للاحتلال في صيغ جديدة تتماشى مع الصحوة الإسلامية والمد الوطني لدى الشعوب . ولذلك قلنا إن ظهور جمعية العلماء كان « حتمياً » أمام ذلك الفراغ الوطني ـ الإسلامي ، ولكنها انتهت هي أيضاً إلى شكل وطني ـ سياسي ـ إسلامي . كما أن النجم خرج من بدايته المغربية ـ الاجتماعية ـ العالمية إلى شكله الوطني ـ الثوري ـ الإسلامي .

هذه بعض الأفكار حول تطور الجزائر خلال العشرينات ، وكيف كان العامل الديني يتفاعل خلال هذا التطور .وأن بعض ما قلناه عن النجم وعن جمعية العلماء لا يصدق عليهما إلا بعد حينٍ من نشأتهما ، أي بعد عقد العشرينات . وليس هناك تنظيم يبقى على ما ولد عليه إلاّ ما شذّ ، لأن هناك ظروفاً وعوامل إنسانية وموضوعية وتاريخية تفرض التطور والتحول . وقد انتقل مقر النجم من فرنسا إلى الجزائر وتبدل اسمه عدة مرات إلى أن استقرّ على اسم (**حزب الشعب الجزائري**) وعرف قادته أن ممارسة السياسة في الجزائر غير ممارستها في فرنسا نفسها ، كما عرفتْ جمعية العلماء تغييراً في القيادة ومشاركة في الأحداث السياسية . والتقى التنظيمان على أكثر من صعيد واختلفا على أكثر من نقطة . ولكنهما كان في نظرنا يكملان بعضهما البعض ، ولذلك فمن الخطأ إسناد دور البطل إلى واحد منهما فقط .

فإذا رجعنا إلى حيث بدأنا أمكننا القول بأن الحركة الوطنية بدأت بتلاحم الدين (الجهاد) والسياسة ، وفي الفترة بين ١٩٢٠ ـ ١٩٥٤ م كانت السياسة فيها تتغلب على الدين إلا عند الإصلاحيين ، وبين ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢ م عاد التلاحم فيها بين الدين والسياسة . ولكن برنامج طرابلس قد غلب السياسة على الدين . ويبدو أننا ما نزال نعيش على مبادئ هذا البرنامج رغم اختلاف المسميات وتعدد التنقيحات .

الهــوامـــش

★ بحث قدم وألقى في ندوة (نجم شمال أفريقية والحركة الوطنية الجزائرية) بالمركز الثقافي الجزائري في باريس ، يوم ٢٧ فبراير ، ١٩٨٧ م .

(١) انظر ايمانويل سيفان E. Sivan « نجم أفريقية الشمالية وجذور الوطنية الجزائرية » ، في (مجلة المغرب) ـ بالإنجليزية ـ مجلد ٣ ، عدد ٥ ـ ٦ ، يناير ـ أبريل ، ١٩٧٨ م ، ص (١٧) .

(٢) تناولنا هذه النواحي بالتفصيل في كتبنا وأبحاثنا عن تاريخ الجزائر . ومنها (الحركة الوطنية الجزائرية) جـ ٢ ، ط ٣ ، الجزائر ١٩٨٢ م . وبحث « مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي ـ دراسة مركزة على الجزائر ١٨٣٠ ـ ١٩٥٤ م » ، مجلة الثقافة ، عدد ٧٩ .

(٣) انظر شارل روبير آجرون Les Algériens musulmans et la France,... t, II, P. 1229 .

(٤) من ذلك كتابات غلاة الاستعمار من أمثال الأديب لويس برتران L. Birtrand في مجلة (أفريقيا الرومانية L'Afrique Romaine) .

(٥) هكذا يرى البروفيسور ارنولد توينبي A. Toynbee صاحب النظرية الحضارية المعروفة « بالتحدي والاستجابة » ، انظر (مدخل إلى الشؤون الدولية) ، سنة ١٩٣٧ م ، جـ ٩ ، Survey of International Affairs, 1937 , I, 1938.

(٦) من المعروف أن الاحتفالات بالاحتلال دامت ثلاث سنوات على الأقل ١٩٢٧ ـ ١٩٣٠ م ، ثم تلتها الاحتفالات باحتلال قسنطينة ١٩٣٧ م . وقد ظهرت كتابات كثيرة حول هذه المناسبة ، سميت بـ « المجموعة المائوية الجزائرية : Collection de Centenaire de l'Algérie » .

الدَوْرُ التربَوي لِلمَسْجد

بقلم : د . فرغلي جاد أحمد

الحديث عن المسجد إنما هو حديث عن المؤسسة التربوية الرئيسية في الإسلام التي ساهمت في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية وهما دعامتا الحضارة العربية الإسلامية .

وإذا كان البعض يعتبر عام ٤٥٩هـ حداً فاصلاً بين عهدين في تاريخ المؤسسات التعليمية الإسلامية ، ففي هذا العام أنشئت المدرسة النظامية في بغداد مؤذنة ببداية عهد تعليمي جديد انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب والقصور والمساجد ودور الحكمة وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء إلى المدارس المنظمة . فإن هذا لا يقلل من دور المسجد كأول مؤسسة انطلق منها شعاع العلم والتعليم في الإسلام على كافة البشر حيث كان يلتقي فيه الطلاب بالعلماء يناقشون ويتحاورن فيما يعن لهم من مشكلات ومسائل فقهية أو علمية بحتة حتى قيل بحق ان آلاف أعمدة المساجد التي كانت منتشرة في الإسلام كانت محاطة بآلاف من العلماء المسلمين وعشرات الآلاف من المتعلمين فكانت حلقات الدراسة التي قامت في المسجد منذ نشأ واستمرت كذلك على مر السنين والقرون في مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع .

★ مسجد قباء في المملكة العربية السعودية ★

ويميل بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن نشأة المدارس الإسلامية يحيط بها كثير من الغموض ولا يمكن تحديدها بتاريخ معين ، كما يرى آخرون أنه من المرجح أن تكون المدارس قد سبقت في ظهورها نشأة المدرسة النظامية في عام ٤٥٩هـ أي في منتصف القرن الخامس الهجري ، ومهما يكن الأمر فإن المرجح أن تكون بعض المصادر قد خلطت بين المدارس كمؤسسات تعليمية وبين أماكن التعليم الأخرى مثل الكتاب والمسجد .

ومن المعروف أن تأسيس **دار الحكمة** قد اكتمل على يد **المأمون** عام ٢١٧هـ – ٨٣٢م ، ولكن دار الحكمة لم تكن مدرسة نظامية بالمعنى المتعارف عليه فقد كانت دارا للنسخ والترجمة إلى جانب كونها مكتبة عامة ذات شأن في العالم الإسلامي .

وعلى أية حال فيعتبر ظهور المدارس في العصر الإسلامي أهم محاولة جدية لتنظيم الدراسة واستمرارها بتوفير وسائل التفرغ لها إذ جعلت مرتبات ثابتة للمدرسين وذود الطلاب في حالات كثيرة بالمسكن والمأكل مما ساعد بالضرورة على إيجاد نظام ثابت وتقاليد مرعية للمدرس والإدارة وعمد على الاستقرار والنمو في تلك المعاهد .

ولم يكن عجيباً أن ارتبط التعليم بالمسجد لزمن طويل ، ففي كل مسجد يقام كانت تقوم بداخله مدرسة بل مدارس فكرية وعلمية ودينية ، وكان الكبار يؤدون في نفس المكان – قبل الصلاة أو بعدها – شعائر العلم من تعليم وتعلم ، « وهكذا تكاثرت حلقات الدراسة بالمسجد وتعددت مجالس العلم فيه وأصبح بيئة تربوية مفتوحة غنية بكل أنواع الخبرة والمعارف اللازمة لحياة الفرد والمجتمع » فتاريخ المسجد في الإسلام حافل بأعظم ما في التراث الحضاري الإسلامي من خصائص وقيم حضارية بهرت الغرب الأوربي ومازالت تبهره حتى اليوم .

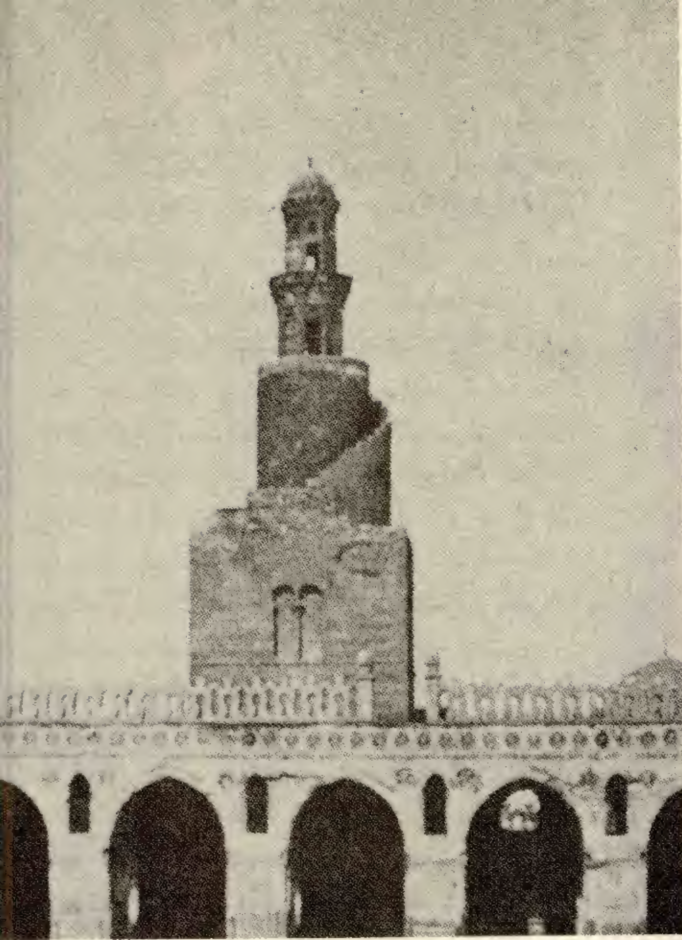
المسجد والتربية

أ – معاهد التعليم

تحتاج المبادىء والأفكار التربوية الإسلامية إلى المعاهد والمؤسسات التربوية التي تحولها إلى واقع حي وتساعد على التفاعل المثمر بين المعلم والتلاميذ إلى جانب التربية المفتوحة في حلقات الدراسة ومجالس العلم على مختلف مستوياتها .

يقسم **الدكتور أحمد شلبي** أمكنة التعليم في التربية الإسلامية إلى حقبتين : الأولى قبل انتشار المدارس ، والثانية بعد انتشارها ، والحد الفاصل بينهما هو عام ٤٥٩هـ . وفيه افتتحت في بغداد أول مدرسة من عديد من المدارس المنظمة التي أنشأها **الوزير السلجوقي العظيم نظام الملك** . فقبل انتشار المدارس تعلم المسلمون في عدة معاهد منها :

١ – الكتاتيب : عرفت الكتاتيب في بلاد العرب قبل ظهور الإسلام ، وكانت لتعليم القراءة والكتابة **ويروى أن عدد القرشيين الذين كانوا يقرأون ويكتبون عندما جاء الإسلام لم يتجاوز سبعة عشر رجلا فقط** ، ويلوح أنه كان هناك نوعان من الكتاتيب : نوع يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة ، وكان يقوم بالتعليم بعض الذميين أحيانا



كثيرة ، والنوع الثاني كان مكاناً يتعلم فيه الصبية القرآن الكريم والدين ، وأصبح يطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة أو القرآن والدين اسم « **الكتّاب** » . على أن الظاهر من الشواهد التاريخية أن كتاتيب حفظ القرآن في العهد المبكر للإسلام ، فقد كان الأطفال يندسون بين الكبار في مجالسهم وحلقاتهم بالمساجد ، وتلقى بعضهم القرآن من آبائهم وذويهم أو من مدرسين خصوصيين ، ولم تكن الكتاتيب في المساجد فقد نص على أنه : « لا يجوز تعليم الأطفال في المسجد لأن النبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب وأطراف السوق » . وقد لجأ بعض المدرسين – على الرغم من هذه التحذيرات – إلى اتخاذ زوايا من المساجد يعلمون بها أو غرفاً ملحقة بالمساجد .

واختلف حجم الكتّاب من حجرة واحدة إلى مكان متسع فيروي **ياقوت** في « معجم الأدباء » أن كتّاب **أبي القاسم البلخي** كان به ٣٠٠٠ تلميذا وكان فسيحاً جداً يتسع لهذا العدد ولهذا احتاج البلخي أن يركب حماراً ليتردد بين هؤلاء وأولئك ويشرف على جميع تلاميذه وقد ازداد عدد الكتاتيب في القرن الثاني الهجري حتى أصبح بكل قرية كتّاب .

٢ – القصور : كان الخلفاء والأمراء والأغنياء يتخذون لأولادهم معلمين خاصين يذهبون إلى القصور ويجلس الأولاد إليهم يتلقون منهم

٥ ـ **المدارس** : حفلت المساجد بحلقات الدرس والمناقشة كما قلنا ، مما كان يؤذي بعض المصلين الذين تطرق آذانهم أصوات المناقشات العالية الحامية الوطيس ، ومع اتساع رقعة العلم كان لابد من تخصيص أمكنة ملائمة يجد فيها المعلمون مجالات أوسع للنقاش والبحث والمجادلة . بل أن المعلمين أنفسهم الذين يشغلون بالتعليم جل وقتهم حاولوا الارتزاق باحتراف حرفة بسيطة لما فشلوا تطلعوا إلى المدارس عسى أن يكون وجودها ضمانا لهم في جرايات تقوم بحاجاتهم .

وتختلف المدارس عن المساجد ، ففي كل مدرسة إيوان وهو يقابل قاعة المحاضرات اليوم ويلحق بالمدرسة مساكن للطلبة ومرافق أخرى وقاعة للطعام . ويغلب أن المدارس لم تعرف في عهد الصحابة والتابعين ولم تنشأ إلا في نهاية القرن الرابع الهجري ، وأن أهل **نيسابور** هم أول من بنوا مدرسة في الإسلام وسموها المدرسة « **البيهقية** » والظاهر أنه كان لكل مدرسة أوقاف يصرف منها على الأساتذة والطلبة ، والدين هو الغالب على مناهج المدارس . بل كانت كل مدرسة تدرس على مذهب من المذاهب الأربعة ، وكانت الظروف السياسية تدعو إلى ذلك ، فقد قامت على أنقاض **البويهيين أو الفاطميين** (وهما من أنصار الشيعة) دولتا السلاجقة والأيوبيين وهم من أهل السنة . ولذلك أقام السلاجقة والأيوبيون مدارس لتقاوم ما غرسه أهل الشيعة من عقائدهم . فأقام السلاجقة مدارس بالعراق واقتفى أثرهم « **الشاهات** » و« **الاتابك** » الذين أقاموا إمارات على أنقاض السلاجقة ، ولما آل الأمر إلى « **نور الدين زنكي** » في سورية ومصر أنشأ بهما المدارس كما اتجه الأيوبيون في مصر إلى عقول الناس لغرس المذهب السني ، فأقاموا عديدا من المدارس .

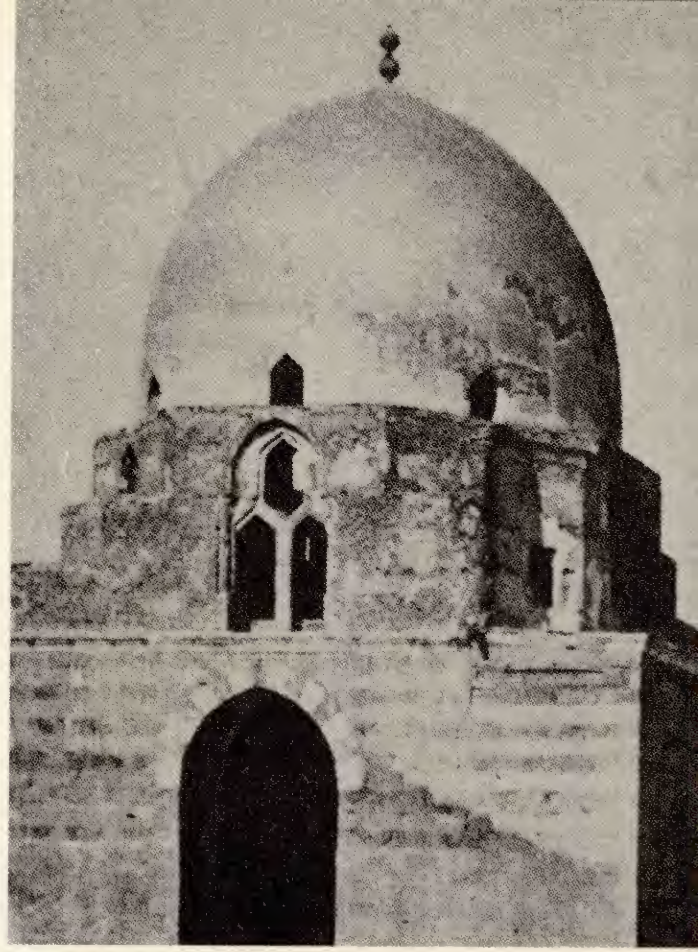
وأهم المدارس التي ظهرت في التاريخ الإسلامي :

★ **المدرسة النظامية ببغداد** : وقد أنشأها الوزير « **نظام الملك** » وهي من بين مدارس عديدة أنشأها في بغداد وبلخ وأصفهان والبصرة والموصل ، على أن نظامية بغداد كانت على رسم المدارس النظامية ، وقد أنشئت عام ٤٥ هـ . وقد تم بناؤها في سنتين .

★ **المدرسة الناصرية بالقاهرة** : ولم تنشأ بالقاهرة مدارس نظامية إلا في عهد الأيوبيين أما المدرسة الناصرية فقد بدأ بناؤها السلطان العادل « **زين الدين كتبغا المنصوري** » وأتمها السلطان **محمد بن قلاوون** سنة ٧٠٣ هـ . وقد وصفها **المقريزي** بأنها من أجمل مباني القاهرة وبأنها من أعجب ما عملته أيدي بني آدم .

★ **المدرسة النورية الكبرى** : وهي في دمشق ، وتنسب إلى **نور الدين محمود زنكي** الذي بناها سنة ٥٦٣هـ . على مساحة حوالي ١٥٠٠م٢ وهذه المدرسة مازالت باقية حتى الآن **بحي الخياطين بدمشق** وبابها الحالي هو بابها القديم .

٦ ـ **المكتبات** : روى المؤرخون عن مكتبات في معظم المساجد والجوامع والمدارس ودار الحكمة ودور العلم لتكون مرجعاً للطلبة والعلماء والنساخ . وإذا أخذ بتقديرات المؤرخين فإننا نعجب للعدد



★ جامع أحمد بن طولون في مصر ★

قدراً من الثقافة والمعرفة وكان الوالد يشترك في تخطيط وتحديد ما يتعلمه ابنه من معلمه الخاص ، وقد أطلق على هذا المعلم اسم « **مؤدِّب** » وكان بعضهم يقيم في القصور حيث أعد جناح للإقامة حتى يتم إشرافهم على تربية الولد .

٣ ـ **حوانيت الورَّاقين** : مع انتشار الورق من منتجات مصر في ربوع الدولة الإسلامية كثرت الكتب وتفنن العرب في تجليدها وتجميعها ، وظهرت مكتبات وحوانيت الوراقين على أن هذه المكتبات والحوانيت لم تقتصر على بيع الكتب والتجارة ، بل كان أمكنة يجتمع فيها الأدباء والمتكلمون .. وتتحول مناقشاتهم إلى ندوات ومناظرات ، وغالبا ما كان أصحاب هذه الحوانيت من المهتمين بالأدب والعلم والدين ومنهم من تفقهوا فكانوا يجذبون إليهم محبي العلم والمعرفة ، ويذكر أن الباحث كان يبيت بهذه الحوانيت للقراءة والاطلاع والبحث .

٤ ـ **منازل العلماء** : اتخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام **دار الأرقم بن أبي الأرقم** مكاناً يعلم فيه المسلمين تعاليم ومبادىء الدين الجديد ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الحكيم ، كما كان المنزل ملتقى الذين يتخيرون الإسلام ، فيأتون إليه ناشدين الإسلام ، ثم أقيمت المساجد وأصبحت مكان اللقاء والاجتماع . على أن بيوتاً كثيرة في التاريخ الإسلامي لعبت دورَ المدارس كمنزل الرئيس **ابن سينا** حيث كان يجلس إلى طلبته ومحبي علمه الغزير ليلا . كما كان **الإمام الغزالي** يستقبل تلاميذه بعد أن استقال من العمل بنظامية « نيسابور » .

الضخم الذي يسوقه المقريزي عن **خزانة الكتب** التي الحقت **بالمدرسة الفاضلية** ، فهو يقدر الكتب بها بمائة ألف كتاب .

ولعل هذه الأقوال وغيرها تدل على تقدير المسلمين للكتب وإعجابهم بها واهتمامهم بالمكتبات وإقبالهم عليها وعلى تكوينها ، بل وتسابق الخلفاء والأمراء على شراء الكتب فيقال إن **الحكم صاحب الأندلس** كان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس مما لم يعهده ، ويروى عنه أنه عندما سمع أن **أبا فرج الأصفهاني** كتب كتابه « **الأغاني** » أرسل إليه ألف دينار ذهبا ليبعث إليه بنسخة وصلت الأندلس قبل أن يخرجه الأصفهاني من العراق . ومن أهم المكتبات العامة ، خزانة الحكمة أو بيت الحكمة ودار الحكمة بالقاهرة منذ أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٩٥هـ .

ب ـ دور المسجد

المسجد لغةً اسم لمكان السجود وعرفاً اسم للمكان المعد للصلوات وشرعاً هو كل موضع من الأرض لقوله ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجدا » ، وعندما تقام صلاة الجمعة في المسجد يطلق عليه اسم « المسجد الجامع » والجامع نعت للمسجد ، وإنما وصف بذلك لأنه علامة الاجتماع .

والمساجد هي بيوت العبادة وفيها يتمتع المسلمون بأفضل الوشائج بينهم وبين ربهم عز وجل ، والمساجد هى المنتدى والمقصد المهم في الصدر الأول بشؤون الدولة ، فكانت تعقد فيها المؤتمرات للشورى وتصدر فيها البلاغات والقرارات العامة ، وإذا دهى أمر دعى الناس إليها بالنداء المشهور « الصلاة جامعة » وكان الناس قبل اتخاذ المساجد لا يجدون الوسائل التي تحقق لهم هذا التنظيم الاجتماعي الرائع . **فلم يكن المسجد مكانا للعبادة فحسب بل كان محكمة للتقاضي ومكاناً للدراسة بل وكان أيضا ميداناً لاجتماع الجيش الباسل وداراً لاستقبال السفراء ، وغير ذلك من الأغراض** التي سنوضحها فيما بعد .

وقد سمي المسجد « بيت الله » فلا يحتاج الداخل إلى استئناس ولا استئذان للدخول سواء كان ذلك للدراسة أو للتعبد .

وبعد أن أبعد المسلمون في مكة وخرج النبي عليه الصلاة والسلام مهاجراً إلى المدينة أقام في « **قباء** » مسجداً **هو أول مسجد في الإسلام** ثم بنى الرسول عليه السلام أثر دخوله إلى المدينة مسجده الذي كان يعلم فيه أصحابه أمور دينهم ودنياهم .

وصار المسلمون يبنون في كل مدينة مسجداً ، وعلت المآذن في مختلف الأمصار في المدن والقرى ، ولعل **أول جامع في مصر هو جامع عمرو بن العاص** الذي بنى في العام الحادي والثلاثين من الهجرة بأمر من الخليفة **عمر بن الخطاب** بعد فتح مصر . وظل هذا المسجد ينمو حتى أصبح مركزاً للثقافة ومحكمة للقضاء . وكان به أكثر من أربعين حلقة دراسية للتعليم يؤمها الطلبة للدراسة والبحث . أما **الجامع الأموي** بدمشق فهو من عجائب الدنيا ، ويقال أن **الوليد بن عبد الملك** أنفق



على بنائه خراج المملكة سبع سنوات ، وكانت فيه حلقات للتدريس للطلبة ، كما كان للمالكية زاوية للتدريس يجتمع فيها طلبة المغاربة كما كانت به مدرسة للشافعية ، واشتمل أيضا على عدة زوايا خصصت للطلبة للدرس والنسخ في هدوء .

الدور التربوي

وفي إطار تلك الخصائص والسمات التي تفردت بها التربية الإسلامية ، وفي ضوء تحليلنا لأهم المبادىء والأفكار التي جاء بها الإسلام يحدثنا الإمام ابن تيمية عن المسجد موضحاً ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ : « وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد ، فإنه ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب ، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء وفيه يجتمع المسلمون عنده كما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم ، ويمكننا تفصيل دور المسجد فيما يلي :

★ **التعليم والتثقيف** : كان المسجد في عهد الرسول ﷺ أول مدرسة لتعليم الكبار ، وكان لصحابته عليه الصلاة والسلام معلماً وكان الصحابة هم تلاميذها العباقرة والأفذاذ فيها تعلموا كل أنواع العلم والمعرفة التي تفيد الإنسان في حياته وآخرته وتبني جميع جوانب شخصيته فيتخرج منها متكامل الشخصية .. ويستشعر الرسول ﷺ مسئوليته التعليمية بقوله : « **إن ربي أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مما علمني** » . ويدرك الصحابة أنه ﷺ معلم حيث يصفه أحدهم بقوله :



★ الجامع الأموي في سورية ★

« ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً » .

وكان المسجد أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والتعليم في الإسلام على كافة البشر ولكل من يريد أن يستمع ، وكان جمهور المتعلمين في المسجد هم الرجال الكبار الذين تلقفوا كل ما كان يصدر عن الرسول ﷺ للقرآن حفظا وللسنة امتداداً . ولقد ارتبط تاريخ التربية في الإسلام ارتباطاً وثيقاً بالمسجد ولعل السبب في جعل المسجد مركزاً ثقافياً هو الدراسات في سني الإسلام الأولى وكانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه فكان مسجد « قباء » أول مسجد في الإسلام ثم مسجد المدينة عقب قدوم الرسول إليها . وكانت عادة الرسول ﷺ أن يجلس في مسجده بالمدينة ليعلم أصحابه دينهم ودنياهم وكثرت بعد ذلك المساجد في جميع أنحاء العالم الإسلامي ففي أكثرها حلقات العلم تعقد والدروس تلقى على الكبار من المسلمين .

وترى « **أسماء فهمي** » أن المسجد كان داراً للتعليم الأولي وبمثابة المدرسة الثانوية في وقت واحد ، ففي أول الأمر كان مكاناً للتعليم الأولي ، ولكن المسلمين فضلوا فصل تعليم الصغار في أماكن خاصة عرفت باسم « الكتاتيب » خوفا على المسلمين من عبث الأطفال .

الصلاة لا تصلح إلا بتلاوة القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي يحوي من المعلومات والمعارف ومن النظم والقوانين كل ما يهم الإنسان في شتى نواحي الحياة وهو يتحدث عن خلق السموات والأرض والظواهر الطبيعية ويتحدث عن خلق الإنسان في أطواره المختلفة ، وعن علم الفلك وغزو الفضاء ودورة الماء والبحر وكغيرهما من كل ما يهم الفرد والمجتمع ويحكم تصرفات الإنسان مع نفسه ومع ربه ومع أسرته ومع أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه .

ويصحب الصلاة خطبة الجمعة وخطبة العيد في صلاة العيدين حيث يتحدث الخطيب في شتى الأمور والمشكلات التي يعيشها الإنسان ويقدم ما استطاع من الحلول الكفيلة لحلها كما يفقه الناس في أمور دينهم وكيفية التعامل مع الخلق والخالق .

في قراءة القرآن كل صلاة تدريب للعقل على التأمل والاستنتاج وأخذ العظة والعبرة وربط الأسباب بالنتائج : « إذ لا يذكر القرآن العقل إلا في مقام التنظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة بل هي تأتي في كل موضع مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة .. » .

وكانت حلقات العلم التي تعقد في المساجد والمكتبات ومنازل العلماء وفي قصور الأثرياء والأمراء عندما ظهرت القصور عقب الفتوحات على أن المساجد ظلت أهم المراكز الثقافية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية .

ولقد نشأت الحلقات العلمية في المساجد نشأة دينية ولكنها ما لبثت أن تطورت مع تطور الثقافة الإسلامية ومع دخول كثير من معارك ذلك العصر اتسع المسجد للعلوم الدينية ولسواها ، وإذا بالمساجد تحول إلى أمكنة يدرس فيها الطب والرياضيات والطبيعيات وعلوم الأدب وغيرها ، وكما يقول **السيوطي** : « إن دروساً مختلفة رتبت في **الجامع الطولوني في مصر** قد شملت التفسير والحديث والفقه والقراءات والطب والميقات .. »

وفي مثل هذا النظام التعليمي المفتوح لم تكن المؤسسة التعليمية وهي المسجد هي التي تجذب الطلاب إليها ولكن شهرت الأستاذ كانت موضع الجذب ومن عوامل شهرته « غزير مشيخته ، ووافر علمه وحسن سلوكه » . وتتأصل هذه الشهرة بكثرة عدد الطلاب الذين يتحلقون من حوله .

وحلقات العلم في المساجد وفي غيرها كانت تخص بآلاف من الطلبة الذين يطلبون العلم لذاته ودأبوا في التذود الثقافي الحر بقدر ما تسمح به أقواهم وأعمالهم وهذه الجمهرة المتنوعة من زبائن العلم قد جعلت من التربية العليا عملاً شعبياً في متناول العامة والخاصة . وكانت التربية بذلك عملاً يقوم به المتعلم وينمو فيه أكثر مما كانت عملاً يقوم به المعلم ويرتزق منه ، فالتعليم الذاتي المستمر كان صفة التربية التي مارسها العرب في الإسلام في عصورهم المزدهرة « فطلاب العلم بكل إرادتهم الحرة هم الذين يوجهون أنفسهم نحو المعرفة التي يرغبون فيها ويختارون المسلك الذي يرضيهم للسير فيه ، ولم تفرض عليهم قيود نظام تعليمي روتيني ولم يحسوا بوصاية أستاذ يمتلك في يده السلطة والمباداة والأمر والنهي ، بل عاشوا كالنحل الدائب يسقطون على الزهر أينما طاب رحيقه » .

التربية الخلقية والروحية

الصلاة تنمي في الإنسان الضمير الحي الذي يلزم المسلم الشرع

ويكون رقيباً دائما على سلوكه وتصرفاته مع الآخرين ، فالضمير الضعيف لا يقوى على محاسبة صاحبه عن أخطائه وأفعاله التي تتعارض مع قيم الناس وبذلك تندفع رغباته ودوافعه للتعبير عن نفسها دون رقابة أو ضبط تعبيراً أنانياً بدائياً .

كما أن الصلاة وما فيها من إقرار بالربوبية ، وما تشتمل عليه من خضوع وقيام وركوع وسجود هي ترويض للنفس وإزلال لكبريائها وجعلها طيعة بقبول الأوامر الإلهية والعمل بها ولذلك يقول المولى عز وجل : ﴿ وَأَنْ أقيموا الصلاة وَاتَّقُوهُ وهو الذي إليه تُحْشَرُونَ ﴾ . فالصلاة تمهيد للنفس وإعداد لها إعدادا خاصا لتصبح قادرة على التخلي عن أنانيتها وجشعها ، فالإنسان في طبيعته يبخل ويبطر عندما يصيبه الغنى كما يصيبه الجزع ويسيطر عليه الهلع والخوف من الفقر ، لكن الإنسان المؤمن القائم بالصلاة المستوعب لمعانيها وروحها تقوى نفسه في كافة الأحوال لأنه اعتمد على ركن مكين هو خالق البشر ورازقهم .

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر : ﴿ إنَّ الصلاة تَنْهَىٰ عَنِ الفحشاء وَالمُنكَرِ ﴾ فهي تهذب ضمير المؤمن وتطهر قلبه ليكون متكافلا مع المجتمع الإسلامي فيهجر الجرائم الاجتماعية ويبتعد عن كل منكر تنكره العقول السليمة ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ .

وإذا كانت التربية تعديل في السلوك ، فإن الصلاة تجعل المسلم يراجع نفسه باستمرار ويكتشف أخطائه ويغسل روحه من جراء تعامله اليومي مع ما فيها من دوافع وشهوات وأهواء فهي تسمو بالإنسان وتقوم إنحرافه ليعود بعد ذلك ليستأنف حياته ويؤدي رسالته في هذه الأرض ، وتؤثر صلاة الجماعة في مجتمع المصلين وذلك التأثير الذي يؤدي إلى التغيير الأفضل بروح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل المسجد وخارجه ، وكما يقول الرسول ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطراء أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بد بعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم » ، فالصلاة المرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي الصفة الأساسية للمؤمن . وإمام المسجد هو قائد التغيير الاجتماعي والقدوة الحسنة لما له من تأثير في سلوك الناس .

كما أن خشوع المؤمن في صلاته وتركيز ذهنه وحضور قلبه واستبعاد كل الأفكار التي تلاحق المؤمن في صلاته يُعَلِّم الإنسان أن لا يؤدي إلا عملا واحدا في كل مرة فيقل اضطرابه ويزيد إنتاجه لأن الإنسان المشتت الفكر مشغول القلب يعيش دائما في اضطراب فتقل قدراته على الإنتاج : « **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** » .

التربية الاجتماعية والسياسية

المسلمون في المساجد يحسون بأُخوة الإسلام ، ومجتمع المصلين داخله مجتمع يسوده الحب والصفاء والوئام ، فهو مجتمع يتفقد الغائب ويجامل الحاضر ويعين بعضه بعضا فلقاء المسلمين خمس مرات في اليوم داخل المساجد ينمي روح الجماعية والتآلف العاطفي كما يقوي الصلة الفكرية



والنفسية والشعورية والاجتماعية بين جماهير المصلين ، كما ينمي فيهم الإحساس الجماعي المملوء بالأمل والفرح ويعودهم الالتقاء على الخير والتعاون على البر والتقوى والبعد عن الإثم والعدوان .

وفي مسجد النبوة تم وضع مخطط شامل لمواجهة الأحداث الكبرى في حياة المسلمين وقد انطلقت منه جيوش المسلمين وصدرت منه الفتاوى التي نظمت الحياة الاجتماعية وقضت على مشكلاتها وفيه حكم رسول الله ﷺ بين الناس بالعدل ، فكان المسجد مجلس قضائه للفصل بين الخصوم ، وفي المسجد استقبل رسول الله الوفود وتمت المفاوضات وعقدت مواثيق الصلح ، وهكذا فإن المسلمين في عصورهم الأولى توسعوا في فهم مهمة المسجد فاتخذوه مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء وساحة تتجمع فيها الجيوش ومنزلا لاستقبال السفراء .

كما كان المسجد الإسلامي يؤدي دورَ المجالس النيابية في الوقت الحاضر فإذا حدث أمر هام أعلنوا أن الصلاة جامعة فيجتمع المسلمون بالمسجد لآداء الصلاة ثم يستشير الخليفة ذوي الرأي والتجربة منهم فيما جد من أحداث ثم يعلن رأيه للجميع فيلتزم به الجميع ، وبهذا كان المسجد يؤدي دور المجالس النيابية في الوقت الحاضر .

التربية الجسمية والجمالية

الصلاة بحركاتها وما يتبعها من غسل ووضوء وطهارة للثوب والمكان تحفظ للإنسان صحته وتعمل على سلامة بنيته فقد سبق هذا المنهج النظم الصحية في العناية بالنفس الإنسانية ووجوب المحافظة عليها لوقايتها من

لذلك جمعت التربية الإسلامية بين جميع هذه الجوانب (الجسمية ـ العقلية والروحية) وقام المسجد بتنمية جميع هذه الجوانب وتخرج من تلك المدرسة الإسلامية الكثير والكثير .. فتاريخ المسجد في الإسلام حافل بأعظم ما في التراث الحضاري الإسلامي من خصائص وقيم مازالت تبهر العالم حتى اليوم .


★ جامع الزيتونة في تونس ★

الأمراض وهذا ما يسمى حديثا بالطب الوقائي ، ومعالجتها مما يصيبها من أمراض ، وهذا ما يسمى بالطب العلاجي .

والصلاة ذات طابع جمالي سواء في حركاتها أو سكناتها أو في الاستعداد لها : « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » .. بمعنى أن المسلم يجب أن يتهيأ لأداء هذه العبادة وأن يتزين عند كل صلاة .. إلى جانب ما يتأمله ويتذوقه من فنون ونقوش حليت بها المساجد فكأن المسلم أثناء جلوسه في محراب للتعلم والتدين والتذوق ، وأي مكان آخر غير المسجد بين كل هذه الصفات لتكون خصالا حميدة من صفات المسلم ..!!

وهكذا يتضح من هذا العرض أن الباعث على بناء المسجد في صدر الإسلام لم يكن مقصوراً على الأغراض الدينية وحدها بل كان ذلك راجعاً إلى أسباب سياسية واجتماعية وعلمية .. فكان المسجد هو أول المؤسسات التي انطلق منها إشعاع العلم والتعلم في الإسلام على كافة البشر .. وفي المسجد كان يتم تدبير الكثير من شؤون المسلمين .. وهكذا كان المسجد ومازال المؤسسة التربوية التي تقوم بإعداد المسلم الإعداد المتكامل الذي يساعد على التكيف مع الحياة من خلال تكيفه مع نفسه ومع مجتمعه وفق استعداداته وقدراته ودون تقيد بسن معين أو التقيد بمستوى معرفي معين .. وبذلك يحقق المسجد الأبعاد الثلاثة التي تهدف التربية إلى تحقيقها : البعد النفسي وهو التعلم وفق القدرات والاستعدادات (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) والبعد الاجتماعي وهو إعداد الفرد للمشاركة وبذل الجهد في الحياة العامة وفي التنمية الاقتصادية ، والبعد التكاملي أي التكامل في الأعداد حيث أن الإسلام ينظر إلى الفرد على أنه وحدة متكاملة ..

المراجع والمصادر

ـ أسماء فهمي ، **مبادىء التربية الإسلامية** ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٧ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

ـ نبيل عامر صبيح ، التربية الإسلامية ودور المسجد فيها ، **حولية كلية التربية** ، جامعة قطر ، العدد الأول ، ١٤٠٢هـ . (١٩٨٢م) السنة الأولى ص ، ٣٥ ، ٤٢ .

ـ سيد إبراهيم الجيار ، **دراسات في تاريخ الفكر التربوي** ، القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

ـ آدم متز ، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام** ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، ط ٣ ، القاهرة ، لجنة التأليف والنشر ، ١٩٥٧ ، ص ٣١٤ .

– Nakosteen, M., **History of Islamic Origins of Western Ed.**, University of Colorado Press, 1964, P. 37.

– E. H. Wilds, **The Foundations of Modern Ed.**, 1959, P. 216.

ـ دي بورت . ج . **تاريخ الفلسفة في الإسلام** ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤ ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، ص ٥ .

ـ محمد نبيل نوفل ، **تطور أهداف التربية في العالم العربي في العصور الحديثة**، القاهرة، مكتب اليونسكو الإقليمي ، ١٩٧٨ ، ص ١٠ ، ٦٢ .

ـ محمود قمبر ، **نظم التعليم المفتوح** ، بغداد ، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية ، ص ٤ ، ٥ ، ١٥ ، ١٦ .

ـ أحمد شلبي ، **تاريخ التربية الإسلامية** ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٣ ، ٤٥ ، ١٧ .

ـ محمد جواد رضا ، **الفكر التربوي الإسلامي** ، الكويت ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٠ ، ص ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

ـ سعد مرسي وسعيد إسماعيل ، **تاريخ التربية والتعليم** ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٤ ، ص ١١٢ .

ـ عبد الله المشد ، **وظيفة المسجد في المجتمع المعاصر** ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، الجزء الثالث ، ١٩٧٢ ، ص ١٩٧٤ .

ـ ناصر بن حمد الراشد ، **نبذة عن رسالة المسجد** ، سرس الليان ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، ١٩٧٨ ، ص ٦ ، ٧ .

ـ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، علي عبد الحليم محمود ، **المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦ ، ص ٣٣ .

ـ عبد الفتاح جلال ، **من الأصول التربوية في الإسلام** ، سرس الليان ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي في العالم العربي ، ١٩٧٧ ، ص ٨ .

ـ الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، جـ ١ ، القاهرة ، إحياء التراث ، ١٣٠٦هـ . ص ٥٢ .

ـ عباس محمود العقاد ، **التفكير فريضة إسلامية** ، بيروت ، دار القلم ، ط ١ ، ص ٥ .

ـ السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، القاهرة ، ١٣٢١هـ ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

ـ سيد المغربي ، **انحراف الصغار** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠ ، ص ١٩٥ .

ـ القرآن الكريم ، سورة الأنعام (٧٢) .

ـ القرآن الكريم ، سورة العنكبوت (٤٥) .

ـ القرآن الكريم ، سورة الماعون (٥) .

ـ القرآن الكريم ، سورة الأحزاب (٤) .

ـ القرآن الكريم ، سورة البقرة (٢٨٦) .

– The Ensyclopaedia of Islam, Art,: Masjid.

ـ **الأزهر تاريخه وتطوره** ، مقدمة الكتاب بقلم محمد البهي ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ١٩٦٤ ، ص ب .

ـ أحمد الحصري ، **من الفقه الإسلامي (المدخل ـ العبادات)** ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٧هـ ، (١٩٦٨م) ، ط ١ ، ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

الوحدةُ الإسلاميّةُ

شعر: سليم الرافعي

هتف الفجرُ لها ملء السما ... وجرى الأفُقُ بها فاحتدما

وتلقّاهـا نبـيُّ الله مِــنْ ... ملهم الوحي إذا ما الهما

قمْ لها إنْ خطرتْ باعثةً ... وتخيَّر حين تتلوها فمـا

ذلك التاريخُ مـن آثارهـا ... وهداهـا قـد أظلَّ الأممـا

كُسِيَ المشرقُ منها عـزةً ... واكتسى المغربُ منها عظما

أمـة واحـدة مـا رامهـا ... ظالمٌ في الدهر إلا انقصما

في يَدَيْها الحقُّ والمجدُ.. فَمَنْ ... كان أهدى في المعالي منهما؟

رب محرابٍ بنَى مجتمعاً ... في الحضارات منيعاً محكما

حين صلينا وصمنا أينعتْ ... في حقول الأرض أزهار السما

إنها الوحدةُ .. هلْ جاوزها ... فيلسوفُ العصر فيما قدَّما ؟

أو ليستْ تلكمُ الروحُ هُدى ... وجمالاً .. أوَ ليستْ كَرَما ؟

بين عِمْلاقين تمضي وَسَطاً ... تنشُدُ العدْل وتحمي القيما

أمةٌ في الشرق والغرب دَعَتْ ... عالـم الآلام أنْ يبتسمـا

ياصراعاً نحن في حومته ... جذوةُ الروح تحثُّ الهِمَما

لم نهَبْ صولة جبَّار ولا ... فاتحاً أو غاصباً مقتحمـا

رفرفـرت راياتنـا مُعلنــةً ... وطنَ الإنسان في العدْل حِمى

كبَّر الإسلامُ فـي أرجائــه ... فاستوى العقْلُ به وانتظما

الدمُ المؤمنُ أزكـى نسبـاً ... حين ينمينا وأوفي ذممـا

ماخفَضنا الرأسَ إلاَّ في التُقى ... ما رفعنا الرأسَ إلا مُسْلما

قِمَمٌ تركعُ أو تسجُدُ فـي ... ملكـوتِ الله تبقـى قِممـا





د . حسن فتح الباب

بوح صاحب .. « معزوفات الحارس السجين »

أجراه : طارق عبدالفتاح شديد

★ د . حسن فتح الباب ★



تلاشت قبة النابغة الذبياني الحمراء في سوق عكاظ ، وخفتت أصوات المنشدين ، ولكن أناشيدهم وأشعارهم باقية ، فالشعر ديوان العرب .

وهذا موعدنا مع صوت صدح ـ ومازال ، كان في طليعة الشعراء العرب المدافعين عن الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية والتقدم ، عزف على وتر المقاومة العربية بعامة والفلسطينية بخاصة ضد العنصرية والصهيونية والاستعمار في شكليه القديم والحديث ، اتجاهه إنساني غير مذهبي .

إنه الشاعر الدكتور حسن فتح الباب ، صاحب ديوان « معزوفات الحارس السجين » وديوان « رؤيا إلى فلسطين » وعشر مجموعات شعرية أخرى ، ورفيق عبد الصبور وحجازي والسياب وغيرهم في ريادة حركة الشعر العربي الحديث منذ الخمسينيات ..

قال عنه الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي : « يتمكن الشاعر حسن فتح الباب في إعداد قصائده من التجرد من التقريرية والابتعاد عن الخطابية والتأدية الصخابة المثيرة ، وهي العيوب الشائعة في شعرنا السياسي النضالي » . والدكتور محمد مندور في تعليقه على قصيدته « دم على البحيرة » يقول : « يتحقق الحس الدرامي ـ وهو أهم خصائص الشعر الحديث ـ في (هذه القصيدة) أكثر مما يتحقق في قصائد الشعراء المصريين الذين سمعت لهم .. صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وسائر زملائهم » . أما الناقد الدكتور رشاد رشدي فقد قال عنه وعن شعره : « بهرني شعر حسن فتح الباب بطابعه الفني والإنساني ، إنه شاعر عالمي بكل المقاييس » .

وفي محاولة لكسر حاجز الصمت المضروب حول شاعرنا الكبير ـ مما يعكس كثيراً من العلل والأمراض التي أنشبت أظفارها في حياتنا الأدبية والنقدية المعاصرة ـ كان لنا معه هذا اللقاء :

البـــدايـــات

•• ماذا عن البدايات .. في الحياة .. وفي الشعر ؟

• عاصرت ثلاث حقب تغير فيها وجه التاريخ في وطني وفي المنطقة العربية بل في العالم كله ، وعلى المستوى الحياتي عشت ومازلت أعيش تجربة مفعمة بالصراع والنقائض ، طفت في كثير من أرجاء العالم حيث عرفت شعوباً وأنظمة ونماذج بشرية أتاحت لي اختزان حقائق وتصورات خلصت منها بموقف من الحياة ورؤية للعالم والإنسان ، ورؤيا للفن والشعر تتمثل جميعاً في التحدي



والمقاومة لكل مايكبل الإنسان ويحول دون ازدهار شخصيته .

في سن السادسة أو السابعة كنت أتسلل من فراشي قبل الشروق إلى سطح منزلنا في **حارة « المجدلي » بشبرا** لأضع حبة قمح أو ذرة في إصيص فخاري صغير ، وأعود إليها كل صباح لأشهد اللحظة التي تفتق فيها الطين وتشرئب بعنقها ، وذهبت محاولاتي كلها عبثاً بطبيعة الحال ، إذ وجدت الحبة أول مرة وقد انبثقت خيطاً رفيعاً أخضر ، وأفلتت مني رؤية لحظة شق التربة لأعلى .

وهكذا كانت انبثاقة بذرة الشعر في قلبي وعلى لساني سنة ١٩٣٧ م مفاجئة مثل بزوغ حبة القمح من أحشاء الطين .. وفي **التوفيقية الثانوية** في حيّنا الشعبي العتيق ، عرضت قصيدة على أستاذي المرحوم **علي الجندي** مدرس اللغة العربية ، فنظر إليّ بعد قراءتها في دهشة وارتياب ، ثم صدقني ودعاني لزيارته في بيته غير بعيد عن المدرسة حيث استمع إلى بواكير قصائدي التي تبلورت شيئاً فشيئاً وكنت أنشرها في مجلة المدرسة . ولكن الحلم الكبير الذي تحقق كان نشر إحداها سنة ١٩٤٠ م في مجلة **سلامة موسى** التي كان يصدرها باسم **(المجلة الجديدة)** .

وفي مدرسة التوفيقية أيضاً انصهرت عدة فنون في تكويني الأدبي ؛ إذ كان يدرس لنا عبد الوارث عسر يرحمه الله **وزوز نبيل** فني الإلقاء والتمثيل ، وأديت دورين في تمثيلتين على المسرح المدرسي . كما دربنا على فن الخطابة **حسن علوان** يرحمه الله الذي أصبح بعد ذلك بسنوات عميداً **لدار العلوم** مثل علي الجندي .

هذا بالإضافة إلى النهم في قراءة مجلتي **« الرسالة » والرواية »** اللتين كان يصدرهما **الزيات** ، وكل ما يقع تحت يدي من كتب وقصص مثل روايات الجيب . ولم أكن لأنام في معظم الليالي قبل طلوع الفجر ، وكانت المدرسة في ذلك العهد البعيد بوتقة الكشف عن المواهب وتنميتها ، وكان معلمونا رجالاً ومربين حقيقيين ، أذكر منهم أيضاً **عباس حسن** يرحمه الله صاحب كتاب **(النحو الوافي)** الذي أصبح بعد ذلك أستاذاً بدار العلوم أيضاً ثم عين **أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية** .

وفي السنة التوجيهية ـ آخر عام في الدراسة الثانوية ـ امتحنني طه حسين وأحمد أمين ، الأول في ديوان **حافظ إبراهيم** ، ومازلت أذكره ينقر بأصابعه على المنضدة وهو يستمع إلى قصائد شاعر النيل وأنا أتلوها عن ظهر قلب ثم إلى قصائدي بعد أن قال لي : إنك أديب .. فأسمعته من شعري . وأما أحمد أمين فقد اختبرني في **(الأيام)** لطه حسين ثم في كتاب **(فيض الخاطر)** لأحمد أمين نفسه ، ومنحني كل منهما الدرجة النهائية ، وأوصى عميد الأدب العربي مفتش أول اللغة العربية الذي كان يرافقه أن يذكره بي عند التحاقي بكلية الآداب ليرعاني . أما أحمد أمين فقد كان امتيازي عنده لجرأتي على نقده حين سئلت من عضو اللجنة الثاني عن الجانب الأدبي في كتابه المشار إليه ، فقلت إن المؤلف باحث وعالم ولكنه ليس أديباً ، فسفه ذلك العضو رأيي ، فأسكته أحمد أمين ، واستزادني فألقيت بين يديه بالشواهد التي تؤيد رأيي في كتاباته ، وكان قد أعجب بتحليلي لأثر عاهة فقد البصر عند طه حسين في أسلوبه وصوره ، وطلب مني أن أكون بمثل هذه الشجاعة الأدبية في الاختبار الثاني .. فأين اليوم من الأمس ؟

وكان من الطبيعي أن التحق **بكلية الآداب قسم اللغة العربية** بعد حصولي على التوجيهية ، ولكني لم أقض بها غير عام واحد تحولت بعده إلى **كلية الحقوق** ، إذ وجدت خلال ذلك العام أنني أسير في درب سبق أن طرقته من قبل ، فالدراسة كانت على النهج التقليدي على خلاف ما كنت أتطلع إليه . فأردت أن أجمع بين الأدب وبين القانون مثل الدكتور محمد مندور **والدكتور يحيى الخشاب أستاذ الفارسية** ، وربما كان الطموح إلى مركز اجتماعي يحققه تخرجي بكلية الحقوق من أهم عوامل هذا التحول إذ كانت تهيئ في زماننا للمناصب العليا ، ولم أكن قد قرأت يومئذ هذا البيت المنسوب لابن الرومي :

وأحسن مــن نــيل الــوزارة للفتــى
حيــاة تريــه مصرع الــوزراء !!

وعلى الرغم من أنني ضيعت سنة من عمري بكلية الآداب ، فقد أضفت سنوات إلى عمري الأدبي بما أطلعت عليه من عشرات المؤلفات التي اشتريتها أو استعرتها من المكتبات العامة ، وكانت هذه السنة امتداداً لسنة التوجيهية من حيث الفيض المعرفي . وقد حاولت كتابة مسرحية شعرية من وحي **ملحمة سهراب ورستم** للشاعر الفارسي **الفردوسي** . وكتبت عديداً من قصائد الحب الرومانسي التي وجدت طريقها إلى النشر بالمجلات . وعرفت في ذلك الحين ممن سبقوني في التخرج بعدة سنوات **الدكتور عبد القادر القط** واستمعت إلى قصائده التي نشرها بعد ذلك في ديوانه الوحيد **(ذكريات شباب)** ، وكذلك **الدكتور يوسف خليف** صاحب ديوان **(نداء القمم)** . كما قرأت كثيراً من مسرحيات وأشعار **شكسبير** في لغتها الأصلية ، وعرفت لأول مرة سحر الموسيقى **السيمفونية** ، وأذكر أن من أشد الكتب التي قرأتها حينئذ أثراً في فكري كتاب مترجم بعنوان **(الكون الغامض)** .

الحــارس السجيــن

●● ما انعكاسات عملك كـ « ضابط شرطة » على تجربتك الشعرية ؟

● كانت تلك الوظيفة التي لم أخلق لها ، وقد عبرت عن تجربتي هذه في ديواني **(معزوفات الحارس السجين)** . فليس من الغريب أن يكون الشاعر ضابطاً في الجيش مثل **البارودي** أو يمتهن أية صناعة تبدو متناقضة مع رهافة حسه ونبضه الإنساني كأن يكون خبازاً أو حداداً بل جزاراً يذبح الماشية ولا يغتال روح الإنسان . ولكن الغريب أن يكون من رجال الشرطة ، ولم أجد فيما قرأت من سير الشعراء من كان ضابط شرطة قبلي أو بعدي غير **حافظ إبراهيم** ، ولم تستغرق هذه الوظيفة من حياته غير بضعة شهور لم يكن لها أي تأثير في مساره الشعري .

وإذا كانت تلك الوظيفة قد استغرقت معظم سنوات عمري وأكلت شبابي ، وكانت من أسباب التعتيم الإعلامي والنقدي على شعري لابتعادي عن الوسط الأدبي والصحفي ، كما كانت حائلاً دون تفرغي للإنتاج الفني ، وتحقيق حلمي بالاطلاع على التراث الإنساني ، وحلمي كتابة مسرحيات شعرية ، فضلاً عن أثرها في تعميق شعوري بالاغتراب الذي عبر عنه **المتنبي** ببيته المشهور (ومن نكد الدنيا على الحر ... إلخ) ، فإن مهنتي

* إن في شعرنا القديم بذوراً جنينية للتقنيات الفنية الحديثة .. وإهمال ذلك الكنز المعرفي والفني أو إنكاره والارتماء في أحضان الآداب الأخرى هو بمثابة الهروب.

الشرطية ـ مع ذلك ـ قد أتاحت لي تجربة متميزة لم يسبق أن خاضها شاعر ، وهي معاناة التناقض بين الطبيعة النفسية والذهنية وبين المهنة ، والصراع المرير بين الداخل والخارج . وقد فجّر عملي بالريف طاقاتي الإبداعية ، إذ فتح عيني على الواقع الكئيب الذي يعيشه القرويون الفقراء ، فهذا التناقض وذلك الصراع أسهما في تعميق وعيي الاجتماعي .

وقد كانت قصيدتي (**ضابط في القرية**) التي نشرت **بمجلة الآداب** سنة ١٩٥٨ م نقطة تحول بارزة في مسيرتي الشعرية ، ونقطة انطلاق إلى إبداع القصيدة الحديثة بمفهومها المعاصر ، وكتبت عديداً من القصائد عن الفلاحين والصيادين أشهرها قصيدة (**دم على البحيرة**) ، ولكن الحركة النقدية مرت بهذه القصائد مرور الكرام مما يرجع إلى الأمراض التي كانت ومازالت تعانيها تلك الحركة ، وذلك باستثناء قلة قليلة مثل الدكتور محمد مندور والأستاذ **مصطفى السحرتي** .

وقد أتاح لي عملي بالشرطة أيضا تجربة من أهم تجاربي الحياتية والأدبية ، وهي السفر إلى **الولايات المتحدة الأمريكية** إذ أوفدتني الوزارة للتدريب على أساليب مكافحة الجريمة بأكاديمية الشرطة الدولية في واشنطن ، بمقتضى منحة دراسية لمدة مائة يوم حصلت عليها بشق النفس ـ رغم **حصولي على الماجستير وتفتد في العلوم السياسية** ـ إذ كان عليّ أن أواصل الليل بالنهار للتفوق على زملائي **بمعهد الدراسات العليا لضباط الشرطة** لنيل هذه المنحة بعد أن ضاعت كل جهودي العلمية عبثاً في المسابقات الديكورية التي كانت تعقد للمرشحين في بعثات إلى الخارج وذلك بسبب الأهواء ، ولم يكن لي غير التفاني في العلم جدار أستند إليه ويثير النقطة البيضاء الحية في أصحاب القلوب والضمائر الميتة .

وتمخضت هذه الأيام المائة التي أمضيتها في الولايات المتحدة الأمريكية عن ديوان (**مدينة الدخان والدُمَى**) الذي صدر سنة ١٩٦٧ م ، وعبَّرت فيه عن رؤية متقدمة من صميم الواقع الذي عاينته وعانيته ، وعرفت وشهدت فيه ما أرهف وتري المشدود على القيثارة التي سبقني إلى العزف عليها شعراء المقاومة ومنهم **لوركا** الشاعر الأندلسي الذي كتب ديواناً من وحي أمريكا .

معنى الشعر

●● ماذا تعني عندك القصيدة ؟ وماذا يعني هذا التزيف الجميل « الشعر » ؟

● الشعر الحقيقي في رأيي نضج معاناة ونزيف كما تقول ، فقصائدي هي التي كتبت نفسها وفقاً لمصطلح ابتدعه ناقد إنجليزي ، كتبتني ولم أكتبها ، فلم يحدث قط أنني جلست على مكتبي ونويت أن أكتب شعراً ، وقد أنقذني مرتبي من الوظيفة الشرطية أولاً ثم من التدريس الجامعي من احتراف العمل الشعري للتكسب منه ، فقصيدتي « **عصارة تجربة** » امتزج فيها الهم الذاتي بهموم الإنسان في وطننا وفي عالمنا العربي وفي كل مكان . فليس ثمة انفصال بين هموم الناس جميعاً ، وأعني بهم من هم محاصرون في القاع ، يبحثون عن لقمة عيش غير ملوثة بإراقة الكرامة ، وعن تنفس في أفق حر ، ولاسيما أن عالمنا قد غدا مثل قرية صغيرة بعد ثورة الاتصال وقوة الرأي العام . **والشعر عندي أيضاً والفن عامة يطهر النفس** كما قال قديماً **أرسطو** ، وأؤمن بأن **لهما دوراً اجتماعياً وتاريخياً** .

موقف من التراث

●● ما موقفك كشاعر معاصر من التراث ؟ .. ماذا أخذت منه وماذا تركت طلباً للتجديد ؟

● أجبت عن هذا السؤال في بعض كتاباتي فأشرت إلى أن الأحياء الشعبية في **القاهرة** وهما **شبرا وبولاق** ـ إلى جانب تجوالي بين الناس في الأقاليم أمدتني بنار الشعر ، ووجدت في واقعها الاجتماعي المتقد بالصراع ما يغنيني عن توظيف **الأساطير الإغريقية** ورموزها التي طالما استهوت أبناء جيلي من شعراء القصيدة الحديثة .

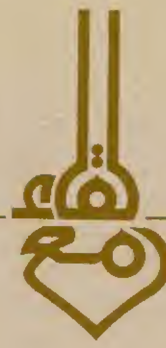
فما حاجتي إلى استعارة (**بروميثيوس**) الذي سرق جذوة النار من الشمس كرمز ميتافيزيقي للتحدي والمقاومة والصبر . وفي (شبرا) حيث ولدت و(بولاق) حيث ترددت تشتعل زهرة البركان الملتهبة طول الليل والنهار لإذابة الأصفاد التي تغل الأيدي والأقدام والأفواه ، وتدور عجلة الكفاح اليومي المستمر لانتزاع رمق الحياة .

رفقائي على درب الأدب والشعر منذ **عبد الرحمن شكري** حتى **بدر شاكر السياب** التمسوا الريادة في البحث عن وسائل وأساليب فنية جديدة يطورون بها القصيدة عن طريق تلقيحها بالشعر الأوروبي ذي الجذور الإغريقية ، ويعبرون من خلال الرموز الميثولوجية عن أزمة إنسان العصر والشاعر والمفكر بوجه خاص بين الوجود والفناء والحقيقة والوهم والطهارة والخطيئة . وعلى الرغم من اطلاعي مبكراً على **الإلياذة والأوديسة** ، وقراءتي كثيراً من الشعر الإنجليزي ومن الروايات والقصص ـ كما ذكرت من قبل ـ وحرصي على الإلمام بأهم آثار الأدب العالمي بقدر ما يسعفني الوقت والجهد ، فإن تلك الأساطير والرموز لم تنعكس إلا بقدر ضئيل على قصائدي ، وكأنما هي أعضاء غريبة يلفظها الجسم كلما أدخلت عليه .

وأتساءل عما إذا كان ذلك مرجعه إلى ضعف الاستيعاب ، أم إلى تشبثي بالتربة والينابيع الأولى ، مما حال بيني وبين الاقتباس من المأثورات الغربية في صورها واستعاراتها ومدلولاتها ؟

على أن هذا الرفض العفوي لم يقتصر على **بروميثيوس وسيزيف وأوليس وأبولو** ، بل تعدى هذه الرموز إلى **الأساطير الفرعونية** بعد أن كنت مولعاً بها قبل تحولي إلى كتابة القصيدة الحديثة .. إنه لا شك عندي الآن أن **تجربة حياتي بين غمار الناس وتغلغلي إلى حد كبير في واقعهم إحساساً وفهماً ومشاركة ، وتطوري الفكري هما اللذان أمليا عليّ النهج الفني والمعجم المجازي اللذين التزمتهما في شعري ، واللذان ينأيان بي عن توظيف الميثولوجيا الإغريقية والفرعونية والبابلية . لقد وجدتني أغترف من البيئة والتاريخ العربي والإسلامي** . ولعل الظروف التي قضت بمولد قصيدتي المستوحاة من عالم **(متولي) و(صابر) و(محمود) و(شعبان)** وغيرهم من أبناء القرية الفلاحين والصيادين بعيداً عن جو المثقفين والأدباء والنقاد في القاهرة حيث تتوافر مصادر الأدب الغربي وتتصارع المدارس الأدبية والفلسفية ، هي التي جعلت الشكل عندي يطابق الموضوع والمضمون .

لقد وجدتني مستغرقاً في حقائق الحياة اليومية بل محترقاً بها فجاء شعري من لهيبها ، ولم يكن على طراز ذلك الأدب الذي وصفه ناقد إنجليزي بأنه من



نتاج زيت المصباح الليلي ، قاصداً بذلك أنه من أدب (المكتب) أو (البرج العاجي) المنفصل عن حركة الحياة . وحين أذكر أن قصائد **ناظم حكمت** الرائعة جاءت في معظمها خلواً من الأساطير والرموز الإغريقية وغيرها ، **يزداد يقيني أن الشاعر الذي يستطيع بوعيه وحساسيته أن يسبر أغوار الواقع ، ويستطيع أيضاً أن يدرك ثراء تراثه ، في غنى عن الاقتباس من الينابيع الغربية عن شعبه وعالمه الاجتماعي والتاريخي .**

ويذهب بي الظن أحياناً إلى أن الإغراق في ذلك الاقتباس لدى بعض الشعراء منشؤه قلة التجارب أو انعدامها ، إذ تنحصر حياة الشاعر في أوراقه وطيف حبيبته أو حبيباته ، وبين جدران غرفة الإلهام أو في الدار الصحفية أو الثقافية أو السفارة التي يعمل بها ، والحديقة التي يتنزه فيها لاستجلاء جمال الطبيعة والترفيه عن نفسه .. فلا يجد عالمه الشعري إلا في الميثولوجيا الإغريقية وأشباهها. وقد يكون إنتاجه نموذجاً للبراعة الحرفية ، ولكنه كالرخام المزخرف البارد أو كالزهور البلاستيكية .

ولعل هذا النهج الفني الذي يُغرىٰ به بعض الشعراء والنقاد العرب هو الذي يجعلنا نحس - إذ نقرأ قصائد هؤلاء الشعراء - أننا نقرأ شعراً مترجماً ، وإن كان كثير من النقاد يكتمون هذه الحقيقة التي يحسونها في أنفسهم مخافة أن يُتهموا بانعدام الوعي الثقافي والتذوق الأدبي ، وبالتخلف عن ركب الحداثة أو المعاصرة ، بالنظر إلى شهرة أصحاب الشعر الذي يشبه الأدب المترجم واتساع نفوذهم في الدوائر الإعلامية والأدبية .

وأود أن أؤكد أنني لا أفصل بين الثقافات الإنسانية في جوانبها المضيئة بعضها وبعض ، فهي تراث مشترك ، ومن حقنا أن نأخذ من التراث الأوروبي كما أخذ منا ، ولكني أشترط ألا يكون ذلك على حساب تراثنا العربي .. فلنبدأ بأنفسنا ، ولاسيما أن تراثنا حافل وغني ، ثم تتسع الدائرة لتشمل تراث العالم الثالث ثم التراث الأوروبي قديمه وحديثه وإلا أصبحنا متقوقعين أو مغتربين . والمشكلة أن الشعراء الناشئين ، بل بعض المشهورين أيضاً ، غير مطلعين على تراثنا وأدبنا وثقافتنا بما فيهم من حقائق وأساطير ملهمة . إن (**ألف ليلة وليلة**) ومغامرات وملاحم عصر ما قبل الإسلام والعصور الإسلامية المختلفة ، مثل **حروب داحس والغبراء والبسوس والهلاليين والزير سالم وعنترة بن شداد ومن قبله امرىء القيس** ، كلها تمثل ميثولوجية لا تقل ثراء عن الميثولوجيا الإغريقية . والأهم من ذلك هو استبصار ما خلف هذه المأثورات العربية شعراً ونثراً بأنواعهما من قيم ومواقف ورؤى شاعرية ، فهي منهل لا ينضب للذاكرة التاريخية والفنية .

وأود أن أشير أيضاً إلى أن في شعرنا العربي القديم بذوراً جنينية للتقنيات الحديثة مثل مناجاة الذات والحوار والارتداد وتيار الوعي وأسلوب القطع والمزج السينمائي والإسقاط والتداخل وتعدد الأصوات وتحريك المجموعات من بشر وحيوانات وجمادات . وقد بينت ذلك في كتابي (**رؤية جديدة في شعرنا القديم**) . وإهمال هذا الكنز المعرفي والفني أو إنكاره والارتماء في أحضان الآداب الأخرى هو بمثابة الهروب إلى الأمام ، مما يترتب عليه إنتاج أدب يفتقد الروح ولا يعبر عن وجداننا وانفعالاتنا تجاه الماضي والحاضر والتطلع إلى غد أكثر حرية وعدالة ، مع التأكيد مرة أخرى على ضرورة الاطلاع على التراث العالمي كله ، وعلى **أن الأدب الحي الباقي على الزمن هو مزيج من المعارف والأحاسيس والقيم الإيجابية التي تجعل الإنسان سيد مصيره وتمكنه من التطور والرقي في ظل التعبير الحر .**

أزمــة شعــر

•• كيف ترى حال الشعر

• هو انعكاس للمرحلة الراهنة في العالم العربي سياسياً واجتماعياً وحضارياً بصفة عامة ، أي أنه **يمر بأزمة بدأت بأزمة شعراء وانتهت بأزمة شعر ، وشعراء المقاومة الفلسطينية هم** الذين يبدعون ويطورون الحركة الشعرية وينقذونها من الركود ، وذلك لأنهم يمتلكون رؤيا ناشئة عن تغلغلهم في أعماق شعبهم المقهور . أما البقية الباقية من شعراء الخمسينيات والستينيات محاصرون بين الخوف الذي ينبت أدباً مقروراً مرتعشاً أو رومانسياً أو ميتافيزيقياً وبين البحث عن وسائل الشهرة بمصاحبة **المستشرقين أو المستعربين** لترجمة أشعارهم بعد أن نضب معينهم ، على أنه في ظل الهامش الديمقراطي المتاح الآن في مصر ظهرت منذ السبعينيات أصوات واعدة ممن يمتلكون وعياً غير زائف ، ويدركون أن للشعر والفن عامة وظيفة اجتماعية ، ويستمعون إلى أنات الناس وصراخهم وإلى أحلامهم المجهدة وكفاحهم المستميت في سبيل التغيير ، والإسهام في الكشف عن الحقيقة وبناء عالم أفضل .

فلسطيــن والشعــر

•• ماذا عن موقف الشعر من القضية الفلسطينية باعتبارها قضية العرب الأولى ؟ .. هل استطاع التعبير عن صوت الأرض وصوت الذات العربية الإسلامية المهدرة ؟

• شعراء المقاومة الفلسطينية : **محمود درويش وسميح القاسم** ورفاقهما يمثلون في رأيي ذروة الشعر العربي الحديث . وعلى الرغم من كثرة ما كتب من قصائد طوال الأربعين عاماً الماضية ؛ أي منذ النكبة وهو تاريخ معاصر لمولد القصيدة الحديثة ، فإن كثيراً منها - باستثناء بعض قصائد **أدونيس** وشعراء **الجنوب اللبناني** بعد الغزو الصهيوني وقلة قليلة من **العراق وسورية ومصر** وندرة **بالكويت والبحرين وتونس واليمن** - لا يرقى عندي إلى مستوى ما أبدعه الفلسطينيون ؛ لأنهم أبناء الأرض المغتصبة ، وأكثر الفنانين شعوراً بالمأساة وأملاً في العودة ، هم الصوت والآخرون الصدى . **وقد أمدوا حركة الشعر الحر بفيض جديد وأضافوا وتراً جديداً هو وتر المقاومة الثورية إلى قيثارة هذا الشعر .**

وعطاؤهم خصب وغزير ومتنوع ، كما أن أفقهم غير محدود مثل كثير من الشعراء المعاصرين ، ويبلغ بعضهم أفق الشعر العالمي .

والكلمة عندهم ترتفع إلى مستوى الفعل ؛ لأنها ملتحمة بالشعب ومرتوية من ينابيعه . كما أنهم مطلعون على التراث العربي والتراث العالمي .

هم أصحاب قضية عادلة يملكون الوعي ويمتلكون الموهبة وأدوات التحديث . ولذلك غدا

* شعرنا العربي الآن يمر بأزمة .. وشعراء المقاومة الفلسطينية هم الذين يبدعون ويطورون الحركة الشعرية وينقذونها من الركود .

كثير من شعرهم يلمس وجدان الناس في كل مكان لصدقهم ورهافة حسهم . **وقد نتجت هذه العالمية من المحلية ، أي أنهم لم يقلدوا بضاعة الغرب كما فعل بعضنا ، وإن كانوا قد استفادوا من تقنيات الشعر والفنون الأخرى الأوروبية وغيرها . ولا شك أن عمق وعيهم الوطني والاجتماعي وثقافتهم السياسية وإيمانهم العميق برسالتهم جعلهم طليعة للشعراء العرب استطاعت أن تعطي حركة الشعر العربي قطرات ندية أنعشت الأرض الظامئة .**

الأدب في الجزائر

•• من خلال وجودكم في الجزائر لعدة سنوات ، ما رأيكم في الحركة الأدبية والثقافية بها ؟

هنالك طموح يستبد بالإخوة الجزائريين لإبداع أدب عربي ذي ملامح جزائرية متميزة ، يطاولون به هامات المبدعين الكبار لا في المشرق العربي فحسب بل على المستوى العالمي ، ويعوضون به الفراغ الذي نشأ بعد انقضاء عصر الروائيين الجزائريين الكبار ذوي اللسان الفرنسي ، وهم **محمد ديب ومالك حداد ومولود فرعون ومولود معمري وآسيا جبار وكاتب ياسين** الذين استوحوا ثورة التحرير الجزائرية في أعمالهم ، هذا في حقل **القصة والرواية** . وكذلك بالنسبة للشعر إذ حدث فراغ بعد رحيل شعراء مرحلة الثورة وفي مقدمتهم **مفدي زكريا ومحمد العيد خليفة** ، وانقطاع رائدي القصيدة الحرة في الجزائر عن الشعر وهما **أبو القاسم سعد الله ومحمد الصالح باويه** ، وإلى جانبه **أبو القاسم خمار** وإن كان إنتاجه قد تضاءل ، وكذلك **محمد عبد القادر السائحي** وكلاهما يتأرجح بين القديم والجديد .

وقد ملأ الفراغ الروائي منذ الستينيات كتاب مبدعون على رأسهم **الطاهر وطار وعبد الحميد هدوقه** اللذان قدما رواية حديثة مستكملة الشروط الفنية باللغة العربية ، وهما مخضرمان جاء من بعدهما جيل الاستقلال ، ومن أبرز كتابه **مرزاق بقطاش وخلاصي جيلالي وواسيني الأعرج والسائح الحبيب .**

وهنالك أيضاً الروائي **رشيد بو جدره** الذي انتقل من التعبير بالفرنسية التي كان من أكبر أدبائها إلى الكتابة بالعربية . وهكذا بدأت اللغة العربية تستعيد مكانتها في الجزائر رغم بقاء واستمرار التيار المعبر بالفرنسية سواء على مستوى الرواية أو مستوى الشعر ، وثمة صراع بين الفريقين يهدأ حينا ويشتد أخرى .

وقد بزغ في أواخر الستينيات وطوال السبعينيات جيل جديد من الشعراء يكتب **القصيدة العربية الحديثة** ، وفي طليعتهم **أحمد حمدي وعبد العال رزاقي** وأزراج عمر وسليمان جوادي ومحمد زتيلي ومصطفى الغماري ـ والأخير يؤثر النهج العمودي ـ وقد بدأوا باحتذاء نموذج هذه القصيدة عند روادها في العراق ومصر والشام ، ثم شبوا عن الطوق واكتسبوا مزيداً من الوعي ومن الخبرة الفنية معاً ، فكتبوا قصائد يرتفع بعضها في مستواه إلى مصاف الشباب الموهوبين المتميزين في الوطن العربي .

وقد كانت الأحداث الوطنية التي تحول بها مسار المجتمع الجزائري في العقد السادس مثل الثورة الزراعية والصناعية والتأميمات حافزاً قوياً لإلهام هؤلاء الشعراء ، وكذلك المد التحرري العربي الدافق قبل هزيمة ١٩٦٧ م والانتفاضات الثورية في العالم الثالث بصفة عامة ، وهكذا شقت الشبيبة الجزائرية طريقها الصعب بإرادة مشتقة من صلابة ثورة المليون ونصف المليون من الشهداء . وفي رأيي أنه رغم تأثر الشعراء الشباب الجزائريين بالنسق والرؤى واللغة المشرقية ، فإن شعرهم ذو خصوصية ، لأنه نبت البيئة الجزائرية وثورة نوفمبر الكبرى ، ومن ثم نجد عند بعضهم نماذج تختلف بنكهتها المتفردة عن نماذج نظرائهم في البلدان العربية الأخرى .

وهكذا يمثل الشعر الجزائري الجيد صوت الجزائر الخاص ، فهو في حده الأدنى ينبع من الوطن الذي خضبت أرضه بدماء الشهداء ، وهو في حده الأوسط يغني للثورة ، ولكنه يتطلع الآن إلى أن يكون شعراً ثورياً ، فالأحاسيس والأفكار التي يعكسها مستقاة من الماضي القريب ومن الواقع الراهن ، وليس ثمة تلك **الرومانسية** الحالمة التي نجدها عند أقرانهم في بلدان أخرى ، ولا هذه الجماليات **الكلاسيكية** الجوفاء من المضمون ، فشعرهم ينبثق من الذكريات الطفولية المأساوية في عصر ثورة التحرير ، وعيونهم على واقعهم الحافل بالتناقضات ، وهم يحاولون أن يكتبوا في الوقت نفسه شعراً مستقبلياً يبشر بميلاد مجتمع آخر وفكر جديد ، وذلك هو الشعر الذي ينشد التغيير في البنية الاجتماعية والتعبير بالوسائل الفنية التي تعكس هذا التغيير .

وأجمل قصائدهم هي التي تصدر من جذور الأرض ومن الدم الذي روّاها ، والتي تعبر بلغة تراثية ملقحة بدم العصر ، ومصورة لرؤية متطورة . وقد نشرت أخيراً كتاباً بعنوان (**شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق**) يتضمن تنظيراً لهذا الشعر ، وتقييماً لبعض نماذجه في ضوء منهج موضوعي تحليلي .

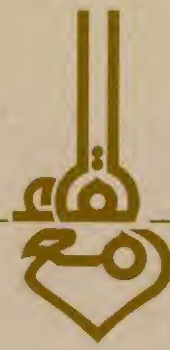
حلم قديم جديد

•• لماذا لم تكتب المسرح الشعري حتى الآن ، رغم ظهور الحس الدرامي في قصائدك ، واعتمادك القصيدة الحديثة (ذات التفعيلة) والتي تتوافق مع طبيعة المواقف المسرحية ؟

• ها أنت تنكأ الجرح القديم الجديد مرة أخرى ، إذ كان ومازال حلمي أن أكتب مسرحية شعرية . وقد قلت لك إنني كتبت مشاهد مسرحية من وحي ملحمة سهراب ورستم وأنا على أبواب الدراسة الجامعية ، ثم كتبت مسرحيتين قصيرتين إحداهما من وحي أسطورة إيزيس وأوزيريس ، والأخرى عن **إخناتون** الذي كنت مبهوراً به . ولكن لم يقيض لهما أن ينشرا .

ثم حال دون الاستمرار في التجريب قدري الوظيفي المناقض لطبيعتي ، وتشردي في بلاد الله بحثاً عن أفق يتسع لصوتي بعد أن ضاق به المزيفون ، فاخترت المنفى الذي لم تكن حياتي فيه أقل قسوة وإن منحتني فيضاً شعرياً من وحي تلك المعاناة وهذا الشقاء . والكتابة للمسرح ـ كما تعلم ـ تحتاج إلى شيء من التفرغ ، ولولا الحياة الناعمة أو لنقل المستقرة المطمئنة التي عاشها **شوقي** ومن جاء بعده عندنا من كتاب المسرحية الشعرية لما أتيح لهم كتابة مسرحية واحدة .

ومازلت حتى الآن أعاني متاعب في نشر كثير من إنتاجي في وطني ؛ لأنه يعبر عن الحقيقة ،



* الشعر عندي يطهر النفس كما قال قديمًا أرسطو، وأؤمن أن له دورًا اجتماعيًا وتاريخيًا.

فألجأ إلى مجلات أخرى مثل (**البيان**) بالكويت لتنشر لي قصائدي عن النيل وأهمها القصيدة الملحمية (الجذور) ، وهذا هم آخر ، إلى جوار العمل الجامعي في تدريس القانون مما يستغرق كثيراً من وقتي وجهدي . ورغم ذلك فإنني مازلت مسكوناً بالرغبة في تحقيق حلمي ، وسوف أبدأ هذا المشروع حين استقر نهائياً في بلادي وهو ما عقدت عليه العزم إذا كان في الأجل بقية .

سيــرة إبــداعيــة

●● **هناك مجموعة من الشعراء كتبوا عن تجربتهم مع الشعر ، فهل يفكر الشاعر الدكتور حسن فتح الباب عن شيء كهذا ؟**

● كتبت عن سيرتي الذاتية والفنية مذكرات بدأتها في العام الماضي ، وقد بلغت الآن نحو خمسمائة صفحة . ولكنها تختلف في بعض فصولها عما سبقني إليه غيري ، فمعظمها مذكرات قصائد حسن فتح الباب وأقلها مذكرات حسن فتح الباب ، بمعنى أنني أركز على عملية الإبداع ، ولذلك نشرت بعض هذه الفصول بالصحف الجزائرية بعنوان اختاروه لها وهو : (الشاعر حسن فتح الباب وأسرار سيرته الإبداعية) ، ووصفوها بأنها حفر في أعماق الذاكرة .

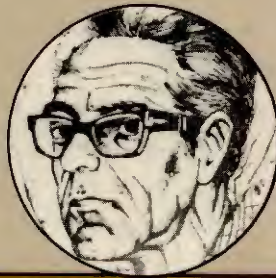
وتقف عدة عوامل متشابكة خلف كتابتي هذه المذكرات وتلك الذكريات التي يبلغ بعضها مستوى اللوحات الشعرية ، وجاءت بعض مشاهدها درامية شعرية . وكانت البداية هي إلحاح رفيقة العمر وأصدقاء منهم فلسطينيون منحوني شرف ثقتهم في قولي الحقيقة وإماطة اللثام عن وقائع لا يعرفها الجيل المعاصر . فأردت أن أدلي بشهادتي لهذا الجيل لعلها تكسبه مزيداً من الوعي ، وأردت أيضاً أن أقدمها للتاريخ . ومارست فيها النقد الذاتي ، فلا قيمة لأي سيرة ذاتية أو إبداعية مالم يحاول صاحبها التجرد من ذاته ، فيضع نفسه على مشرحة مثلما يفعل الطبيب النفسي مع مريضه ويستخدم أسلوب التداعي ، لأن مشكلتنا هي النرجسية ، هي الأنا والتبرير .. معظم المبدعين يتصور كل منهم أن ذاته هي محور الكون وقطب العالم ، وينسى أو يتناسى أنه قطرة في محيط ، وأن حركة الشعوب أقوى من الفرد مهما كانت عبقريته ، وهو يساهم في حركة التاريخ بقدر ما هو أصيل ، **والأصالة عندي هي الصدق في التعبير عن التجربة** ، وهي رواية الذي كان دون تزييف ، واستشفاف الآتي ، إضاءة النامي وإدانة القبيح والمتخلف .. هكذا أمارس النقد والنقد الذاتي في آن واحد : هل أنا هو الجحيم أم الجحيم هم الآخرون ـ كما يقول سارتر ؟

آخــــر الأعمـــال

● **ماذا عن آخر أعمالكم الأدبية ؟**

● قدمت لدار نشر مصرية أخيراً مخطوطة ديوان (**مواويل النيل المهاجر**) ، وهو عاشر المجموعات الشعرية التي صدرت لي ، ويعد الثاني في التعبير عن مرحلة النفي الاختياري ، والأول هو ديوان (**وردة كنت في النيل خبأتها**) الذي صدر عن **دار النشر التونسية** في العام الماضي . ومازالت لديّ قصائد جديدة من وحي الرحلات في الخارج لم يتضمنها ديوان المواويل . كما أنني أتابع كلما أتيح لي الوقت كتابة مذكراتي ، واعتزم نشر الجزء الأول منها قريبا .

كما فرغت من كتابة دراسة نقدية تتناول تحليل قصائد لأهم الشعراء العرب المعاصرين ، وسوف أطبعها في كتاب بعنوان (**رؤية جديدة في شعرنا الحديث**) . وأتممت أيضاً كتاباً يضم ترجمات لقصائد من الشعر الفرنسي الجزائري والعالمي .



د . حسن فتح الباب .. في سطور

● من مواليد عام ١٩٢٣ م ، شبرا ، القاهرة .

● دكتوراه في القانون الدولي والعلوم السياسية من كلية الحقوق ، جامعة القاهرة .

● عضو رابطة الحقوقيين الديمقراطيين الدولية في بلجيكا ، وجمعية القانون الدولي وجمعية الاقتصاد والتشريع واتحاد الكتاب بمصر .

● شارك في كثير من المؤتمرات السياسية الدولية والعربية ، وفي مؤتمرات اتحاد الأدباء العربي والمهرجانات الشعرية .

● آخر المناصب التي تولاها في مصر .. مدير القضاء العسكري بوزارة الداخلية ، وترقى إلى رتبة لواء .

● يعمل منذ سبتمبر ١٩٧٧ م أستاذا بكلية الحقوق جامعة وهران ، بالجزائر .

● له (١١) كتاباً في القانون الدولي والعلوم السياسية والدبلوماسية ومكافحة الجريمة ، وفي التخطيط والتنظيم والقيادة الإدارية في الإسلام .

● نشر له كتابان في مجال النقد الأدبي : (رؤية جديدة في شعرنا القديم) و(شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق) .

صدرت له الدواوين الآتية :

١ ـ من وحي بورسعيد ، ١٩٥٧ م ، دار المنتدى الثقافي بالقاهرة .

٢ ـ فارس الأمل ، ١٩٦٥م ، مكتبة الأنجلو بالقاهرة .

٣ ـ مدينة الدخان والدُّمى ، ١٩٦٧م ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر بالقاهرة .

٤ ـ عيون منار ، ١٩٧١ م ، دار النجاح ببيروت .

٥ ـ حبنا أقوى من الموت ، ١٩٧٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

٦ ـ أمواجاً ينتشرون ـ ١٩٧٧م ، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ، وزارة الإعلام ، بغداد .

٧ ـ معزوفات الحارس السجين ، ١٩٨٠م ، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

٨ ـ رؤيا إلى فلسطين ، ١٩٨٠م ، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

٩ ـ وردة كنت في النيل خبأتها ، ١٩٨٦م ، الدار التونسية للنشر بتونس .

١٠ ـ مواويل النيل المهاجر ، (تحت الطبع) .

١١ ـ قصائد من الدانوب ، (تحت الطبع) .

فن الكتابة الصحفية

المقال الافتتاحي.. كتابة العمود.. واليوميات

بقلم: د. عبد العزيز شرف

المقال الافتتاحي هو المقال الرئيسي للصحيفة ، وله فن خاص به من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح ، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً ، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط ، هي إقناع القارىء[1]

كما أن كاتب المقال الافتتاحي في الجرائد الكبرى مثل (التيمس) و(الهيرالد تريبيون) يكون معروفاً لدى جمهور القراء . بمعنى أنهم قد تعودوا على أسلوب كاتب المقال الافتتاحي الذي يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والإيناس بين الكاتب والقارىء . ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحي الذي لا يوقع باسمه ، معروفاً لدى جمهور القراء الذين تآلفوا مع أسلوبه ، وتعودوا على فتح الصحيفة في صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع في حججه

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها ماعدا واحدة ما يجري في العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء . وتستبقي صفحة واحدة فقط ، وفي بعض الأحيان ، عموداً واحداً فحسب ، لتجهر بآرائها هي وأفكارها . فحق الصحيفة في الإعراب عن رأيها في الأنباء التي تنشرها أمر طبيعي جدا ، فالنبأ والرأي رفيقان يظهران جنبا إلى جنب ذلك أن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأي معلومات تثير اهتمامنا هو « **ما رأيك في هذا الأمر** » ؟[2] ولذلك كانت الصحافة في أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة ، فتصدر إحداها في رسائل الأنباء ، والأخرى في كراسات . وكان « **دانيال ديفو** » هو أول من وحد بين هذين التيارين الصحفيين في مطبوعة واحدة أسماها « **ذي ريفيو** » أصدرها في لندن عام ١٧٠٤[3] .

وينسب إلى **ريفو أولية** كتابة ما كان يسمى « **بالخطاب الافتتاحي** » **وهو أول مقال حول موضوع سياسي أو اجتماعي هام تعليقاً على الحوادث الجارية يكتب بأسلوب شائق جذاب ويظهر عادة في صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارىء فسمي بالخطاب الافتتاحي وكان نواة للمقال الافتتاحي الذي نعرفه في الصحافة الحديثة**[4] .

وقد أوحت لغة الصحافة المتطرفة في حزبيتها ، الصاخبة في أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية هذا الصحفي الفذ « ديفو » بابتداع المقال الهادىء المتزن الذي يمحص الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات في هدوء وروية ، وهكذا انشأ ديفو لأول مرة في تاريخ الصحافة الإنجليزية مقالات سياسية معتدلة ، ومنطقية متزنة . ثم تطور فن المقال الافتتاحي في الصحف السياسية التي اشترك فيها ديفو حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذي يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة . وبفضل ديفو عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحي ليس تعبيراً عن رأي الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة ، كما هي العادة بالنسبة لأضرب المقال الأخرى وفنونه المتعددة ، **بل إنه على العكس من ذلك ينبغي أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأي الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة** . فإذا كتب رئيس التحرير مقالاً افتتاحياً فلا يجوز أن يضمنه رأياً شخصياً ، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشؤون السياسية والاجتماعية . **فالمقال الافتتاحي لا يمكن أن يذيل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته كتعبير عن السياسة العامة للصحيفة ، لا رأي الكاتب وحده**[5] .

وتأسيساً على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحي ذهبت الصحافة الحديثة إلى تخصيص صفحة للافتتاحيات ، تجعلها مؤلفة من آراء الصحيفة نفسها ، معبراً عنها قولاً في افتتاحيات ، ورسماً في صورها الكاريكاتورية ، وكذلك من آراء الآخرين . وقد تكون هذه الآراء الخارجية هي أفكار قراء الصحيفة التي ترد إليها على الطريقة المعروفة « **رسائل إلى المحرر** » أو مقتطفات موجزة من أعمدة الرأي المنشورة في صحف أخرى ، تنقلها تحت عنوان مثل « **من أقوال الصحف** » مثلاً[6] .

ويتحمل كتاب الافتتاحيات مسؤولية كبرى تجاه

الجمهور . إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوي الاطلاع الواسع ، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين في الموضوعات التي يكتبون فيها ، وأن يكونوا منصفين في الآراء التي يكونونها أو يعبرون عنها فليس هناك في هذه الأيام إنسان واحد يستطيع أن يقتدي **بفرنسيس بيكون** و« **يجعل المعرفة كلها ملك يديه** » . على أن الأمر كما يقول **جافري بارسونز** عندما كان المستشار الرئيسي لجهاز تحرير الافتتاحيات في صحيفة **نيويورك هيرالد تريبيون** ، هو ما يلي :

« **كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة ازدادت مقدرته على استنهاض الفكر في أي موضوع . فإن كاتب المقال الافتتاحي المجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أي مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقاً ... وليس كثيراً عليه أي قدر من المعرفة ، إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره** »[٧] .

وإدراكاً لهذه الأهمية ، ذهب علماء الاجتماع إلى القول : **إن الظروف والأحداث التي تمر بالإنسان والتغيرات التي تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما . أو يكون لها في كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاها الفرد وأدركها وقدرها وكيفها فإذا لم يحدث من ذلك شيء ظلت هذه الظروف والأحداث والتغيرات بعيدة عن وجدان الناس . بل أصبحت وهي في حكم العدم**[٨] .

وينعكس أثر هذه المعرفة التي يحصلها كاتب المقال الافتتاحي على ما يكتبه تحليلاً للأخبار وما وراءها ، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى . وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما تستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التي تعرض لها ، سواء أكانت هذه المشكلات **نفسية ، أم اقتصادية ، أم سياسية ، أم اجتماعية** . ويكون الفضل في ذلك راجعاً إلى الصحافة ، أو إلى ذلك الكاتب الذي انبرى للكتابة في الوقت المناسب وأخذ يزج بنفسه في تلك المشكلات ، وإن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها ، أو اشتركوا في إحداها على أية صورة من الصور . بينما قد لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التي أحاطت بهم وأصبح لها أثر في حياتهم ، وذلك لانعدام الوعي من جهة ، وعجزهم عن تصور حياة أفضل ، أو حالة أحسن من جهة ثانية[٩] .

القواعد والمبادىء

وفي ذلك ما يؤكد مسؤولية كتاب المقال


★ العقاد ★ ★ طه حسين ★

الافتتاحي كصياغة للرأي العام . الأمر الذي تشهد به لهجة القواعد والمبادىء التي نسقها وانتهجها **المؤتمر الوطني لكتاب الافتتاحيات في الولايات المتحدة** . فقد جاء في فذلكة هذه القواعد « **أنه يجب على كاتب المقال الافتتاحي ، إذا كان يتوخى الأمانة لمهنته ومجتمعه ، أن يَجِدَّ في أثر الحقيقة أنىٰ أدى به المطاف** »[١٠] .

وفيما يلي النقاط الأساسية لهذا القانون :

١ ـ ينبغي على كاتب المقال الافتتاحي أن يعرض الحقائق بأمانة واكتمال .

٢ ـ ينبغي عليه أن يخلص من الحقائق التي يوردها إلى نتائج موضوعية ، وأن يدعمها بالبيانات ، وأن يقيمها على مفهوم الخير الأعم .

٣ ـ ينبغي عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية .

٤ ـ ينبغي عليه أن يدرك أنه ليس معصوماً من الخطأ ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه ، في عمود رسائل للجمهور وغير ذلك من الوسائل الملائمة .

٥ ـ ينبغي عليه أن يعيد النظر في استنتاجاته الخاصة وأن يصححها ، إذا وجدها مرتكزة على مفاهيم خاطئة سابقة .

٦ ـ ينبغي أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقتنع به على أسس متينة ، وألا يكتب أبداً أي شيء ضد ضميره . وعندما تكون صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد ، فإن الوصول إلى رأي جماعي سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة ، لذلك ينبغي احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير .

٧ ـ ينبغي عليه أن يؤازر زملاءه في تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية[١١] .

ونتيجة لهذه الأهمية التي أحرزها المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة أن احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة ، بحيث يكون أول شيء يطالعه القراء فيها . ولم يتزحزح المقال الافتتاحي عن مكانه الممتاز في الصفحة الأولى إلا في وقت قريب ، أي منذ انحازت الصحافة الحديثة في الفترة الأخيرة إلى الخبر ، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال[١٢] .

وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كُتَّاب هذا المقال كانوا ولا يزالون ـ نوابغ الصحافة في كل أمة من الأمم ، بل في كل فترة من فترات التاريخ[١٣] .

ففي الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحي للمجلة أو الصحيفة أمثال : **محمد عبده ، وأديب إسحق ، وعبد الله النديم ، وإبراهيم المويلحي ، والسيد علي يوسف ، ومصطفى كامل ، وأحمد لطفي السيد ، وعبد القادر حمزة ، وأمين الرافعي ، وإبراهيم المازني ، وحسين هيكل ، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعاً**[١٤] .

وفي الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الافتتاحي مكتوباً بأقلام ديفو ، وأديسون ، وستيل ، وجونسون ، وويلكز ، وسويلت وغيرهم[١٥] .

وقد أصبح للافتتاحية في الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميزة ، وأقرب الكتابات إليها هو المقال . إلا أن الفرق بينهما هو أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة . أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة . **فما كتبه أديسون أو ستيل** في القرن الثامن عشر **لم يفقد قيمته اليوم** ، لأنه يعالج كقاعدة موضوعاً ذا قيمة لازبة ، أما الافتتاحية التي كتبت في القرن الثامن عشر فإنها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لمجرد ما تنطوي عليه من قيمة أثرية ، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعاً ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب[١٦] .

وتأسيساً على ذلك يمكن تعريف المقال الافتتاحي بأنه مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذي يصدر فيه .

أما الغرض الذي يرمي إليه هذا المقال الافتتاحي فهو عرض الرأي الذي تراه الصحيفة نفسها ، ولها عدة طرق لبيان هذه الأفكار والآراء .

ومما يذكر في هذا الصدد أن **آرثر بريسبين** الذي كان له أتباع كثيرون في أيامه ، كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية يقوم على أداء أغراض ، أن يعلم ، وينازل ويدافع ، ويمتدح[١٧] .

والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها .

والنزال أسهلها وأبغضها إلى النفس ، وأن تكون ضرورية في بعض الأحيان .

أما الدفاع عن القضايا الخيرة ، وعن الضعيف ضد القوي ، وعن الفكرة الجديدة والحيلولة دون تسفيهها ، فأمر مهم ويهمله كتاب الافتتاحية عادة .

وكذلك الثناء مهمل أيضا إلا على الصعيد الحزبي دون أن يكون له معنى ما[١٨] ..

إن وظيفة الافتتاحية ، من وجهة نظر مثالية ، هي إعلام الرأي العام والأخذ بيده ، فهي تفسر النبأ السائر للقارىء وتبين ماله من دلالة . وتقول في ذلك جريدة « **نيويورك تايمز** » : « **إذا ضلت الوظيفة القيادية طريقها في بعض المواضع بين وقت وآخر ، فإن العامل المعتمد عليه في التصويب جاهز دائما في متناول اليد إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة**[١٩] .

خصائص المقال الافتتاحي

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التي يتميز بها المقال الافتتاحي في الصحافة المعاصرة هي :[٢٠]

● **أولاً** : خصيصة الثبات على سياسة واحدة هي سياسة الصحيفة ، إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي ، ومن أجل هذا يراعى في المقال الافتتاحي عادة ألا يكون مذيلاً بتوقيع كاتبه ، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام ، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام .

● **ثانياً** : خصيصة الحذر والاحتياط في إبداء الرأي لأنه مادام رئيس التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي ، بل عن رأي الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها - الإعلام - وجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة وإلا عرضها للخطر .

وهنا تثار مسألة تتصل « **بضمير الكاتب** » ، **فهل معنى ما تقدم أن الكاتب ينبغي أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التي قلنا إنها ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكاً لكاتب من كتابها ؟**

والجواب عن ذلك - كما يقول **الدكتور سبنسر** - هو أن الكاتب الذي يختلف في وجهة نظره عن



★ مصطفى أمين ★ ★ علي أمين ★

وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحي مجالاً لإظهار ذلك .

وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفي المقال الافتتاحي أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها في بعض ، ويعتمد بعضها على بعض ، ويتداخل بعضها في بعض ، وهذه الأشياء الثلاثة هي : **سياسة الجريدة ، وصياغة المقال ، واهتمام القراء** .[٢١]

والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هي كما كانت دائما : تفسير الأنباء ، وإرشاد الرأي ، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة ولكن النطاق الذي يعمل ضمنه قد اتسع .[٢٢]

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحي شأناً . فإن كاتب المقال الافتتاحي كثيرا ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما بيد أن الاتجاه الحديث المتزايد هو نحو إشاعة الإشراق على صفحة الافتتاحية بما يسمى الافتتاحيات « **الرشيقة المرحة** » المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية ، كالبحث في قاعدة لغوية ومداعبة الشاذ عنها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب .[٢٣]

تلك في إيجاز شديد ، هي أهم خصائص المقال الافتتاحي في الصحافة العالمية ، والتي استمدها نتيجة لتطور الصحافة نفسها ، فأصبحت الصحافة الحديثة تعمد إلى كتابة العمود الرئيسي أو المقال الافتتاحي على نحو من الإيجاز في عمود واحد من أعمدة الصحيفة ، وفي هذا العمود مقال واحد حينا ، ومقالان أو ثلاثة حينا آخر .

وذلك لكي تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التي لم تعرفها الصحافة القديمة ، أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة .

فن كتابة العمود الصحفي ..

نتحدث هنا عن « فن العمود الصحفي » لنتعرف على فن مقالي جديد في الصحافة ، التي نستطيع أن نميز فيها اهتماماً بالغا بفنون : المعالم في التحرير الصحفي ، التي تشمل التقرير الصحفي والحديث الخاص .

ويجيء فن العمود الصحفي في مكانه من الجانب المقالي الذي احتل حيزاً كبيراً من الصحافة ، لما يمتاز به من وصف واقعي ورجوع إلى مصادر الأنباء ، وأسلوب صحفي اجتماعي بسيط ، فضلا عن تنوع أساليب التحرير في المقال ، وعلى الرغم من أن لفن العمود الصحفي في الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفي الثابت في العالم ، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيراً على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة ، فإن تكامل العمود وشعبيته حديث عهد نسبيا .

ذلك أن الصحف اهتمت في حياتها بالخبر ثم بالمقال ، بينما لم يتسع المجال للعمود الصحفي فلم يظهر إلا متأخراً ، وإذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفي في الصحف ، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصراً في أوائل القرن العشرين . **فالصحف العربية والمصرية خاصة ، كانت تعتمد على المقال الافتتاحي ، الذي كان طويلاً في البداية ، ثم أخذ يقصر شيئاً فشيئاً ، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة في أغلب الأحيان ، وإن كانت تتناول أحيانا بعض الموضوعات الطريفة .**

غير أن الصحف قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفي ، فنحن نجد **طه حسين** يتجه في أوائل العشرينات إلى العمود المتخصص ، أو الثقافي ، في « **حديث الأربعاء** » ومن ذلك يتبين أن ظهور العمود المتخصص ، بداءة في مقال **طه حسين** ، يعكس حاجة التجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصري بعد ثورة ١٩١٩ م ، والتي دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون إلى أن تكون « **مرآة صافية صقيلة لحياة الشعب ، يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويبغض منها ما يبغض ، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال ، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح** »

إذن ، فالعمود المتخصص ، ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية التي ظهرت بظهور الترابط الاجتماعي متعدد الوجوه وتجاوب الصحافة مع الطبقات الجديدة في المجتمعات المختلفة . وهو عند **طه حسين** يحقق الصلة بين « **الشعب وحياته الواقعة من الناس دون تفريق** » .

وفي ضوء هذه الرؤيا ، تتعدد أذواق قراء

الصحف ومشاربهم ومستوياتهم ، طبقياً واجتماعياً ، واقتصادياً وثقافياً ، وفي مواجهة هذه الحياة الواقعة الجديدة ليس للصحافة بد من أن تتطور ، وتغير من أسلوب تحريرها واختيار موضوعاتها ، فاتجهت المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف .. ونشأ عن هذا الاتجاه : **المقال الافتتاحي القصير ثم فن العمود الصحفي الذي أخذناه عن الصحافة الغربية .**

ولكن هذا الفن يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن في نهايته من عامل السرعة من جهة ، وبالضغوط التي تعرضت لها الصحافة المصرية ، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى ، بحيث أصبح المقال الموقع في الصحف اليومية في مواجهة ضغوط لا تنبع كلها من داخل صناعة الصحف ، وإنما تنبع من عمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك . ولعل في هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوسل بالرمز ، لمواجهة المصادرة التي فرضت على الصحف والكتب ، وهنا نجد **طه حسين** ـ مثلا ـ يكتب « **جنة الشوك** » وينشرها على شكل عمود في « **الأهرام** » في الأربعينيات قبل جمعها في كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥ م . وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفي « **بالجمهورية** » في الستينيات .

ومقال العمود حديث شخصي يومي أو أسبوعي لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل « **فكرة** » **لمصطفى أمين** بالأخبار ، والتي كان يكتبها من قبل شقيقه المرحوم **علي أمين** ، و« **مواقف** » **لأنيس منصور** بالأهرام والتي كان يكتبها من قبل بالأخبار ، و« **نحو النور** » **لزكي عبد القادر** بالأخبار ، و« **الموقف الراهن** » لرائد عطار ، و« **مجرد نصيحة** » **لصلاح منتصر** بالأهرام .. الخ .

والعمود الصحفي يمثل فكرة أو رأياً أو خاطراً للكاتب ، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية ، أو سياسية أو ثقافية . ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالي هي ربط القارىء بالكاتب وبالصحيفة . ويعتبر العمود رأياً شخصياً للكاتب قد يختلف مع سياسة الصحيفة في موضوع معين ، غير أن بعض علماء الصحافة مثل **ليليغ** يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحي ، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو ، **على أن معظم الصحف الكبرى في العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معبراً عن رأيه الشخصي .**



★ محمد زكي عبد القادر ★ ★ أنيس منصور ★

أما خصائص العمود من حيث التعبير فيشمل : **جمال الأسلوب ، وروح الفكاهة ، والذاتية التي تميزه عن المقال الافتتاحي ، واتخاذه شكل الهرم المعتدل في الصياغة ، والإيجاز في العبارة ، وربما كان أهم من ذلك كله أن كتاب العمود الصحفي ينبغي لهم ألا يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء ـ على حد تعبير ريفرز ـ في تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخبرية ، ثم يلصقون في نهايتها فقرة قصيرة من المدح ، أو القدح في الشخصية الرئيسية للقضية ، فإذا كان لدى القارىء أي استقلال فكري ، فإنه سوف يجد أن مثل هذا المقال لا يعني شيئاً بالنسبة له .**

اليوميات الصحفية

يقترب فن اليوميات الصحفية من روح فن العمود الصحفي من حيث التعبير عن خوالج النفس وروح المذهب الذي يعتنقه الكاتب ، ونظرته إلى الحياة ، حيث يسجل في هذا الفن المقالي خواطره المتناثرة التي تؤثر في القارىء ، وهي خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال ، ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه ـ لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتي تأتي بالنتيجة وراء سببها بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان في خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته ، كما يذهب إلى ذلك « تشارلتن » .

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب « **وكأنه يتحدث في سمر حديثاً مطلقاً من كل قيد ، فيدع الخواطر يسوق بعضها بعضاً بما بينها من روابط تستدعي تتابعها وتداعيها دون أن يعمل في ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق .. هكذا بدأ مونتاني أدب المقالة على وجهه الصحيح** » .

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفي ينبغي أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير ، ويخلعها دائما كما يخلع معطفه عند هذا الباب حتى إذا ما انتهى عمله ، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التي يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه ، غير أن هذا الرأي لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة ، وذلك ـ كما يقول **الدكتور إمام** ـ لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبي من حيث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب ، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة ، فهي تقدم صوراً نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعاني ، وهي تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتنع ، ولاشك أن طواعية اللغة لا تتيسر إلا للعارفين بها ، والقادرين عليها . على نحو ما نجد في « **يوميات الأخبار** » التي كان يكتبها **العقاد رحمه الله** .

يتبين لنا بعد كل ما قلناه أن فن اليوميات الصحفية يمكن أن يتلخص في أنه يتناول الفكرة والأداء في وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر : آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته وتشوقه وتطلعاته ، عن طريق تطويع اللغة .



الهوامش

(١) حمزة : المدخل ص ٢١٨ .
(٢) بوند : مدخل في الصحافة ص ٢٨٩ .
(٣) إمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦ .
(٤ ، ٥) إمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦ .
(٦ ، ٧) بوند : مدخل في الصحافة ص ٢٨٩ ، ٢٩١ .
(٨) حمزة : المدخل ص ٢٢٦ .
(٩) نفس المرجع ص ٢٢٧ .
(١٠) بوند : مدخل ص ٢٩١ .
(١١) بوند : مدخل ص ٢٩١ .
(١٢) حمزة : المدخل ص ٢٢٧ .
(١٣) نفس المرجع ص ٢٢٧ .
(١٤) حمزة : المدخل ص ٢٢٧ .
(١٥) إمام : تطور الصحافة ص ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٣٥ .
(١٦) بوند : مدخل ص ٢٩٣ .
(١٧ ، ١٨) نفس المرجع ص ٢٩٣ .
(١٩) نفس المرجع ص ٢٩٤ .
(٢٠) حمزة : المدخل ص ٢٢٠ .
(٢١) حمزة : المدخل ص ٢٣١ .
(٢٢) بوند : مدخل ص ١٩٧ .
(٢٣) بوند : مدخل ص ٢٢٩ .

بدايات

جهـاز الفاكسمايل

كلمة « **فاكسمايل** » Facsmile تعني **باللاتينية** « **إنتاج صورة أو شيء طبق الأصل من شيء آخر** » .. وهي نفس مهمة جهاز النــقل بالفاكسمــايل facsmile Transmission الذي يتكون مـن جزءين أو من جهازين هما :

★ **المُرسل** Transmitter

★ **والمستقبل** receiver

ويقوم « المرسل » بتصوير المستند ، ثم تحويل تلك الصورة إلى نبضات كهربائية ، يتم نقلها بواسطة سلك الهاتف أو حلقة الراديو إلى الجهاز « المستقبل » حيث تكون الصورة التي أنتجها « المستقبل » مطابقة تماماً لتلك التي بثها « المرسل » .

أول جهاز فاكسمايل اخترعه الاسكتلنـدي ألكسانـدر بيــن Alexander Bain **فــي عـــام ١٨٤٢م** . وبمرور الوقت تطور ذلك الجهاز وأصبح يعرف بجهاز **النقل بالفاكس** Fax حتى أصبح ، في الوقت الراهن ، قادراً على إنتاج نوعية عالية الجودة والدقة من نقل المعلومات والمستندات ، تستطيع أن تنافس ـ إن لم تتفوق على وسائل النقل بالبريد أو بالتلكس أو غيرهما .

مجـالات الاستعمـال

يجب أن يخضع استعمال جميع أجهزة النقل بالفاكس للقواعـد والقيود والأحكام التي وضعتها « **اللجنة الاستشاريـة الدوليـة للبرق والهاتف** » التي تؤكد على سلامة الأجهزة والعاملين عليها وصلاحيتها للاستخدام في إطار شبكة الهاتف .

إن لطريقة النقل بالفاكسمايل تاريخ طويل مع دور الصحافة والنشر والطباعة . ومـع أن استخدامه في تلك المجالات يعتبر حديثاً إلى حد ما ، فإن الاعتماد على ذلك الجهاز يتزايد بمرور الزمن وتتسع رقعة استخدامه ، مما أدّى إلى ظهور أجهزة أكثر



★ جهاز فاكسمايل يعمل على الهاتف ★

تطوراً وأقل سعراً . فجهـاز الفاكسمايل ـ الذي كاد استخدامه الآن أن يحل محل استخدام البريد ـ يعتبر أكثر من البريد سرعة إلى جانب انفراده بمزية هامة للغاية .تتمثل في عدم تعرض المستندات المنقولة بواسطته إلى أية مخاطر كالضياع أو غيره .

وإذا كان **جهاز التلكس** أسرع عملاً من الفاكسمايل فإن نوعية نسخ الحروف في الأول أقل جودة منها في الثاني ، إلى جانب عدم قدرة التلكس على نقل الرسوم البيانية والصور الفوتوغرافية .. وبالإضافة إلى السببين السابقين فإن نسبة حدوث الأخطاء في النسخ تختفي تماماً في جهاز الفاكسمايل الذي يقدّم « صورة » بالغة الدقة للمستند الأصلي .

وجهـاز الفاكسمـايل يعـمل بإحدى طريقتين :

(١) النقل بسلك الهاتف .

(٢) النقل بموجات الراديو .

فإذا استخدمت موجات الراديو ، فبالإمكان إرسال الصور إلـى المركبـات أو البواخـر أو الطائرات ، أو تقوم **سفن الفضاء** بإرسال صور عن تكتلات السحب إلى المحطات الأرضية . أيضاً تستطيع تلك الأجهزة نقل خرائط الطقس والمعلومات . وفي الوقت الحاضر تستخدم أجهزة الشرطة الفاكسمايل في نقل المعلومات عن المذنبين والمجرمين وكذا بصمات الأصابع وغيرها من الأدلة التي تدين الأنشطة الإجرامية . وفي دولة **النمسا** استخدمت هـذه الأجهزة **لمساعدة الصم والبكم** علـى الاتصال باستخـدام التوصيلات الهاتفية المعتادة .

هذا ، ويجري في الـوقت الراهن تطوير أجهزة فاكسمايل تستطيع نقل المستندات والصور الملونـة ، واستقبـال الصور المرسلة بطريقة آلية دون الحاجة إلى وجود المشغّل بصفة دائمة بجوار جهاز الاستقبال .







★ عبد الله سالم الحميد ★

• الكتاب : من ألق المعاناة
• المؤلف : عبد الله سالم الحميد
• الناشر : المؤلف نفسه ـ (١٢٣ ص) الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

هذه مجموعة من المقالات المتنوعة ـ خمسة وعشرين مقالاً في ثلاثة ملفّات ـ نشرت في عدد من الصحف قبل أن يجمعها كتاب ، وقال عنها صاحبها بعد الجمع إنها منطلق رؤى تخذل ريشته برغم كل دعاوى الأصالة والفصاحة وبرغم كل السنوات « العجاف ! » التي أهدرها في الانتماء إلى عشق الفنّ والأدب . (ص ٩) .

يالله ...

أهذا تواضع أم حذلقة بيانية أم اعتذار عن تقصير أحسه هو ـ من دوننا ـ بالقياس إلى معاناة الآخرين المتعاملين مع الكلمة المقنية ؟

لسنا ندري ، غير أننا نشهد لكاتب نجح في إثارة أخطر المشكلات التي طالما اختلفنا ـ من حيث نحن كتاب ـ في تحديد أبعاد وفي وسائل معالجتها ثم في استنباط القواعد النظرية للإبداع والتقويم الموضوعي في آن واحد .

وكم هي صعبة أن نتعمق آراء المتحمسين لشيء دون شيء والميالين إلى فلسفة تقبل مبادىء ترفضها فلسفة أخرى تقيم وزناً للاجتماعية بالقدر الذي تنحى فيه جانباً الجمالية أو الأسلوبية الشكلية أو البنيوية اللغوية أو التحويلية الفنية مما يجعل النقد مهمة عسيرة قد تبتعد بالنص الأدبي كثيراً عن أدبيته Poetic أو إنشائيته .

والمقالات الخمسة والعشرون بالمقدمة المحسوبة مقالا تقرر أنه يمكن أن يكون كل متصد للنقد الأدبي موفقاً أو اكلكتي eclectic يختار من الآراء بما يرضيه ويشكل ذوقه وفكره ؛ فيبدو قادراً على العطاء ، ويشهد عطاؤه بثقافته المتنوعة على ضرب عام من الفلسفة .

وأيا ما كان الأمر فإن عبد الله سالم الحميد يقبل طواعية مبدأ التنوّع الثقافي بشرط أن يكون إيجابياً ، ويصل بإيجابيته إلى معرفة ماذا يقول ؛ فلا يوصف ـ من ثم ـ بالفراغية والانفعالية الفاقدة خيوط الفكرة وعمقها ودلالاتها . (ص ص ١٧ ، ١٨) .

وفي مقاله « ماذا عن أزمة النقد » ـ في الملف الأول ـ يعمق ذلك المنزع ، فيقتضيه التوفيق إلى أن يقرر ما يأتي :

★ أولا : ضرورة أن يكون الناقد أكثر أطالة وأوسع اطلاعاً من الأديب (ص ٢٣) .

★ ثانياً : ضرورة أن يكون النقد إيجابياً حتى في وقوفه مع أصحاب النتاج المتميز طالما كان التعامل مع النص خاضعاً للمكاشفة النقدية (ص ٢٤) .

★ ثالثاً : ضرورة ألا تراوح المقالات الأدبية (يقصد النقدية) في تناول الأشكال الأشكال التعبيرية الحديثة « مع اغفال المضمون والمعاناة الإنسانية ، أو التركيز على بعض التنظيرات والافتراضات الرؤيوية للتناول التعبيري في الشعر مثلا » (ص ٢٥) .

ثم على طول الكتاب ــ وعرضه أيضا ـ نلمح الوقفات الذكية في تناوله الفكري بوجه عام ، فيقول مثلا « إن الشعر الرائع هو الذي يحمل المفاجأة » وإن الشاعر الموفق يمكن أن يفيد من « مختنزات الذاكرة مع القدرة على التخلص من تأثيرها في تعبيره الشعري » (ص ٣٥) .

كما يقول مسدداً في الملف الثاني من الكتاب عارضاً لأحد منابع الإبداع الدافىء والصادق ـ أي الغربة ـ إن غياب النقد يرجع غالبا إلى هلامية المعاناة التعبيرية (ص ٥٧) وأن يرجع أيضا إلى حداثة عهد الأديب بالشعر الحديث (ص ٦٦) الذي ينجح بدون شك في إخضاب أحد أركان الحداثة الشعرية .

وفحوى الملف الثالث ـ وهو أكثر شمولا من الملف الثاني وأقرب تناولا لأسباب الحياة الاجتماعية وأقل اتصالا بالأدب ـ يرى أن كثيرا من المفكرين المبدعين لا يفيدون الساحة الفكرية كما ينبغي وذلك لسلبيتهم وحتى إذا مارسوا النقد أخذت ممارستهم « شكل الارتجال والطرح الخارج عن الساحة » (ص ٧٩) . ويعني هذا بإيجاز أنّ أيّ إنسان عامل ـ حتى بعيداً عن الحقل الفكري ـ يجب أن يكون صاحب رسالة ، وأن واجباً عليه أن يوجه بها الإبداع نحو الهدف .

كما يرى أن لصحبة الكتاب ضرورة اجتماعية ؛ لا من حيث يشبع متناوله بمتعة القراءة فحسب ، وإنما أيضا من حيث هو مفتاح لأمل المستقبل (ص ٨٨).

وعندما اقترب من الأدب ثانية شجع بعض الأفكار الأدبية ـ حول الهجاء مثلا والجوع ـ لا من حيث إن الموضوع هو مكمن الإثارة ولكن من حيث أن صياغة الأفكار فيه هي المعوّل عليه في التعبير ، فكأنه يقف عند الشكل أكثر من وقوفه عند المضمون (ص ص ٩٧ ، ١٠٣) ولئن كان ذلك كذلك ، فقد يمكن أن يجد في المواجهة طائفتين تعرضان له : الألسنيين وأصحاب الأدب للمجتمع .

غير أن تكييف الموقف كله وطريقة طرح عناصره في ضوء الهدف المنشود ، إنما من حق المؤلف ـ عبد الله سالم




★ محمود صيني ★




★ عمر الصديق عبد الله ★

الحميد ـ صاحب الرؤية أولا وأخيراً .

وفي ظننا أن الآراء التالية ـ وهي قليلة ـ تتسم في جملتها بالاعتدال وتحرى الدقة . وحسبه أن يعلن أن وجهة النظر التي تساوي عنده المكاشفة النقدية لا تفسد للود قضية ، لأنها ستظل قابلة للمناقشة والجدل (ص ١١١) وبخاصة بعد أن نعلم جميعا أن الرؤية النقدية التي حدّدها الحميد نفسه ونرتضيها نحن لنا ـ حتى إذا لم تكن نقداً للأسلوب التقليدي ـ يجب أن تنطلق من أسلوب المعبر . وذلك عن طريق رصد عمليته التعبيرية ، فنتعرّف من ثم طريقة تناوله !

فإن اقتصر الأمر على التقليد الذي ينافي الطموح الفكري ، أخذناه على ضوء المعاصرة في كيان المعبر ، لينسجم فكره بالضرورة مع التفكير العام ، والكيان القائم ، دون إغفال منا ـ نحن النقدة ـ أي بعد ذاتي يحققه المعبر .

وبعد ، فهذا كتاب تجب قراءته ، لأنه يثير من القضايا الفنية والفكرية ما نحتاج إليه عادة في مسيرتنا متصدين لأعتى فلسفات عرفتها الإنسانية .



• الكتاب : التقنيات التربوية الحديثة في تعلّم اللغات الأجنبية
• المؤلف : محمود إسماعيل صيني
وعمر الصديق عبد الله
• الناشر : دار أمية للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ

في تمهيد لا يعرف قيمته إلا من يعمل بتقنيات المحدثين نواجه بسلسلة متعددة من مختبرات اللغة ـ من حيث هي وسيلة تعليم صارت مواتية ـ ويمكن تصنيفها أولاً من حيث وظائفها ، وثانياً من حيث ثباتها وحركاتها ، وثالثاً من حيث تطورها .

وهذا تقسيم هو ـ في رأينا ـ معقد إذا أخذناه بمقدار ما يفيد الدارس راغبُ التعلّم منه ، وإلا فماذا يعني أن يفرّق هذا الدارس راغبُ التعلم بين المختبر المتحرك مثلا والمختبر النقّال (ربما الأصح أن نقول المحمول) وإلى أي حدّ يمكن أن ينتفع الدارسُ بالمختبر السمعي الإيجابي إذا عرف صفات المنصة ؟ وهل يؤثر ذلك على مستوى المعرفة المنشودة إذا لم تتوفرَ شروط الجودة في المنصة ، أو إذا توفرت قوابسُ للتوصيل بأجهزة إضافية ؟

الحقيقة أن غير المتخصص وغير الدارس راغب التعلّم ـ وهذا هو منْ يعنينا في المقام الأول ـ يكون دائما المنتفع الحقيقي بذلك التصنيف ، لأنه من غير شك إذا كان المعلّم مسئولا عن طريقة التسجيل فالمتعلم غير مسئول إذا أعطي الحكمُ على صلاحية الشريط المسجل .

على أنّ التمهيد إذا كان ـ من تلك الناحية ـ في غير ما وضع له بطريق مباشر ، فإن ما بعده يبدو أكثر يُسراً ووضوحاً ، بل أكثر قرباً إلى معظم الضالعين في أمور التربية بوجه عام ، كذلك أكثر التصاقا بواقع التقنيات التربوية الحديثة بوصفها مانعةً للعناء من جانب وميسّرة لعملية الفهم والإفهام من جانب آخر .. ويبدو هذا كله متوفراً وبخاصة بعد أن حصر المؤلفان محمود إسماعيل صيني وعمر الصديق عبد الله أسباب التقنية على النحو التالي :

★ أولاً : معينات سمعية وهي الإذاعة والمختبر وبعض أجهزة علم الأصوات .

★ ثانياً : معينات بصرية وهي السبورة المغناطيسية وعارضها العلوي .

★ ثالثاً : معينات سمعية بصرية وهي التليفزيون أساساً .

★ رابعاً : معينات شاملة يمثلها الحاسب الآلي .

وتكون الإذاعة ـ في الكتاب ـ هي المنطلق على أساس أنها « أهمّ وسائل الاتصال الجماهيري وأكثرها ذيوعاً » ص ٢٥ .. ولعل معظم من يهتمون بها عندنا في المملكة هم غير الناطقين بالعربية في كل أنحاء العالم ، وإن تكن بصورة عامة مفيدة من ناحية وصولها إلى أكبر عدد من راغبي التعلم ، ثم من ناحية تأثيرها الإيجابي ـ وهو انفعالي ـ من قبل الطلاب عموماً بالرغم من وجود محظور كبير هو أن الطلاب عادةً لا يستطيعون تركيز انتباههم طويلا على المادة المذاعة . ص ٢٧ .

لكن الأكثر جِدّةً تقنيا هو ما يسمى بالتكنولوجيا اللغوية ـ وها نحن أولاء ندخل إلى عالم الإلكترونيات ـ وهنا نرى لصعوبة هذا المجال أحد المؤلفيْن يقول إنه علينا « أن نقحم أو نجرّب وسائل تكنولوجية أخرى في مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها ، وأعني بهذا على وجه التحديد الأجهزة الصوتية التي يستخدمها علماء الأصوات في دراساتهم وأبحاثهم وتجاربهم في تحليل الأصوات أو تركيبها ، ونقتصر هنا ـ أي في الكتاب ـ على أجهزة التحليل الصوتي ، ونكتفي بذكر بعض هذه الأجهزة » ص ٤٤ .

يريد جهاز راسم البصمة الحنجرية ، وجهاز قارىء الذبذبات الحنجرية ، وجهاز المطياف السحريّ أي الذي يعطي صورة مرئية لبعض الصفات الكلامية كالجهر مثلا أو التنغيم ، ثم جهاز المحلّل الفوري للأصوات .. وكل الأجهزة مما تفتقت عنه عبقرية الإنسان في القرن العشرين ، ويعين على تبين أدق أسرار النطق وأرق حركات الذبذبة الحنجرية .





★ محمد أحمد العقيلي ★

ثم ينتقل المؤلفان بعد ذلك إلى السبورة المغناطيسية ، مع مقارنتها بالمعينات الأخرى ، ويذكران كيف أن المعلّم ـ بقليل من الاجتهاد ـ يستخدم العارض العلوي للسبورة مع السبورة نفسها ، سواء في تقديم النصوص أو تسجيل الحوار أو تدريس المفردات .

وإذ يتم ذلك على نحو مستفيض ضربت فيه الأمثلة ، يتحدث الكتاب عن استعمال التليفزيون في تعليم اللغة (ص ص ٨١ ـ ٩٢) ثم يختم بتعليم اللغات عن طريق استخدام الحاسب الآلي (ص ص ٩٥ ـ ١٠٩) قمة التطوّر في مجال التقنيات التربوية الحديثة في تعليم اللغات الأجنبية ، علما بأن العربية هي ـ عند غير الناطقين بها ـ لغة أجنبية مثلما تبدو الإنجليزية أو الفرنسية عند الناطقين بالعربية .

أما ما ورد عن الموضوع الأول فمما نعانيه ويجري تحت سمعنا وبصرنا ، وعلى قاعدة أن التليفزيون وسيلة سمعية مرئية شكلت حدثاً إعلامياً كبيراً وامتازت بجمعها بين الصوت والصورة والحركة ، وبقدرتها على استعمال المعينات التعليمية المختلفة في البرنامج الواحد ، مع قدرتها على أن تغطي النقص في المعلمين المدربين .

وعلى الرغم من سلبيات التعليم بالتليفزيون ـ سواء عن طريق الدائرة المفتوحة أو الدائرة المقفولة ـ فللمؤلفين ملحوظات عامة بسطاها في ضوء تصوّر واضح لمنهج تدريس اللغة وبخاصة أن برامج التليفزيون تفي غالباً بأغراض كل من الوسيلة وتدريس اللغة . ص ٨٩ .

ويبقى تعليم اللغات ـ ولا سيما اللغات الأجنبية ـ باستخدام الحاسب الآلي ، وقد جاء التعريف بالحاسب الآلي ـ كما هو متوقع أمام غير المتخصص من متلقي الثقافة ـ معقداً ابتداء من الوحدة التي تحضر التعليمات من الذاكرة وتفسرها إلى لغة البيسك Basic أي الأساسية التي يستعملها الهواة من غير حاجة إلى المنطق وعلوم الرياضيات .

وما بين هذه وتلك معلومات ـ قيل إنها أساسية عن الحاسب الآلي ـ عن أنواع الحاسبات ووسائل الحصول على المعلومات منها ، والإدخال والمطراف Terminal (هكذا) والدجيتايزر Digitizers وكلها مما هو متصل بالتدريس بمساعدة الحاسب الآلي CAI ، وهو أفضل ـ إن لم يكن من أفضل ـ وسيلة لإجراء التقويم والإختبارات معتمداً على ما يسمى بالتغذية الراجعة Feedback ، وقبل أن نتبيّن المشكلات المتعددة لتعلم اللغة باستخدام الحاسب الآلي بُسط شرح لأنواع برامج تدريس اللغات به ، ومن أهم تلك المشكلات التأليف الذي يتمّ عادة على أساس أن الحاسب الآلي ـ برغم فائدته الكبيرة ـ شديد الغباء أي يحتاج إلى أدق التفصيلات لكي يفهم ما نريد ولكي ينفذ ما نريد « وأي خطأ بسيط يجعل لغتك غير مفهومة » ص ١٠٨ .

● الكتاب : سوق عكاظ في التاريخ

● المؤلف : محمد أحمد العقيلي

● الناشر : نادي أبها الأدبي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م

السوق أول تجمّع بشري عرفه التاريخ ، وكانت تتبادل فيه السلع ، ثم عقدت الصفقات . وبتعقّد أسباب الحياة أقيمت فيه الاحتفالات ، وألقيت الخطب والأشعار .

وليس في التراث العالمي ما يكشف عن أول سوق للإنسان وإنما فيه ما يدل على أنها ـ أي السوق ـ أصبحت دورية ، وجعل لها حرمة وقداسة . بل بني في بعض ساحاتها معابد منها « معبد جهار » الذي أقيم في عكاظ ـ وكان لهوازن ومحارب من سُليم ، بنوه في سفح أطحل ـ وبجانبه كانت تنصب قبة حمراء جلس فيها حُكّام الشعر لإجازته قبل أن يعلّق على أستار الكعبة .

وعلى هذه الشاكلة ـ إلى حد بعيد ـ عرفت مصر القديمة وأكاد العراقية ثم كريت واليونان . وقد صاحبت بداوة شعوبها قبل أن تستقر في المدن ، ومع ذلك ظل للسوق وجودها في الريف والبادية حتى اليوم ، وتحكمها ضوابط عرفية وتقاليد اجتماعية أكثر مما تحكمها القوانين الوضعية .

ويرى محمد أحمد العقيلي في كتابه « سوق عكاظ في التاريخ » أن تلك السوق كانت عند العرب « النواة الأولى لفكرة التجمع العربي والوحدة المأمولة ، أو بتعبير العصر السوق العربية المشتركة » ص ٨ ، وفي إشارته إلى أسواق الإغريق والرومان قرر أن مواسمها التي عقدت فيها المهرجانات الشعبية حفلت بإنشاد روائع الشعر وبدائع الخطابة ؛ فبلغت اللغة أوج التهذيب وقمة الفصاحة (ص ١١)

كما يرى استناداً إلى بعض بحوث متأخرة أن سوق عكاظ وجدت حول القرن الخامس الميلادي ، ونهبها المختار بن عوف الخارجيّ ؛ فقضي عليها عام تسع وعشرين ومائة هجرية .. وكانت تقام ابتداء من ظهور هلال ذي القعدة ، وتستمر إلى اليوم العشرين من الشهر نفسه ، حيث يرحل مرتادوها إلى ذي المجاز لمدة ثماني ليالٍ بعدها ـ في يوم التروية ـ يخرجون إلى عرفات .

هذه رواية الأزرقيّ ، وأما الواقديّ فيذكر أنّ العرب كانوا يقيمون بعكاظ طيلة شهر شوال ، يعقبها عشرون يوما من شهر ذي القعدة يقيمون فيها بذي المجاز ، ثم يقصدون مجنسّه ـ بمرّ الظهران قرب مكة ـ يقيمون فيها إلى الحج .

وبالرغم من وجود أسواق أخرى أقيمت في أنحاء الجزيرة ، امتازت عكاظ بأهمية خاصة ترجع إلى قيامها في الأشهر الحرم ، وإلى ارتباطها ببعض الشعائر الوثنية تعقد فيها

كالطواف حول الأنصاب أي مذابح القرابين ، وقد وصفها البكري في « معجم ما استعجم » بأنها وعليها دماء البدن بدت كالأرحاء العظام .

كما ترجع أهمية عكاظ إلى انفرادها بما كان يدور فيها من نشاط أدبي حتى صارت أول مجتمع لصقل اللغة وتوحيد المصطلحات ، فضلا عن أنها قامت بدور إعلامي خطير ، وجعلت بمثابة مؤتمر تسوّى فيه الخلافات ويتبادل الأسرى .

ولما كانت السيادة لهوازن وبعض قيس عيلان ـ سليم كان قدمنا ـ فقد كان لابد أن ينشأ نزاع على تسوّد السوق بين هذا الطرف وقريش وأحلافها طرفاً ثانيا .. ونشبت فعلا حرب الفجار الأولى ، وكانت أشبه بعملية جسّ النبض ، ثم حرب الفجار الثانية هزمت فيها قريش في أول يوم بنخلة ، وكذلك في يوم شمطة ، ثم في يوم العبلاء قرب عكاظ .

وتواعدوا مع ذلك على العام القادم في عكاظ ، فانهزمت هوازن لأول مرة ، ولكنها ثأرت لنفسها في اليوم الخامس ـ يوم الحريرة ـ وبعده عقد الصلح بين الفريقين ، وكان رسول الله ﷺ قد شهد أطرافا من هذه الحروب ، وحيثما يشارك ينهزم الخصم .

يخرج بنا المؤلف بعد ذلك إلى الشعر ، وبخاصة ما دار منه حول الفجار .. ومن أبرز فرسانه دريد بن الصمة الشاعر ، الكاهن وفارس جشم ، وعبد الله بن جدعان الفارس النجيد الشريف !

وفي فصل عن المرأة تحدث عن الخنساء من حيث كانت شاعرة ومن حيث هي امرأة ككل امرأة اعتادت أن ترتاد السوق ، وذكر أمية بنت عبد شمس التي رثت قومها في الفجار ، وهند بنت عتبة التي فاخرت الخنساء بعظم مصابها ، وأميمة بنت أمية بن الأسكر الكناني التي نافست بإحدى خطبها فصحاء العرب ، وأسماء المرية التي كانت سببا في اندلاع الحرب بين معاوية بن عمرو بن الشريد وهاشم بن حرملة .

وبعد ذلك يعرض المؤلف جوانب من « حياة » عكاظ غير التجارة والمفاخرة والمقاتلة ومفاداة الأسرى .. منها المجون والحكم والأمن ، وذلك قبل أن يعود بدون مقتضى إلى تحديد موقع سوق عكاظ (ص ١٣١ وما بعدها)

ومع ذلك فثمة إضافات ضرورية منها تحديد موضع السوق قرب مطار الحوية وعلى مبعدة من الطائف بمقدار ٤٠ كيلو متراً ، يؤيد هذا الكلام الأصمعيّ وكلام بعض المحدثين المدققين .

ومن هذه الإضافات كل أقوال متقدمي المؤرخين في تحديد موقع عكاظ بأعلى نجد ـ وليس في تهامة ولا في الحجاز ـ فقد وضعت في قائمة تعدّ مفاتيح للبحث المنهجيّ .

ثم منها المواضع التي بقرب عكاظ ، الشائع منها كجلدان وركبة وشرب ، وغير الشائع كالأثيد ، والخدود ، وشمطة .. ومعظمها كان لهوازن ثم صار لبني هلال قبل أن يخلوها إلى مصر خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين .

وفي إشارة لموقع سوق عكاظ بقلم عبد الله بن خميس نرى إحاطة طيبة بالموضوع ، من جانبه الاجتماعي وجانبه اللغوي الأدبي مع أبيات شعرية في غاية الأهمية ؛ لأنها تلقي الضوء على عكاظ ميدان حرب وشعر .

والحق أن الكتاب ثمرة حلوة يقدمها لنا محمد أحمد العقيلي في كرم حاتم وبنكهة العنب !



- الكتاب : رحلات وذكريات .
- المؤلف : عبد الله حمد الحقيل .
- الناشر : تهامة ـ جدة ط ٤ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (١٣٨ ص) .

شغف الكثير من الأعلام والأدباء السعوديين بأدب الرحلات ، إذ سجلوا انطباعاتهم ومشاهداتهم سواء كانت تلك الرحلات داخل بلادهم أم خارجها . وفي كل رحلاتهم كانوا ينطلقون منطلقاً عربياً وتراثياً ودينياً . أي كان الرحالة السعودي ، وهو يكتب أدب رحلات يقتفي آثار الرحالة العرب في مختلف عصورهم . ينظرون إلى مرئياتهم ، ويعبرون عنها ، ويسجلون انطباعاتهم إزاءها .. من منظور عربي أصيل ، ومنظور إسلامي ثابت .

وهاهو ذا أحد أولئك الأدباء السعوديين الذين ارتحلوا خارج وطنهم ، وجابوا أكثر بلدان العالم العربي والإسلامي والأوروبي والأمريكي .. إنه [عبد الله حمد الحقيل] الذي زار الكثير من عواصم ومدن عربية ومشرقية وغربية .. تبدأ بغالبية مدن الخليج العربي ، كالكويت ، والمنامة ، والمحرق ، والرفاع ، والدوحة ، ومسقط ، ودبي ، ورأس الخيمة والشارقة وعجمان ، وأبو ظبي .. ثم البصرة ، فبلاد الشام : دمشق وبيروت وأكثر مصايف لبنان . وتركيا : مروراً بطرابلس ،





اللاذقية ، أنطاكية ، الأسكندرونة ، أضنة ، أنقرة استانبول . ومصر (القاهرة)، والسودان (الخرطوم ، وأم درمان) ، وتونس والجزائر (العاصمة ، وهران ، تلمسان ، عنابة وغيرها) . والمغرب الأقصى (الدار البيضاء الرباط ، فاس ، وغيرها) ، وروما ، ولندن ، وباريس ، والأندلس (أسبانيا ، مليلة ، ملقة ، غرناطة ، قرطبة .. ومدريد) ، وجبل طارق . والولايات المتحدة (نيويورك) وولاية (أوكلاهوما) وفي الشرق الأقصى : سيول عاصمة كوريا الجنوبية ، وبانكوك عاصمة تايلاند ، ومانيلا عاصمة الفلبين وجزيرة سنغافورة ، وكراتشي عاصمة الباكستان ، وأخيراً أثينا عاصمة اليونان .

وإن رحلات الحقيل لتضيف كتاباً إلى كتب الرحلات السعودية عبر العالم ، والتي طبع منها عشرات الكتب وفي مقدمتها الكتب التي خلفها لنا كل من أحمد عبد الغفور عطار . [عشرون يوماً في الصين الوطنية] ، ومحمد محمود الصواف [رحلاتي إلى الديار الإسلامية] ، وعلي فدعق [أيام في الشرق الأقصى] ، وعبد العزيز الرفاعي [خمسة أيام في ماليزيا] ، ومحمد ناصر العبودي [رحلة إلى جزر مالديف ، وجولة في جزر البحر الزنجي ، ورحلة إلى سيلان] ، وعبد الله سعد الرويشد [أيام في تونس] ، ومحمد عمر توفيق [من ذكريات مسافر] ، وشكيب الأموي [قصة رحلة إلى الشرق الأقصى ، ورعب على ضفاف بحيرة جنيف] ، وعبد الله الشهيل [صور عربية إلى إشبيلية] ، وعبد الكريم الجهيمان [ذكريات باريس ، ودورة مع الشمس] ، وفهد العريفي [من وراء الحدود] . وغيرهم .

وإذا كانت تلك الرحلات السعودية تتراوح دوافعها وحوافزها ما بين الالتزامات الرسمية المقيدة والرغبات الخاصة الحرة .. فإن رحلات الحقيل تجنح في أكثرها إلى الدوافع الذاتية الخاصة المتحررة من كل برامج مسبقة تحددها الفئات المسؤولة عن الرحلة ، ولا يحيد عنها الرحال قيد أنملة . لذلك فقد كان الحقيل في رحلاته ـ ماعدا رحلات مدن الخليج العربي ، ورحلة على النيل وفي الشرق الأقصى حراً في زياراته ومشاهداته ، وحراً في تنقله ووقوفه ، وتسجيل انطباعاته .

وظلت تلك الانطباعات تجمع الملاحظات العامة ، والمواقف الجزئية الذاتية الخاصة الدقيقة . وفي كل تلك الملاحظات والمواقف، كان الحقيل لا يخرج عن فن ومضمون ومنحى أدب الرحلات عند أولئك الأدباء السعوديين السابقين الذين لا يخرجون بدورهم ـ كما ذكرنا ـ عن الخطى والمسار والمضمون والرؤى والأصول التي وجدوها عند الرحالة الجدود والأخوة من التراث الرحلي العربي : القديم والمعاصر .. الذين تتشابه أو تتقارب في المنابت والمناهل أهدافهم الثقافية والفكرية والدينية والعربية .

وقد تفصح بعض ملاحظاته العادية العفوية عن مدلول ذي معنى يختلف عما اعتاد عليه في وطنه من قيم تمثل الأصالة والأمان والخير .

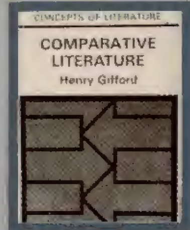
كما أن انطباعاته عن المشاهد العامة لابد لها من أن تصطبغ بروح العربي المسلم الذي يستنكر كل مكروه أو تشويه ، وتأنف نفسه من كل المعاني التي تنهي عنها الشريعة الإسلامية ، وتأباها الأخلاق العربية الأصيلة ؛ فنراه يقول معبراً عن انطباعاته إثر مشهده ووصفه لمصارعة الثيران في أسبانيا :

« والواقع أنه مشهد مؤلم يثير الامتعاض والأسى ، إذ كيف يهضم هؤلاء تعذيب الحيوان بهذه الصورة البشعة التي تتنافى مع الدين والخلق والذوق .. ومهما قيل في تبرير ذلك من أنها مورد سياحي مهم ومصدر دخل كبير ، فإن أسلوب المصارعة بهذه الآلات الحادة غير لائق أبداً ، وتعذيب الحيوان المسكين الذي نادت التعاليم الدينية بالرأفة والرفق به .. وخرجت من ميدان المصارعة وأنا أحمل أسوأ الذكريات وأقسى الانطباعات » .

✸

رحلة في كتاب

الأدبُ المقارن

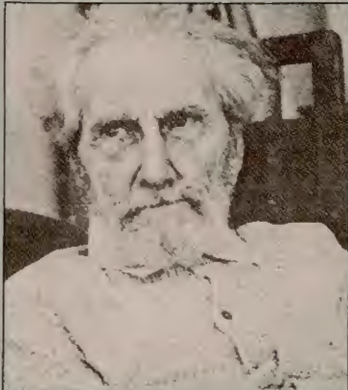


تأليف: هنري جيفورد
عرضه وتحليل: د. علي شلش

لا يحظى الأدب المقارن في الجامعات البريطانية بالمكانة التي يحظى بها في الجامعات الأوروبية الأخرى ، ولاسيما في فرنسا وألمانيا . وإذا كانت هذه المكانة طبيعية في فرنسا وألمانيا ، حيث ظهر الاهتمام بالأدب المقارن ، وتطور مفهومه ، واتسعت تطبيقاته ، فتخلفه في بريطانيا طبيعي أيضاً ، لأن اهتمام جامعاتها بالأدب المقارن حديث النشأة ، متردد الخطى ، حذر التقدم . ومع ذلك تزايد الاهتمام بالأدب المقارن في الجامعات البريطانية خلال السنوات العشرين الأخيرة ، وظهرت لهذا الاهتمام المتزايد ثمار كثيرة مطبوعة ، واتجهت إليه سلاسل الكتب المبسَّطة حتى تكسبه الشعبية المنشودة . ومن أهم هذه السلاسل سلسلة « مفاهيم الأدب » التي تصدرها دار « روتلدج وكيجان بول » ، ويشرف عليها « وليم رايتر » أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة ووريك Warwick .

تحت عنوان « **الأدب المقارن** » أصدرت السلسلة كتاباً من تأليف هنري جيفورد أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة بريستول . وقدمه رايتر بكلمة حول الكتاب ومنهجه ، وكيف توخى مؤلفه **جيفورد** البساطة في تأليفه ، والتركيز على الشعر الحديث ، والترجمة ، والحركات الأدبية المعاصرة ، ومكانة الدراسات المقارنة في الجامعة . كما قدم جيفورد الكتاب ذاته بكلمة أخرى ذكر فيها إن الأدب المقارن لا يستطيع إدعاء العلم الراسخ المستقل ، وإنما الأحرى أن يعرف بأنه منطقة اهتمام نادى بها الأديب الألماني **جوته** (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢ م) عندما تنبأ بما سماه « **الأدب العالمي** » Weltliteratur الذي تساهم فيه جميع الأمم . وإذا كان جوته قد عرف بتنوع قراءاته واهتمامه بالآداب الأجنبية فقد تتلمذ عليه في ذلك الأديب الإنجليزي الناقد **ماثيو أرنولد** (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨ م) وعلى أساس الفضول والرؤية عند هذين الأديبين المرموقين يقوم هذا الكتاب الذي يهدف إلى إثارة الفضول بالموضوع واتساع رؤية الأدب ، ويقوم من جهة أخرى على مناقشة بعض المفاهيم الأساسية في دراسة الأدب ونقده بطريقة مقارنة ، داخل رحاب الجامعة ، على مستوى طلاب البكالوريوس وطلاب الدراسات العليا معا .


★ جوته ★


★ عزرا باوند ★


★ ت . س . إليوت ★

الأدب المقارن

محتويات الكتاب

يضم الكتاب ـ على صغره ـ **ستة فصول** مركزه تركيزاً لا يخل بالموضوع ، وإن كان يستلزم في قارئه الوقوف على أرضية ثقافية أوروبية . وهذا أمر طبيعي في مثل هذه الحالة من التخصص ، فضلاً عن أن دراسة الأدب المقارن تتم في بريطانيا وأمريكا داخل أقسام الأدب واللغة الإنجليزيين .

وتتناول الفصول الستة العديد من الموضوعات التي تهم الدارس المقارن . ففي **الفصل الأول** ، بعنوان « **تعليم الشاعر الحديث** » ، يناقش المؤلف التيار المقارن في الأدب الحديث ، وتجربة الشاعر الأمريكي **عزرا باوند** مع الشعر الصيني والياباني ، وتجربة الروائي البريطاني **د . هـ . لورنس** مع الأدب الأوروبي والأمريكي ، وكذلك تجربة الشاعر **ت . إس . إليوت** مع فكرة أوروبا ، فضلاً عن الصفات المطلوبة في الدراسة المقارنة . وفي **الفصل الثاني** ، بعنوان « **النغمة القومية والتقاليد** » ، يناقش موضوع التقاليد الداخلية في الثقافة الواحدة وتجربة الروائيين الأمريكيين **هنري جيمس** ، **وإميلي ديكنسون** ، وتجربة شعراء **أيرلندا** مع اللغة الإنجليزية ، وتأثير الطوابع المحلية عند الشاعرة الروسية **أخماتوفا** والشاعر الأسباني ماتشادو ، فضلاً عن موضوع عبقرية اللغة وخصوصياتها . وفي **الفصل الثالث** ، بعنوان « **عقل أوروبا** » ، يناقش وحدة الثقافة الأوروبية والتأثيرات **اليونانية والرومانية والعبرانية** فيها من خلال الشعراء **فيرجيل ودانتي وميلتون** ، وتجربة الروائي أ . م . **فورستر** مع ثقافة **البحر المتوسط** . وفي **الفصل الرابع** ، بعنوان « **ملاحظات حول الترجمة** » ، يبحث موضوع الترجمة وقصورها واستحالة كمالها ، وأثر العصر فيها ودورها في تطوير اللغة الناقلة ، فضلاً عن ترجمة روائع الآداب القديمة . وفي **الفصل الخامس** ، بعنوان « **الدراسات المقارنة في الجامعة** » يناقش هذه الدراسات في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا ، وموقف الجامعات البريطانية منها . وفي **الفصل الأخير** بعنوان « **الأدب الأمريكي : الحالة الخاصة** » يبحث الحضور الأمريكي في لغة الإنجليز وأدبهم ، والفرق بين مزاج الشعبين الأمريكي والإنجليزي ، والمقارنة بين الأدبين الأمريكي والروسي عن طريق الوسيط الإنجليزي ، وعلاقة الإنجليزية بالأدب العالمي . ويقدم المؤلف في نهاية الكتاب ملخصاً لخطة تدريس مقرر في الأدب المقارن بالدراسات العليا لمدة عام واحد .

لعله كان من الأنسب أن يأتي ترتيب الفصل الأخير عن الأدب الأمريكي قبل الفصل الخاص بالدراسات المقارنة في الجامعة ، ولاسيما أن حديث المؤلف عن الجامعة يعني الجامعات البريطانية ، وأن الحالة الخاصة التي يشكلها الأدب الأمريكي أمام طالب الدراسات المقارنة في هذه الجامعات تعد مقدمة لمشكلة تدريس الأدب المقارن فيها .



★ دانتي ★ ★ ميلتون ★

تعليم الشاعر

ماالذي يقصده المؤلف بتعليم الشاعر الحديث ؟ هل هو التعليم المنظم في المدارس والجامعات أم هو الثقافة المكتسبة عن طريق الاهتمام الجدي ؟ كلاهما صحيح ومطلوب بالطبع ، ولكن الأهم هو أن يفتح الشاعر على نفسه أبواب التيارات الخارجية أو الأجنبية ، حتى يطعم شعره بمصادر مختلفة للحيوية والإبداع . وقد أدرك هذا بعض شعراء القرن العشرين ، وأفادوا منه فائدة كبيرة ، وكأنهم طبقوا ما نادى به **ماثيو أرنولد** . فقد طالب الأخير النقاد بضرورة التمكن من أدب عظيم واحد على الأقل بعد أدبهم ، وكلما اختلف هذا عن ذاك في رأيه ازدادت الفائدة . وإذا كان أرنولد قد عد هذا المطلب قانوناً من قوانين النقد ، حين سجل رأيه عام ١٨٦٥ م ، فقد أصبح القانون في عصرنا أكثر تطبيقاً من جانب الأدباء المبدعين . وهذا ما حققه الشاعر الناقد الأمريكي عزرا باوند (١٨٨٥ ـ ١٩٧٢ م) في شعره على وجه الخصوص . فباوند شاعر مثقف ، علَّم نفسه أن يغوص في شعر الثقافات الأخرى ، وأن يخرج من غوصه بلآلئ كثيرة . وقد درس **الآداب الصينية واليابانية واليونانية والفرنسية والإيطالية** . بل درس **الأدب المصري القديم** ، وحاول أن يترجم الكثير من هذه الآداب ، حتى قيل عنه إنه « **شاعر ترجمة** » .

وقد كتب باوند عام ١٩١٤ م :

« إن فرصتنا أكبر من فرصة ليوناردو (**دافنشي الإيطالي**) ، فلدينا قوت أكثر ، وليس لدينا تقليد كلاسيكي واحد ، ولكن لدينا الصين ومصر والأراضي المجهولة التي ترقد على سقف العالم » .

نادى باوند ـ في الوقت نفسه ـ بنقد الشعر على أساس معرفة الشعر العالمي ، أي على أساس المقارنة والترجمة . وعد الأخيرة من أشكال النقد . ثم جاء إليوت فنادى بأن ينظم الشاعر شعره وهو مستوعب لجيله ، بل وهو يشعر في داخله بأدب أوروبا بأسره ، ابتداء من **هوميروس** . ولكن باوند وسَّع هذا الإطار ، وتجاوزه ـ خارج أوروبا ـ إلى الصين واليابان ومصر . وتلك هي ثقافة الشاعر الحديث التي لا حدود لها . وعلى هذا النحو كان الشاعر الروسي **بوشكين** الذي قرأ



★ دافنشي ★



★ بوشكين ★

للفرنسيين **وشكسبير** ، **وبايرون** ودانتي ، كما قرأ **القرآن الكريم** وشعر **حافظ الشيرازي** . وكذلك الحال مع **جوته** ، وماثيو أرنولد ، ود . هـ . لورنس ، الذين اتجهوا نحو آداب أوروبا ، ولم يكتفوا بآداب لغاتهم أو أممهم . بل إن إليوت اتجه أيضاً إلى الهند مثلما اتجه إلى إيطاليا وفرنسا . وهؤلاء الشعراء يجبرون القارئ على أن ينظر إلى خارج أوطانهم ، وأن يعيش في أكثر من ثقافة . ويحتاج فهمهم إلى وجود الحس المقارن في قرائهم ودارسيهم . ويكون على الناقد الذي يتعرض لهم أن يتعلم ما تعلموه ، وأن يتثقف كما تثقفوا .

وهكذا يجد طالب الأدب المقارن نفسه في موقف لا يحسد عليه . فهو يحتاج إلى الوقت ، والصبر ، والإقتناع التام بالطريق التي يسير فيها ، والعين البصيرة بما هو محلي وخاص ، ومعرفة السياق التاريخي ، والإيمان النشط بأن كل الأدب واحد لا ينقسم . أضف إلى ذلك ــ كما يقول المؤلف ــ المجازفة والتحفظ : إذ يجب عليه ألا يطالب بأكثر من اللازم ، أو يتلفظ بيقين أكثر من اللازم ، ولكن عليه أن يكون مستعداً للمجازفة . وأول مشكلة يلقاها في هذه السبيل هي مشكلة **النغمة القومية** National Accent .

هنا تلعب العين والأذن دوراً مهماً في الدراسة المقارنة . فالعين تميز المشترك بين أدبين أو أدبيين . وتقع على الأفكار والقوالب المتكررة ، وتمكن القارئ من معرفة منطقة شاسعة وإيجاد التصنيفات والمقولات المناسبة . والأذن تلتقط أصداء الأديب في أديب آخر ، وتتعلم كيف تميز اللحن المصاحب لعمل أدبي من اللحن السابق عليه ، وتدرك النغمة القومية ، أظهر في اللغة المستخدمة في مجتمع ما ، فهي أظهر من غيرها من العناصر القومية في أدب هذه اللغة ، وهذا ما يكشف عنه شعر **روبرت فروست** الأمريكي **ووليم بطلر بيتس** الأيرلندي مع أن الاثنين يكتبان بلغة إنجليزية واحدة . وكذلك الحال مع التقاليد الفنية في كتابة الشعر أو النثر . فحين تواصل نغمة ما الظهور في الأدب برغم التغيرات التاريخية يكون معنى هذا أن شيئاً مثل الشخصية الروحية قد استمر في ذلك الأدب . **وعبقرية اللغة لا تتأثر بالتغير الاجتماعي ، وإن كانت تتأثر بالاستعارة من اللغات الأخرى . وتقوم نغمتها القومية على المكان الذي يعيش فيه المتحدثون بها ، والبيئة البشرية التي تخرج منها** . ولهذا فإن ما عبر عنه . د . هـ . لورنس في قوله « **روح المكان** Spirit of Place » صحيح فيما يتعلق بالخيال الشعري . والتقليدي ينطق من خلال المحلي ، لأنه **ليس من الممكن أن يتجاوز المرء ثقافته ، كما يقول ليونيل تريلينج ، فهي التي تنشئه وتربيه ، وتكسبه عادات التفكير ومقولاته ، ومجال الإحساس ، ومصطلحات الكلام ونغماته . ولا يمكن فصل هذه الثقافة عن البيئة** . فالأديب يحقق توازنه ، ويصل إلى قمة نضجه ، حين ينتهي من ارتياد ثقافته وسبر أغوارها ، والعثور على المصادر التي تعينه وتسنده فيها .

ومهما كانت اللغات في العالم اليوم تسعى إلى التعلم ، الواحدة من الأخرى ، ومهما كانت تلح على تبادل الخبرة ، فهي أيضاً تصر على التفرد والغيرة على خصائصها . وعلى طالب الأدب المقارن أن يقبل هذه الحقيقة ، فمنها يأتي نصف السحر في عمله .

آداب أوروبـــا

إذا صدق القول بأن الأدب الواحد لا يصل إلى الكمال بمفرده فبرهان صدقه يأتي من آداب أوروبا وفروعها في الأمريكتين . ومع ذلك تتميز أوروبا بوحدة ثقافية وأدبية بالرغم من الفروق بين شرقها وغربها . ولهذا لا يجادل كثيرون في مصطلح مثل « **العقل الأوروبي** » The Mind of Europe الذي طرحه إليوت ، أو مثل « **الضمير الأوروبي** » La Conscience européenne الذي طرحه الشاعر الفرنسي **بول آزار** ، مع أن إليوت وآزار كانا يعنيان غرب أوروبا على التحديد . فمن الواضح أن أوروبا تتميز بجماعة متحدة فكرياً وشعورياً برغم جميع التناقضات التي قد نجدها هنا وهناك . وقد كان الأديب الناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد يدعو إلى « نقد ينظر إلى أوروبا من أجل أهداف ثقافية وروحية ، بحيث يعدها اتحاداً كونفيدرالياً يلتزم بالعمل المشترك ، ويسعى وراء نتيجة واحدة ، ويكون لأعضائه ــ حتى يظهروا بمظهر لائق ــ إلمام باليونان والرومان والآثار الشرقية ، ومعرفة ببعضهم بعضاً » .

ولم يكن تفكير أرنولد يتجه ، عندما كتب هذا الكلام عام ١٨٦٥ م ، إلى أوروبا الغربية وحدها ، وإنما كان يعني **أوروبا الشرقية** أيضاً ، لأنه كتب في الوقت ذاته عن براعة **تولستوي** في الرواية مقابل فقر الرواية الإنجليزية ، ودعا إلى تعلم اللغة الروسية حتى يتعلم الإنجليز كيف تكتب الرواية الجيدة . ولكن هذا الوعي المبكر بأوروبا تدهور الآن كما يقول المؤلف ، بعد ضعف تعليم اللغات القديمة مثل اليونانية واللاتينية ، وتحول دراسة الأدب إلى مرتبة أدنى من دراسة التاريخ أو السياسة ، أو غيرهما من العلوم الإنسانية . ولهذا يرى المؤلف ــ والخطاب موجه إلى أبناء بلده ــ أنه لا يمكن المضي في الدراسة المقارنة بغير استعادة ذلك البعد الضائع ، أي الوعي بأوروبا ، ولاسيما في لغاتها القديمة ، وعلى رأسها اللاتينية . ويضرب المثل تلو المثل على أهمية ما حققته اللاتينية في الإبداع الإنجليزي منذ **صامويل جونسون** الذي كتب شعراً

لاتينياً . ويرى أنه طالما ظلت أوروبا اتحاداً كونفيدرالياً من الفكر والشعور فلن تغيب عنها النغمة اللاتينية .

دور الترجمة

ولكن : ما دورالترجمة هنا ؟

لقد نادى أكثر من أديب مرموق في أكثر من لغة بضرورة معرفة لغة أخرى غير اللغة الأصلية . وهذا أحد واجبات طالب الأدب المقارن . ومع ذلك يظل الاعتماد على الترجمة مطلوباً ، دون أن يضيع ميزة القراءة في اللغة الأخرى . فعمل المترجم لا يمكن أن يزيد على كونه لوحة باللونين الأبيض والأسود منقولة عن لوحة أصيلة بالألوان الطبيعية . والترجمة عموماً تفقر الأصل . وقد حذر أرنولد المترجمين من ضباب الطرق الغريبة أو الأجنبية في التفكير والكلام والشعور الذي يعترض طريقه إلى الأصل . وحتى إذا رأى المترجم النص الأصلي بوضوح فلابد أن يخضع هذا النص عند ترجمته لضغوط اللغة المنقول إليها . وكان إليوت على حق حين رأى إمكان الإحساس بالشعر الجيد قبل فهمه . ولكن إذا كانت القصة ، أو الرواية ، يمكن تتبعها خطوة خطوة من خلال الترجمة الجيدة ، فليس هكذا الشعر . ومعنى هذا أن الدراسة المقارنة تصل إلى أفضل حالاتها حين يتحرك الناقد بسهولة من لغة إلى أخرى ، دون وسيط ، مثلما فعل الناقد الأمريكي **إدموند ويلسون** . فإذا لم تتيسر مثل هذه المعرفة يكون على الناقد أو دارس الأدب المقارن أن يستعين بالترجمة .

يقول المؤلف :

« أول قانون للترجمة واضح : لا يمكن أن يؤخذ شئ على أنه نهائي . فكل عصر يرى الأدب من منظور مشاغله ، وهذه تتغير تبعاً للتغيرات في التاريخ الإنساني ... **والترجمة ، مهما كانت متميزة ، لا يمكن أن تتساوى بالأصل** » .

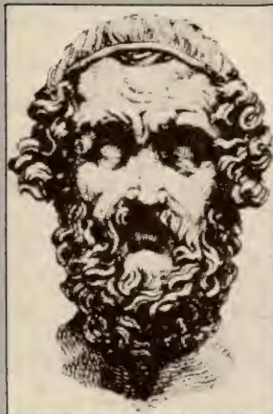
ولكن المؤلف يضيف إلى هذا **إن أول واجبات مترجم الشعر ـ بصفة خاصة ـ هو تعقب الحركة اللازمة في القصيدة والعامل الداخلي المحدد لشكلها ، لأنه بدون هذا التعقب تضيع منه مفاتيح كثيرة في النص** . وإذا كانت ترجمة القصص أيسر من ترجمة الشعر ، فقد لجأ البعض إلى التصرف غير المعيب . ومن هؤلاء الشاعر الأمريكي روبرت لوويل الذي نقل قصائد فرنسية وروسية نقلاً موزوناً متصرفاً مستقلاً عن حرفية النص ، وسمى عمله « **محاكاة** » . وكان الحب مدخله إلى اختيار القصائد وترجمتها على هذا النحو . ولكن هذه ليست قاعدة ، لأن من واجبات المترجم أن يحترم القالب الذي جاء فيه النص ، وأن يحافظ على تماسكه ونسيجه الأصلي . وقد كتب الشاعر **درايدن** ذات مرة « يجب أن يكون المرء ناقداً بارعاً بارعاً **في لغته الأم** قبل أن يحاول ترجمة لغة أجنبية . ولا يكفي أن يكون قادراً على تقدير الكلمات والأسلوب ، ولكن يجب أن يكون متمكناً منهما أيضاً : إذ يجب أن يفهم ـ إلى حد الكمال ـ لسان الأدباء الذين ينقل منهم ، وأن يجيد لغته إجادة مطلقة . ولذلك يجب أن يكون شاعراً جيداً لكي يكون مترجماً جيداً » وإذا كان لعمل المترجم مساوئ كثيرة فهو عمل يحفظ تماسك جسم الأدب العالمي في النهاية ، ويساعد على بقاء اللغة حية مرنة .

الدراسات المقارنة

عند هذا الحد نصل إلى الفصل الخاص بالدراسات المقارنة في الجامعة ، والمقصود هنا الجامعات البريطانية . ولعلنا لاحظنا أن هذه الدراسات ـ كما يبدو من عمل المؤلف ووظيفته في التدريس ـ تتبع أقسام اللغة الإنجليزية وآدابها ، على العكس مثلاً مما نجد في بعض الجامعات الأمريكية المتيسرة حين يستقل الأدب المقارن بقسم خاص داخل كلية الآداب أو العلوم الإنسانية . وقد تناول المؤلف موضوع هذا الفصل من حيث صلته بمرحلة البكالوريوس ، وكذلك من حيث صلته بمرحلة الدراسات العليا . ودعا إلى أن يدرس الطلاب أدبين على الأقل في المرحلة الأولى ، مع التركيز على أدب واحد أكثر من الآخر . وتشدد في أن تكون الترجمة من مقررات الدراسة المقارنة ، فبها ومنها يتعلم الطالب كيف يكتب . وقسم دراسة الأدب إلى قسمين : **دراسة الأدب البحث والدراسة المقارنة** . ثم انتقل إلى المرحلة الأعلى ، وذكر أن الطالب إما أن يوجه بمقرر في الدراسة المقارنة لمدة عام واحد ، أو يعهد إليه بإعداد بحث في رسالة يقدمها بعد عامين على الأقل . وأشار إلى أنه من الممكن لمقرر السنة الواحدة أن يتضمن بحثاً صغيراً ، ولكن من الضروري أن يتكون أساساً من المحاضرات والمناقشات . ويسمح بالالتحاق به لخريجي قسم اللغة الإنجليزية . وليس في هذا كله ـ على أي حال ـ ما يختلف كثيراً عن نظام دراسة الأدب المقارن بالجامعات الأمريكية .

أما فيما يتعلق بالبحث (**الرسالة**) في الدراسات العليا ، فيرى

★ هوميروس ★



★ المتنبي ★



المؤلف أن يؤهل الطالب لذلك بمعرفة جيدة لأدبين ومجتمعين مختلفين ، مع دراسة تقاليدهما ورؤاهما المختلفة . ومن الطريف أن المؤلف يذكر أنه علم ، وهو يكتب هذا الفصل ، بصدور كتاب عن شاعرنا **المتنبي** . ويعقب على ذلك بأن « **أعظم شعراء العرب** » **قد صار في متناول الدارسين الإنجليز . ومن الممكن أن يتناوله أحد الطلاب في بحث** للدكتوراه . وتوقع أن تقدم السنوات الخمسين ، أو المئة ، التالية شعراء وأدباء مرموقين آخرين لطلاب الأدب المقارن . فالتراث الأدبي العالمي مازال حافلاً بالمفاجآت والموضوعات من هذا النوع .

ويخصص المؤلف الفصل الأخير من كتابه لدراسة الأدب الأمريكي كما سبق أن أشرنا . وهو يرى أن المقارنة عادة طبيعية من عادات العقل الأمريكي ، وأن هذه العادة مكّنت أصحابها من الوصول إلى الهند و الصين واليابان ، وأن وضع أمريكا الثقافي جعلها المركز الرئيسي للدراسات المقارنة في العالم اليوم . ومع ذلك ، أو لذلك ، يتعذر تجاهل الأدب الأمريكي في انجلترا ، لأنه يحدد اتجاه الأدب الإنجليزي كما يقول : « **فالشعر الإنجليزي يدين اليوم بالكثير من نبضه للشعر الأمريكي** » ، والتفكير الاجتماعي في بريطانيا يزداد أخذاً من الأنماط الأمريكية ، ولابد أن يستوعب أي إنسان ذكي في هذا العصر ، ولا سيما من الإنجليز ، ما حدث للأدب الأمريكي من تطور . وفهم هذا الأدب من عوامل بقاء الأدب الإنجليزي نفسه ، لأن **الثقافة التي تتجاهل ما يحدث خارجها ـ كما يقول ـ سرعان ما تصبح إقليمية ، وتبوء بالفشل.** ومع ذلك فاتجاه العقل الأمريكي في الأدب مختلف جداً عن اتجاه العقل الإنجليزي . ومهما كان هذا الاختلاف ، فلابد من دراسة الأدب الأمريكي في مرحلة البكالوريوس ، كما يقول أيضاً ، بالرغم من ازدحام المقررات الخاصة بالأدب الإنجليزي . وإذا كانت أمريكا ذاتها نتاجاً لتجمعات أوروبية فهي مهيأة ـ بحكم ظروفها ـ للبحث في الآداب الأوروبية . وأكبر نقادها لم ينس أوروبا التي جاء منها أجداده . وهكذا يجد المؤلف أن دراسة الأدب الأمريكي كشريك دائم في اللغة تعد مدخلاً لاستقبال الأدب العالمي .

ومع أن المؤلف لا يخوض هنا في الفروق الكبيرة بين دراسة الأدب المقارن على الطريقة الأمريكية ودراسته على الطريقة الأوروبية ، من حيث المجال والحدود بصفة خاصة ، فقد نجح في توسيع نطاق الدراسات المقارنة في بريطانيا ذاتها ، أو على الأقل في لفت الانتباه إلى ضرورة هذا التوسع .



★ هنري جيمس ★



★ شكسبير ★

ينتهي الكتاب عند هذا الحد ، ولكن المؤلف يلحق به تصوراً لمقرر في الأدب المقارن لمدة عام في **مرحلة الدراسات العليا** ، وهو مقرر مصمم على أساس الطلاب المتخرجين في قسم اللغة الإنجليزية أو المتخصصين في إحدى اللغات الحديثة . ويتكون المقرر من خمسة عناصر رتبها المؤلف على ثلاث فترات دراسية :

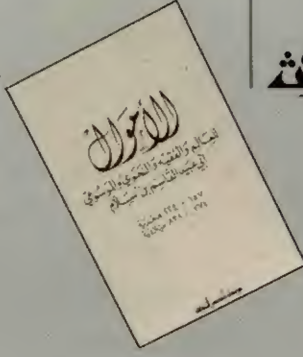
(أ) **الفترة الأولى** : مقدمة للمنهج المقارن ـ تمرين في الترجمة من لغة أجنبية مع بعض الدراسات عن الترجمة مثل الفصل الخاص الذي كتبه ماثيو أرنولد « حول ترجمة هوميروس » ، وكذلك دراسة الترجمات المعتمدة على الأصل ـ دراسة جنس (شكل) أدبي (في الأدب الإنجليزي وأدب آخر) مع التركيز على أديبين أو ثلاثة في كل من الأدبين .

(ب) **الفترة الثانية** : دراسة مشكلة خاصة (في الأدب الإنجليزي وأدب آخر) مثل : مشكلة الناقد والمجتمع ، الرقابة الخفية أو الصريحة ، الشعر كفن يحتضر ، الحساسية الحضرية ، الشاعر والرعاية ـ التمرين على الترجمة (استمراراً لما في الفترة الأولى) ـ دراسة جنس أدبي Literary Genre .

(ج) **الفترة الثالثة** : كتابة رسالة قصيرة (عشرة آلاف كلمة إلى ١٥ ألفاً حول موضوع محدود من أ أو ب أو ج . أما الموضوعات مثل علاقة الأدب بالتصوير أو الموسيقى أو الفلسفة فتحجز للماجستير أو الدكتوراه في الأدب . وإذا درست يكون درسها حول أديبين على الأقل ، وليس من الضروري أن يكون الأدب الإنجليزي أحدهما .

ومن الواضح في هذا المقرر المركز أنه خطوة للتحضير للماجستير أو الدكتوراه ، وهو يقابل في بعض جامعاتنا ما يسمى « **السنة التمهيدية للماجستير** » بعد الحصول على البكالوريوس . ومن الواضح أيضاً أن المؤلف في إشارته إلى علاقة الأدب بغيره من الفنون أو الفلسفة قد أشار ضمناً إلى فرق أساسي من فروق المجال في دراسة الأدب المقارن على الطريقة الأمريكية . وهذا دليل آخر على تحمسه لهذه الطريقة وإدخالها في الجامعات البريطانية التي تتصف بالحذر والمحافظة والتحفظ بوجه عام . ونرجو أن يكون في عرضنا لكتابه ما يثير بعض النشاط أو الحيوية في الدراسات المقارنة بجامعاتنا العربية .





الأموال .. لأبي عُبَيْد القاسم بن سلاّم

عرض: محمد إحسان طالب

التنظيم المالي والاقتصادي والسياسي والعسكري في دولة الإسلام لم يكن منفصلاً عن العلوم الدينية ، فكتب الفقه اشتملت على تنظيم الحياة الاقتصادية الفردية والاجتماعية ، والحق أن الجانب الاقتصادي لقي عناية خاصة من قبل علماء السلف تجلت في تلك الكتب الزاخرة بالعلم والمعرفة والتي أفردت أو خصصت لبحث شئون التنظيم المالي والاقتصادي للدولة الإسلامية .

وتمتاز كتب السلف هذه باعتمادها نصوص الكتاب والسنة مباشرة واستنباط الأحكام منها مع التعرض إلى آراء العلماء المعاصرين فيما يتعلق بالمسائل التي يخوض فيها الباحث ، كما تمتاز بقدرة مؤلفيها الفذة في فهم نصوص القرآن ونصوص الأحاديث وجمع الآراء المختلفة ومقارنتها ثم ترجيح الرأي أو الحكم الذي يراه أو يفهمه المؤلف .

وبهذا المنهج استطاعت تلك الكتب البقاء على رأس الكتب في قائمة المراجع الإسلامية التي ينبغي لأي باحث من المعاصرين الرجوع إليها أولاً عندما يدور البحث عن الأحكام أو الأصول الدينية في أي من العلوم الاجتماعية والاقتصادية .

ومن بين تلك الكتب الهامة الجديرة بالعناية والدراسة كتاب : « **الأموال** » **لأبي عبيد القاسم بن سلام** .

المؤلف

هو **أبو عبيد القاسم بن سلام الأزدي الأديب الفقيه صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات والفقه واللغات والشعر** ، كان مولده **بهراة** عام سبع وخمسين ومائة للهجرة – ٧٧٤ م – وكان أبوه رومياً مملوكاً لبعض أهل هراة ، أقام في **بغداد** وولي القضاء في **طرسوس** وقدم **مصر** وكتب فيها ثم خرج إلى **مكة** حاجاً وتوفي فيها سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين ومائتين للهجرة في خلافة المعتصم – ٨٣٨ م – .

ومن أخباره أنه لما مضي الأمير **طاهر بن الحسين** إلى خراسان ونزل **بمرو** طلب رجلاً يحدثه ليلة ... فأدخل عليه أبو عبيد فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه .. فدفع إليه ألف دينار وقال له : أنا متوجه إلى خراسان ، إلى حرب ، ولست أحب استصحابك شفقا عليك فأنفق هذه حتى أعود إليك فألف أبو عبيد كتابه (**غريب المصنف**) وهو كتاب في اللغة عده بعض علماء عصره أجود كتاب ألفه . ثم عاد طاهر بن الحسين من خراسان فحمل معه أبا عبيد إلى (**سر من رأى**) ولما عرض أبو عبيد « غريب المصنف » على الأمير طاهر قال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يُحْوجَ إلى طلب المعاش ، فأجرى له عشرة آلاف درهم كل شهر ثم صار أبو عبيد بعد وفاة طاهر بن الحسين في ناحية ابنه **عبد الله بن طاهر** الذي أكرمه وأجزل له العطاء .

عصره

هذا ويعد العصر الذي عاش فيه أبو عبيد عصر علم واختلاف وسعة في التأليف والكتابة وامتاز ذلك العصر بتتابع أئمة أجلاّء منهم جمهور أئمة المذاهب الأربعة وكثير من الأسماء اللامعة في سماء العلم والفقه واللغة ، وكان بروز أبي عبيد أمام تلك القمم الشامخة دليلاً على طول باعه وسعة علمه وجلالة قدره .

منهجه

كان منهج أبي عبيد سلفياً يحتذي حذو السنة ويقتفي أثر الصحابة لذلك نراه يحتج كثيراً بآرائهم ويستشهد بأقوالهم ومن ذلك كثرة نقله عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، كما نرى استناده في أحكام كثيرة إلى أقوال وأفعال **عمر ابن عبد العزيز** رحمه الله ، وروى أبو عبيد عن **الإمام مالك بن أنس** رحمه الله ، وذكر ما ذهب إليه في كثير من المسائل .

كان أبو عبيد يقسم الليل فيصلي ثلثه ، ويصنف ثلثه ، وينام ثلثه .. وتروى عنه آثار تُظهر شجاعته واعتزازه بالعلم والعلماء .

قال أبو عبيد : ربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في مواضعها من الكتاب فأبيت ساهراً فرحاً بتلك الفائدة . ويذكر أن طاهر بن عبد الله قدم من خراسان وهو حدث في حياة أبيه يريد الحج فنزل في دار **إسحاق ابن إبراهيم** فوجه إسحاق إلى العلماء فأحضرهم ووجه إلى أبي عبيد أن يحضر فأبى وقال : العلم يُقصد ، فغضب إسحاق من قوله في رسالته وكان عبد الله بن طاهر يجري له في الشهر ألفي درهم فقطع إسحاق عنه ذلك وكتب إلى عبد الله بالخبر فكتب إليه عبد الله : قد صدق في قوله وقد أضعفت له الرزق من أجل فعله فأعطه فأثبه وأدر عليه بعد ذلك ما يستحق .

ولما قدم **علي بن المديني وعباس العنبري** من علماء ذلك الوقت وأرادا أن يسمعا كتاب (**غريب الحديث**) لأبي عبيد فكان يحمل كل يوم كتابه ويأتيهما في منزلهما فيحدثهما به .

ويذكر أن أبا عبيد أقام عند **أبي دلف** شهرين فلما أراد الانصراف وصله بثلاثين ألف دينار فلم يقبلها وقال : أنا في جنبة رجل لم يحوجني إلى صلة غيره فلما عاد وصله ابن طاهر بثلاثين ألف دينار ، فقال أيها الأمير قد قبلتها ولكن قد اغنيتني بمعروفك وبرّك وقد رأيت أن اشتري بها سلاحاً وأوجهه إلى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير فقبل .

بين علماء عصره

قال **ابن حبان** في الثقات : أبو عبيد أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين ومعرفة بالأدب وأيام الناس جمع وصنف وأختار وذبَّ عن الحديث ونصره وقمع من خالفه . وقال عنه **أحمد بن كامل القاضي** : كان أبو عبيد فاضلاً في دينه ، وفي علمه ربانيا متفننا في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار ، حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أموره ودينه . وقال **أحمد بن مسلمة** سمعت **ابن راهويه** يقول : إنَّا نحتاج لأبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا . وقال عنه الإمام الجليل **أحمد بن حنبل** : أبو عبيد أستاذ . وقال **الدارقطني** : أبو عبيد ثقة إمام جليل . وقال **أبو داود** : ثقة مأمون .

كتاب الأموال

قال **الحافظ ابن حجر في التهذيب : كتاب الأموال لأبي عبيد من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده . وهو كتاب فقهي متخصص في بحث وشرح الأحكام الشرعية المتعلقة بكافة صنوف الأموال والثروات استنباطاً من الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وقياس** . ويغلب طابع الرواية على الكتاب فهو من كتب فقه الحديث ، اعتمد عليه في المقام الأول ، وعَنْونَ الفصول والأبواب ثم أورد الأحاديث والأدلة التي تفيد قراءتها العلم بموضوع الباب المُعَنْونَ له ثم يأتي بعد ذلك بشرح لبعض المفردات ويقف عند بعضها بشرح طويل خاصة إذا ما ترتب على فهم إحدى كلمات الحديث حكم فقهي .

ومن أسلوب أبي عبيد في كتاب الأموال أيضا ، أنه بعد ذكر عنوان الباب يلخص أحكام الباب ثم يورد بعد ذلك الأدلة .

أقسام الكتاب

قُسم كتاب « الأموال » إلى ثلاثة أجزاء يجمعها مجلد واحد ، وقسم الجزء إلى كتب والكتاب إلى أبواب ، ووضع لكل كتاب عنوان شامل ولكل باب عنوان مفصل ويستخدم أحيانا عنوان : **جماع الأبواب** مثل : جماع أبواب (صدقة ما تخرج الأرضون من الحب والثمار وما فيها من العشر ونصف العشر وجماعُ أبواب (مخارج الصدقة وسبلها التي توضع فيها)

ويشكل **كتاب الصدقة** ــ ومن ضمنها الزكاة المفروضة ــ ما يقرب من نصف صفحات كتاب الأموال ، ذكر فيه أبو عبيد فضل الصدقة والثواب في إعطائها وأورد الأحاديث في منع الصدقة والتغليظ في حبسها كما ساق أحاديث فرض صدقة الإبل والبقر والغنم وسننها والإجابة على مشكلات تحديد الأنواع الواجبة فيها الزكاة من أصناف الثروة السابقة الذكر .

كما ساق أبو عبيد الأحاديث في فرض زكاة الذهب والورق ــ الفضة ــ وما فيها من السنن ، كما أورد أحاديث صدقة التجارات والديون وما يجب فيها وما لا يجب وكذلك الصدقة في الحلي من الذهب والفضة وما فيها من الاختلاف كذلك صدقة مال اليتيم ومال العبد المكاتب وأيضا الصدقة في الخيل والرقيق ، كما جاء في جماع أبواب ما تخرج الأرضون من الحب والثمار وما فيها من العشر ونصف العشر . فذكر الصدقة أو الزكاة في كل أصناف ما تخرج الأرض من حبوب وثمار وخضروات وما يستثنى منها بدون صدقة ، وما يعفى منها . كذلك جاء ذكر الآراء في وجوب صدقة العسل والزيتون ، وجاء في آخر بحث في الكتاب في مخارج الصدقة ــ الزكاة ــ وسبلها التي توضع فيها .

الجزء الأول

ابتدأ الجزء الأول من كتاب الأموال ببيان حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام ، وجاء فيه ذكر خطبة **أبي بكر الصديق** حين ولي الخلافة .

ثم تلا الباب الأول ؛ باب صنوف الأموال التي يليها الأئمة للرعية وأصولها في الكتاب والسنة وجاء بعده كتاب الفيء ووجوهه وسبله وفيه باب الجزية والسنة في قبولها .

ويلي ذلك كتاب سنن الفيء ، والخُمْس والصدقة ، وهي الأموال التي تليها الأئمة للرعية .

وبعد استعراض أحكام الجزية وما فيها من الاختلاف جاء كتاب : **فتوح الأرضين صلحاً وسننها وأحكامها** .

الجزء الثاني

بدأ الجزء الثاني بباب الحكم في رقاب أهل العنوة من الأسارى والسبي وجاء بعده كتاب : افتتاح الأرضين صلحاً وأحكامها ،

وسننها وهي من الفيء ولا تكون من الغنيمة .

وكان أول باب في هذا الكتاب : الوفاء لأهل الصلح ، وما يجب على المسلمين وما يكره من الزيادة عليهم ، وفي هذا الكتاب أيضا باب : الصلح بين المسلمين والمشركين إلى مدة ، قال فيه أبو عبيد .

إنما تكون الموادعة بين المسلمين وأهل الشرك إذا خاف الإمام غلبة منهم على المسلمين ، ولم يأمن على هؤلاء أن يضعفوا ، أو أن يكون يريد كيداً ، فأما إذا لم يخف ذلك فلا . وذلك لأن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم** ﴾ ، كذلك لو خاف من العدو استعلاءً على المسلمين ، فاحتاج أن يتقيهم بمال يدرؤهم عن المسلمين ، فعل ذلك ، كما صنع رسول الله **صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب** . إنما الإمام ناظر المسلمين .

وفي باب كتب العهود التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأهل الصلح ورد ذكر كتب رسول الله إلى **نجران وثقيف** ولأهل **دومة الجندل** وإلى أهل **هجر** وأهل **أيلة** وإلى **خزاعة** وكتاب رسول الله بين المؤمنين وأهل يثرب وموادعته يهودها ، مَقْدمه إلى المدينة ، وغيرهم ، شرحها أبو عبيد واستخرج الأحكام منها بالتفصيل .

وبانتهاء الباب السابق يبدأ كتاب : **مخارج الفيء ومواضعه التي يصرف إليها** ، ويجعل فيها وفيه باب تعجيل إخراج الفيء وقسمته بين أهله وكذلك باب توفير الفيء للمسلمين وإيثارهم به . وبعد هذا الباب كتاب أحكام الأرض في إقطاعها ، وإحيائها ، وحماها ، ومياهها وهو كتاب هام زاخر بالأحكام الفقهية الضرورية في أبحاث التنمية في الاقتصاد الإسلامي .

وبعده يأتي **كتاب الصدقة وأحكامها وسننها** .

قيمـة الكتـاب

والناظر في كتاب الأموال لأبي عبيد لا يشبع منه لما حواه من درر وروائع تظللت فيء السنة النبوية الشريفة ، كما أن القراءة فيه تعود بالنفس إلى قرن من خير القرون سادته روح الجهاد وخيمت عليه سحائب العلم المنيرة . والدراسة في كتاب أبي عبيد تظهر بجلاء ضخامة الأموال التي تديرها الدولة الإسلامية ودقة التنظيم المالي فيها ، ولن تفهم الأبعاد الاقتصادية للأحكام الفقهية الإسلامية إلا بدراسة كتب الأموال والخراج التي ألفت في العصور الإسلامية الزاهرة .

بقي أن نذكر أن الفائدة التامة لكتاب أبي عبيد (الأموال) لا تأتي إلا بتخريج الأحاديث التي وردت في كتاب الأموال بأسانيدها دون ذكر لحال هذه الأسانيد كما يقتضيه فن علوم الحديث وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الغالب على أحاديث كتاب أبي عبيد أنها لا خطأ فيها ، وذلك مفهوم من قول الحافظ ابن حجر في التهذيب : « كتابه في الأموال من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده والأحاديث التي فيها خطأ أتى فيها من **أبي عبيدة معمر بن المثنى** » .

والواقع أن أبا عبيد لم يرو أحاديث كثيرة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . ولقد مر معنا قول أحمد بن كامل في أبي عبيد الذي يشهد له فيه بعلمه وصحة نقله وحفظه ، هذا وقد أخذ بعض العلماء على كتاب الأموال أنه لا يذكر كل الأحاديث الواردة في المسائل التي عرض لها أو لعله لم يذكر أكثرها ، وقد يرجع ذلك إلى أن بعضاً من الأحاديث لم تصله في زمن تأليفه للكتاب ، أو أن بعضاً من الأحاديث لم ترده من سند مقبول لديه ، أو أنه اكتفى بما ذكره من الأحاديث لعلمه بأن ما جاء به من أحاديث كافية لبيان الحكم فيما ذهب إليه من آراء خاصة وأنه رجع في أحكامه إلى سنة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من أئمة الهدى أمثال عمر بن عبد العزيز .. والله أعلم .







نهر النيل

بقلم: محمد فكري أنور



★ صورة من الجو للنيل الأزرق ★

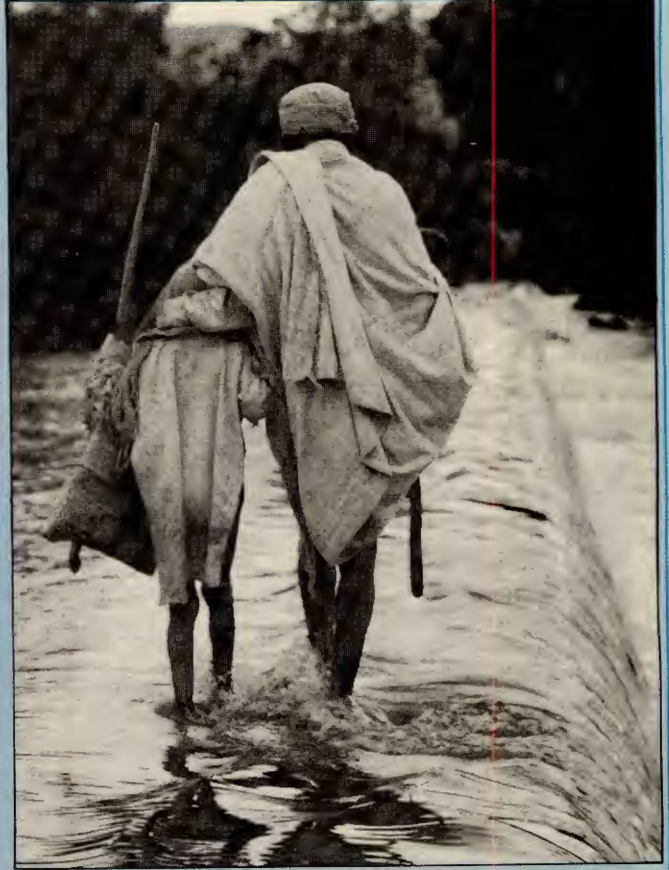


★ خريطة الدول التي يمر في أراضيها نهر النيل ★

بهذا الموضوع عن « نهر النيل » تبدأ مجلة « الفيصل » نشر سلسلة عن الأنهار الكبرى في العالم . وسوف تغطي في أعدادها القادمة إن شاء الله أنهار : المسيسيبي ، والدانوب ، والأمازون ، والتيمز ، وسيبيريا ، والفولجا ، والرون .

ومجلة الفيصل إذ تنشر دراسات عن تلك الأنهار لتأمل أن تقدم للقارىء العزيز هذه الخدمة الصحفية المصورة ، راجية أن تلقى لديه قبولاً وأن تلبي عنده حاجة إلى هذا النوع من المعرفة التي تشكل أهمية خاصة على خارطة العالم ، وتأثيرها عليه . وهذه الخدمة التي تقدمها هي جزء من خطة عامها الجديد الحالي .. وتأتي تلبية لطلبات عدد كبير من رسائل قرائنا الذين نستمد من مقترحاتهم كثيراً من الأفكار .. فالقارىء من قبل ومن بعد هو صاحب المجلة .

★ منحدر مائي .. إثيوبيا ★





هناك .. في قلب قارة أفريقيا .. وفي واحدة من أصغر دول العالم مساحة **(دولة بوروندي)** .. وبعد أربعة خطوط عرض شمالاً ... يقع خط الاستواء .

وهناك .. ومن فوق أحد التلال تبدو بوروندي كأنها هرم تغطيه شجيرات وأعشاب تنمو في جو دافئ ، مرتفع الرطوبة طوال أيام السنة .. ويتأمل المرء البيئة والمكان .. ويزدحم في عقله سيل من الاستفسارات عن طبيعة المكان من حيث صغر المساحة ، وحرارة الجو ، وارتفاع الرطوبة ، واخضرار الأرض ، وانتشار الحشرات ، وزحمة الحيوانات ... إنها الطبيعة في موكب خلاب تجتمع فيه عناصر الحياة من أرض خصبة وشمس وحيوان ونبات .. ومن هذه البيئة الحية .. من واحدة من أصغر دول العالم ينبع أطول أنهار الدنيا ، إنه « **النيل** » .

أجل .. عند نهر « **كاجيرا** » ، وعلى مقربة من **جبال القمر** .. ووسط مساحات شاسعة من الغابات التي لم تفقد عذريتها ورونقها وجمالها ... تبدأ الخطوات الأولى لنهر النيل في مشواره الذي **يبلغ طوله ستة آلاف وستمائة وثمانية وأربعين كيلومتراً** .. لينتهي عند أقاصي القارة الأفريقية باتجاه الشمال : **البحر المتوسط** .

والنيل ـ في مشواره هذا ، يمر بثمان دول أفريقية ـ من الجنوب إلى الشمال ـ هي :

بوروندي رواندا ـ تنزانيا ـ زائير ـ كينيا ـ أوغندا ـ السودان ـ إثيوبيا ـ مصر .

وعن النيل قال « **ياقوت الحموي** » في كتابه « **معجم البلدان** » :

« وأجمع أهل العلم أنه ليس في الدنيا نهر أطول من النيل ، لأن مسيرته شهر في الإسلام وشهران في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب .. حيث لا عمارة فيها ، إلى أن يخرج في بلاد القمر خلف خط الاستواء . وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال إلا هو . ويمتد في أشد ما يكون من الحر حين تنقص أنهار الدنيا ، ويزيد بترتيب ، وينقص بترتيب بخلاف سائر الأنهار . فإذا زادت الأنهار في سائر الدنيا نقص ، وإذا نقصت زاد نهاية وزيادة .. وزيادته في أيام نقص غيره . وليس في الدنيا يُزرع عليه ما يزرع على النيل ، ولا يجيء من خراج نهر ما يجيء من خراج ما يسقيه النيل » .

★ شلال « تيزأباي » أو « دخان أباي » القريب من بحيرة تانافي في غرب إثيوبيا ★



أصـل التسميـة

تتعدد الآراء بشأن كلمة « النيل » . فالبعض يقولون إنها مشتقة من **الكلمة الاغريقية** « **نيلوس** » Neilos التي تعني باللاتينية « **نايلوس** » Nilus . والبعض الآخر يقولون إنها مشتقة من الكلمة السامية « **نهل** » بمعنى وادٍ أو نهر . وأما في **العبرية** فقد يكون اللفظ مشتقاً من كلمة « **نخل** » . هذا ، وقد أطلق عليه **المصريون القدماء** عدة أسماء منها « **أور** » و « كيم » ، كما أن **أهالي السودان** ومصر يطلقون عليه عدة أسماء منها : النيل ـ البحر ـ بحر النيل ـ نهر النيل .

والنيل ـ كما قال الحموي ـ يختلف عن بقية أنهار العالم في أنه ينبع من الجنوب ويصب في الشمال . ولقد كانت هذه الخاصية لغزاً حاول قدماء المصريين والإغريق حل رموزه .

النيـل .. وتواريخ مهمـة

يكاد المؤرخ الإغريقي القديم « هيرودوت » أن يكون أول من تعقب مجرى نهر النيل . ففي حوالي عام أربعمائة وستين قبل ميلاد **المسيح عليه السلام**

تعقب مجراه من مصبه عند البحر المتوسط إلى ما بعد الجندل الأول في جنوب مصر .

أما قدماء المصريين فقد عرفوا مجراه جيداً حتى التقائه **بالنيل الأزرق** عند مدينة **الخرطوم** عاصمة السودان .

بعد ذلك بأكثر من عشرين قرناً ، وبالتحديد في عام ١٧٧٠ م ، قام **المستكشف الاسكتلندي** .. « **جيمس بروس** » برحلة في **إثيوبيا** زار خلالها بحيرة « **تانا** » منبع النيل الأزرق والتي كان **القس البرتغالي** « **بائيز** » قد اكتشفها في عام ١٦١٨ م .

أما الانجليزيان « **ريتشارد بيرتون** » و « **جون سبيك** » فقد اكتشفا **بحيرة تنجانيقا** في عام ١٨٥٧ م ، ثم اتجه سبيك شمالاً حتى وصل إلى حافة بحيرة أسماها « **فيكتوريا نياترا** » ثم عاد بعد ذلك إلى انجلترا وهو مقتنع أنه اكتشف منبع نهر النيل . ولقد كان مصيباً فيما ذهب إليه . وفي عام ١٨٦٢ م عاد « سبيك » وبصحبته المستكشف الاسكتلندي « جيمس جرانت » ، واكتشفا **شلالات ريبون** » .

وأما المستكشف النمساوي « **أوسكار بومان** » فقد اكتشف العلاقة بين كل من **نهر كاجيرا وبحيرة فيكتوريا** وكونهما مصدراً لمياه النيل ، وذلك في عام ١٨٩٢ م .

هذا ، وكان **محمد علي باشا** ــ والي مصر خلال الثلث الأول من القرن التاسع عشر للميلاد ــ قد أمر ــ في عام ١٨٢٢ م ــ بتسيير حملات لاستكشاف منابع النيل . وقد وصلت تلك الحملات إلى ما عرف فيما بعد بمدينة الخرطوم .

السدود والقناطر والقنوات

أقيمت على النيل قناطر وسدود أريد بها وقاية البلاد المار بأراضيها ــ خصوصاً في مصر والسودان ــ من أخطار الفيضان .. أيضاً شقت الترع والقنوات كي تحمل مياه النيل إلى الأراضي البعيدة عن حوضه . ومن تلك المشروعات ما يلي :

●● **القناطر الخيرية** : تقع على مسافة ثمانية عشر كيلومتراً شمال مدينة **القاهرة** . انشئت في عام ١٨٤٧ م لأجل رفع منسوب مياه النيل لري الأراضي الواقعة **بمنطقة الدلتا** ، خصوصاً **أيام التحاريق** (التحاريق هي الفترات التي





★ أسراب من طائر البلشون الأبيض وقطيع من الفيلة بالقرب من شلالات « كابالبجا في أوغندا » ★

ينخفض خلالها منسوب مياه النيل في غير أوقات الفيضان) .. إلى جانب المساعدة على شق ثلاث ترع كبرى هي : **الرّياح التوفيقي** - لري شرق الدلتا ، والرّياح المنوفي لري وسط الدلتا ، **ورّياح البحيرة** لري منطقة غرب الدلتا .

•• **قناة جونجلي** : في جنوب السودان . يبلغ طولها مائتي كيلومتر ، وتمتد من جونجلي إلى **بحر الزراف** ، ثم تنقسم إلى مجريين . وقد أدى حفرها إلى زيادة كميات المياه اللازمة للري عند منطقة ملاكال بمقدار ١,٨ مليار متر مكعب سنوياً .

•• **خزان أسوان** : أنشئ في عام ١٩٠٢ م لتخزين المياه أمامه أيام الفيضان لاستخدامها في ري أراضي مصر الزراعية خلال أيام التحاريق . وتمت تعليته مرتين الأولى من ١٩٠٩ - ١٩١٢ م ، وبمقتضاها ارتفع بناؤه من ١٠٩ إلى ١١٤ متراً . والتعلية الثانية خلال الفترة من ١٩٢٩ - ١٩٣٣ م وبها ازدادت سعة تخزينه إلى خمسة ملايين متر مكعب من الماء .

•• **سـد سنـار** : أنشئ في عام ١٩٢٥ م على النيل الأزرق في السودان . يبعد ٣٥٣ كيلومتراً عن الخرطوم وتبلغ سعته ٧٨٠ مليون متر مكعب من المياه .

•• **قناطر الدلتا** : شمال القناطر الخيرية . انشئت عام ١٩٤٠ م وساعدت على التوسع في استصلاح الأراضي الزراعية في منطقة شمال الدلتا .

•• **سد جبل الأولياء** : يقع على مسافة أربعين كيلومتراً جنوب الخرطوم . انشئ خلال الفترة من عام ١٩٣٣ إلى ١٩٣٧ م . تبلغ سعته التخزينية ثلاثة مليارات متر مكعب من المياه .

•• **السد العالي** : يقع على مسافة سبعة كيلومترات جنوب مدينة **أسوان** . وضع حجر أساسه يوم ١٩٦٠/١/٩ م ، يبلغ طوله ٣٥٠٠ متر وعرضه - عند القاعدة ١٠٠٠ متر - وفي أعلاه ٣٢ متراً ، وارتفاعه ١١١ متراً . تبلغ سعته التخزينية ١٣٠ مليار متر مكعب ، وأمامه بحيرة صناعية **(بحيرة ناصر)** تعتبر أكبر بحيرة صناعية في العالم حيث تبلغ مساحتها ٤٠٠٠ كيلومتر وطولها خمسمائة متر .

حـوض النـيـل

يتكون حوض نهر النيل من سبع مناطق رئيسية هي :

١ - **هضبة البحيرات** : تقع في شرق أفريقيا ، وتضم عدداً من البحيرات



★ استخدام الأنابيب المشعبية لنزح المياه من أحد حقول قصب السكر . ما بين النيل الأزرق والنيل الأبيض قبل التقائهما عند مدينة الخرطوم ★

والمجاري المائية التي تغذي النيل الأبيض . والنيل يحصل على مياهه من عدة موارد أبعدها **نهر كاجيرا** ، الذي ينبع من مرتفعات دولة بوروندي ، بالقرب من الطرف الشمالي من بحيرة تنجانيقا ، ثم يتدفق ليصب في بحيرة فيكتوريا .

وتعتبر بحيرة فيكتوريا ثالث أكبر بحيرة في العالم ، حيث تبلغ مساحتها ٢٦٨٠٠ ميل مربع ، كما أنها ضحلة القاع .

وعلى مسافة قصيرة من « **جينيا** » **بدولة أوغندا** ، وعلى الشاطئ الشمالي من البحيرة ، يبدأ تدفق نهر النيل متجهاً إلى الشمال عبر **شلالات ريبون Ripon Falls** التي تم غمرها نتيجة لإقامة سد **شلالات أووين Owen Falls Dam** في عام ١٩٥٤ م . ثم يدخل الامتداد الشمالي للنهر – والمعروف باسم نيل فيكتوريا – إلى بحيرة كيوجا . وبمروره خلال المستنقعات الخضراء في تلك المنطقة يتجه النهر إلى الغرب منحدراً نحو وادي الشق الشرقي لأفريقيا عبر **شلالات مورشيسون Murchison Falls** قبل نفاذه إلى الطرف الشمالي لبحيرة ألبرت .

بيد أن **بحيرة آلبرت** – بعكس بحيرة فيكتوريا – عميقة المياه ، لكنها ضيقة الحدود ، تحيط بها الجبال . وهنا .. عند هذه البقعة ، تتحد مياه نيل فيكتوريا مع مياه البحيرة . ثم تتجه شمالاً .. حيث يعرف باسم « **نيل آلبرت** » ، وهو ذلك الجزء من النهر الذي يتميز بالاتساع ، وبطء جريان المياه ، واكتناف المستنقعات لمجراه .. بالإضافة إلى صلاحيته للملاحة .

٢ – بحـر الجبل : عند منطقة « نيميول » ، يدخل النيل أرض السودان .. سريع الجريان ، ماراً بمنحدرات متدرجة ، وكتل صخرية تخنق مجراه وتعيق تدفق مياهه .. وهذا الجزء من النهر يسمى « **بحر الجبل** » .

وبعد نيميول بأربعة أميال ، يصادف المجرى **منحدرات فولا Fola Rapids** ، حيث يضم المياه شاطئان صخريان .. وعلى هذه الحال يظل النهر على حاله من التدفق ولمسافة تصل حوالي مائة ميل ، عندما يصل إلى « رجاف » ، فيجد الأراضي وقد أصبحت سهلية ، طميية ، مستوية ، تمرق خلال وادٍ ضيق وسط ريف جبلي يتراوح ارتفاعه بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ قدم فوق سطح البحر ... وسط هذا المجرى المائي ينساب المجرى الرئيسي للنهر ، وكأنه قطار يمرق وسط حقول ممتدة على جانبيه .

هنا يصل معدل انحدار النيل إلى ١ : ١٣٠٠٠ . ومن ثم يصبح من المستحيل تراكم الكميات الهائلة من المياه الاضافية – التي تصله خلال موسم الأمطار – كلها في مجرى النهر . فلو أن ذلك حدث ، لتعرض الوادي كله للغرق .

إن هذه الظروف تؤدي إلى نمو كميات هائلة من نباتات المستنقعات التي تتضمن الاعشاب الطويلة والبردي . وتعرف هذه المنطقة باسم « **السد** » . وقد سميت هكذا ، لأن النباتات النامية فيها تشكل « سداً » أو « عائقاً » أمام القنوات الصالحة للملاحة . ومنذ عام ١٩٥٧ م ، اشتدت إعاقة النباتات للملاحة في هذه المنطقة نتيجة للزيادة السريعة والهائلة في انتشار نمو « ورد الماء » ذاك .

وهذا الجزء من نهر النيل يستقبل مياهه من عدة موارد . فمن جنوب غرب السودان يتدفق « **بحر الغزال** » ليتصل ببحر الجبل عند « **بحيرة نو Lake No** » ، وهي بحيرة كبيرة يتجه المجرى الرئيسي من عندها إلى جهة الشرق . وبحر الغزال يبدو جميلاً إذا رأيناه على الخريطة .. أما في الواقع فإن جزءاً هائلاً من مياهه يُفقد عن طريق البخر ، إلى حد أن ما يصل النيل من تلك المياه لا يتجاوز جزءاً بسيطاً منها .

ومن جبال إثيوبيا ، وتجاه الجنوب الشرقي ، يتصل النيل بنهر « **السوباط** » الذي يسمى – ابتداء من هذه النقطة – بالنيل الأبيض ، والذي يبدأ على مسافة قصيرة من « **مالاكال** » . ونهر السوباط – الذي يختلف نظامه عن بحر الجبل – يعتبر مورداً هاماً من المياه يعوض ما يفقده النهر بسبب البخر في مناطق المستنقعات .

٣ – النيل الأبيض : يسمى أيضاً « البحر الأبيض » . ويبلغ طوله حوالي خمسمائة ميل ، كما أنه أطول فروع النيل ويقدم له حوالي سبعي مياهه .

يبدأ النيل الأبيض عند « مالاكال » ، ويتصل بالنيل الأزرق عند مدينة الخرطوم ، وليست له روافد هامة . وعلى امتداد مجراه يكون عريض المجرى ، قليل الانحدار إلى حد كبير (بمعدل لا يزيد عن ١ : ١٩٠٠٠) ، كما أن المستنقعات في مجراه قليلة ، ولا يزيد عرضها عن أربعمائة ياردة ، لكنها تتسع كثيراً في بعض المناطق . **ووادي النيل الأبيض** فسيح ، قليل العمق ، مما ينتج عنه ضياع قدر كبير من المياه بسبب البخر والتسرب .

٤ – النيـل الأزرق : يسمى البحر الأزرق . ينبع من المرتفعات الواقعة شمال وشمال غرب إثيوبيا ، حيث تنحدر مياهه من ارتفاع ستة آلاف قدم فوق سطح البحر ، حيث تقع بحيرة « تانا » (تبلغ مساحتها حوالي ألف وأربعمائة ميل مربع) . ومن هذه البحيرة يتجه النهر إلى الجنوب الشرقي .

تقدم **بحيرة تانا** حوالي $\frac{1}{14}$ من إجمالي مياه النيل . أما أهمية ما تقدمه من مياه فتعود إلى خلوها من الغرين . وبعد ذلك يتجه المجرى إلى الغرب ، والشمال الغربي ، ماراً بدولة السودان كي يتصل بالنيل الأبيض عند مدينة الخرطوم . وفي مساره من بحيرة تانا ، وإلى أن يصل الخرطوم ، يجري النيل الأزرق على منطقة جبلية يبلغ ارتفاعها أربعة آلاف قدم دون المستوى العام لهضبة الحبشة . **وفي حين يكون النيل الأبيض عند الخرطوم نهراً دائم الحيوية ، فإن النيل الأزرق هو الذي يتسبب في حدوث الفيضان في مياه نهر النيل ، وهو الذي كان يحدث في مصر في شهر سبتمبر من كل عام ميلادي ، نتيجة سقوط الأمطار الموسمية التي تصل مياهها إلى النيل الأزرق عن طريق روافده النابعة من مناطق سقوط تلك الأمطار .**

٥ – عطبـرة : آخر روافد نهر النيل .. ينبع من مرتفعات إثيوبيا التي يتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، ومن منطقة تقع شمال بحيرة تانا . ويلتحم نهر **عطبرة** بالمجرى الرئيسي لمياه النيل على بعد مائتي ميل شمال مدينة الخرطوم . ويغذي عطبرة رافدان هما **بحر السلام** .. و **الستيت** الذي يجري في حوض تقدر مساحته بضعف مساحة حوض عطبرة ذاته ، وهو ينبع من قمم **جبال أمهرة** ، ويتدفق تجاه الشمال كي يتصل بعطبرة في بلاد السودان .

وعطبرة ، كالنيل الأزرق ، يرتفع منسوب المياه فيه وينخفض بسرعة . ففي موسم الفيضان يتحول إلى نهر ضخم ، مليء بالوحل . وفي موسم الفيضان يتحول إلى سلسلة من المستنقعات .

٦ – النيل .. شمال الخرطوم : في هذه البقاع يمكن التمييز بين جزأين لنهر النيل هما :

(١) الجزء الأول من الخرطوم إلى **وادي حلفا** بطول تسعمائة وثلاثين ميلاً ، يخترق النهر بامتدادها مناطق صحراوية تشكل الصفة الغالبة على شاطئيه .

(٢) الجزء الممتد من وادي حلفا (حيث نقطة دخوله إلى دولة مصر) وحتى مدينة القاهرة ، حيث تبدأ **دلتا النيل** .. وهذا الجزء من وادي النيل محاط بالأراضي الزراعية على جانبيه .

أما في جنوب الخرطوم ، فيجري النيل مسافة خمسين ميلاً تجاه الشمال حتى يصل **سبابكا (أوسابلوكا)** .. وهو موقع الجندل السادس . وفي هذه المنطقة يخترق النهر التلال لمسافة تقدر بخمسة أميال . وباتجاهه شمالاً ، عند **بربر** ، يتخذ المجرى شكل حرف S حيث تقع في وسطه مدن **أبو حمد** ، **وكورتي** ، **والدَّبة** .. ثم ينعطف جنوباً لمسافة مائة وسبعين ميلاً . ومع انتهاء هذه الانعطافة ـ عند **مدينة دنقلة** ـ يبدأ اتجاهه إلى الشمال ، ماراً بالجندل الثاني الواقع جنوب وادي حلفا .

وعلى امتداد ألف ومائتي ميل (المسافة بين الجندل السادس ومدينة أسوان في مصر) يتفاوت مرقده بين الامتداد الرقيق الانحدار وعبور سلسلة من المنحدرات السريعة ، كما تعترضه كتل من الصخور البللورية التي تتكون منها الجنادل الخمسة الشهيرة التي تتسبب في إعاقة سير الملاحة برغم صلاحية الأجزاء الواقعة بين تلك الجنادل لملاحة القوارب الشراعية والسفن النهرية (الصنادل) . وحيث أن الأراضي الواقعة على جانبي النهر ، في تلك المنطقة ، غير صالحة للزراعة فإن مجرى النيل ـ الصحراوي في تلك البقاع ـ يؤدي خدمة طيبة تتمثل في حمل المياه إلى مدينة **القاهرة** . أما جزء النيل ـ الواقع فيما بعد أسوان وبامتداد الأراضي المصرية ـ فهو في مجمله صالح للملاحة .



★ الشادوف .. يستخدم لري الأراضي الزراعية .. عُرف في مصر منذ ٣٥٠٠ سنة ★

وبطول المسافة بين الحدود السودانية/المصرية ، وحتى مدينة القاهرة ، يصبح مجرى النيل ضيقاً نسبياً .. مسطح القاع .. متعرج الشاطئين .. تجري مياهه ـ بصفة عامة ـ على سطح مكون من صخور الحجر الجيري والحجر الرملي حيث يبلغ معدل إنحداره ١:١٤٠٠٠ بطول مسافة سبعمائة ميل .

ففي المائتين والخمسين ميلاً الأولى تتدفق مياه النهر فوق صخور الحجر الرملي في وادٍ ضيق لا يزيد عرضه عن الميلين ، ثم يضيق في بعض المناطق فلا يتجاوز عرضه مائتين وعشرين ياردة . وبعد أسوان يتجه النهر شمالاً لمسافة خمسمائة ميل ، في وادٍ يتراوح عرضه بين عشرة وأربعة عشر ميلاً ، وتحده في بعض الأماكن قمم جبلية يصل ارتفاعها إلى ألف وخمسمائة قدم فوق سطح النهر .

أما في المائتي ميل الأخيرة ، والتي تنتهي بوصول النيل إلى مدينة القاهرة ، فيبدو النيل أكثر تشبثاً وعناقاً بالضفة الشرقية منه ، وهي الضفة التي تقع عليها معظم الأراضي الزراعية على وادي النيل في مصر .

٧ ـ **دلتـا النيــل** : تقع شمال القاهرة .. وعندها تقع رأس السهل الطمي الذي تتكون منه أراضي مصر السفلى ، حيث يتفرع النيل إلى فرعين : **فرع دمياط** (إلى الشرق) **وفرع رشيد** (إلى الغرب) اللذين يحصران بينهما أراض منخفضة تتخذ شكلاً مثلثاً وهي دلتا النيل .

ففي القرن الأول للميلاد ، سجل الجغرافي الإغريقي « **سترابو** » نهر النيل ودلتاه التي كانت تتكون من سبعة فروع . ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن أمكن السيطرة على تدفق مياه النهر في تلك البقعة حتى أصبحت الدلتا تتكون الآن من فرعين فقط يوصلان مياه النيل إلى مصبه في البحر المتوسط وهما فرعا دمياط ورشيد .

ودلتا النيل (التي تعتبر النموذج الأصلي لجميع أنواع الدلتا) تتكون من خليج كان في عصور ما قبل التاريخ ، جزءاً من البحر المتوسط ، ثم امتلأ بالغرين الذي تحمله مياه النهر من مرتفعات إثيوبيا وتتراوح نسبة سمك الغرين بين ٥٠ و ٧٥ قدماً ، ومنه تتكون معظم أجزاء التربة الصالحة للزراعة في قارة أفريقيا .

والدلتا سهل مستوٍ ، يمتد حوالي مائة ميل من الشمال إلى الجنوب ، ويبلغ أقصى عرض له فيما بين مدينتي **الاسكندرية وبورسعيد** بطول مائة وخمسة وخمسين ميلاً . وتبلغ مساحة الدلتا ضعف مساحة وادي النيل في مصر العليا . أما انحدار أراضيها فبسيط التدرج في اتجاه البحر حيث ينحدر بمعدل إثنين وخمسين قدماً ابتداء من مدينة القاهرة وبمعدل ١:١٠٠٠٠ . وفي شمال الدلتا تقع مناطق البراري **والبحيرات المالحة** مثال بحيرات : **مريوط .. إدكو .. البرلس .. المنزلة** .

الجدير بالذكر أن دلتا النيل في مصر تعتبر أكبر دلتا في العالم ، كما أن بالعالم اثنين وثلاثين دلتا ، منها إحدى عشرة في الاتحاد السوفييتي ، وسبعاً في جنوب شرق آسيا ، وستاً في أمريكا اللاتينية ، وأربعاً في كل من أفريقيا وأمريكا الشمالية . ومن أشهر موانىء العالم الواقعة على الدلتا هناك الاسكندرية في مصر ، ونيواورليانز على نهر المسيسيبي في الولايات المتحدة الأمريكية .

هذا ، وقد ورد في « معجم البلدان » أنه كان للنيل سبعة خلجان هي :

★ جسر ٢٦ يوليو ، يعبر النيل في منطقة « الجزيرة » في القاهرة ★



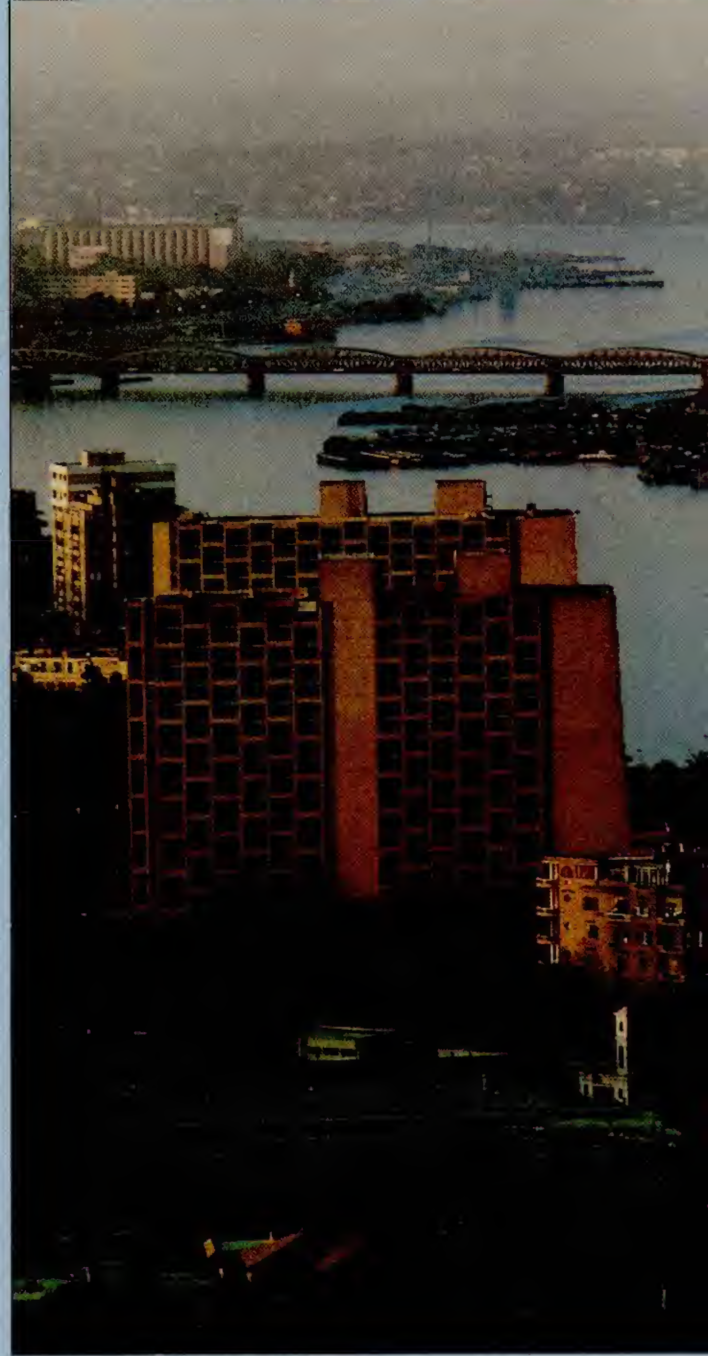
خليج الاسكندرية ، خليج دمياط ، خليج منف ، خليج المَنْهى ، خليج الفيوم ، خليج عرشي ، خليج شردوس .

وأما لفظ « دلتا » فيرجع إلى قول المؤرخ الإغريقي القديم هيرودوت ـ قبل ٢٥٠٠ عام ـ بأن الأراضي المحصورة بين فروع النيل والبحر المتوسط كانت على هيئة حرف (△) .. وهو حرف « دلتا » في الأبجدية الإغريقية . ومنذ ذلك الحين أصبح مصب « دلتا » يعبر عن تعدد الفروع عند مصب النهر في البحر أو المحيط أو البحيرة حتى لو لم يكن شكل الفروع على هيئة حرف (△) الاغريقي أو على هيئة ضلعي مثلث .

وفــاء النيــل

كانت الزراعة في مصر تعتمد على نظام ري الحياض . وكانت تلك الحياض تغمر بمياه النيل في موسم الفيضان . فإذا جاء الفيضان في أحد الأعوام منخفضاً كثيراً عن منسوبه المعتاد ، فإن المياه لا تصل إلى تلك الحياض لترويها ومن ثم تتعرض الأراضي الزراعية للجفاف والبوار .. ويتهدد الناس شبح المجاعة والهلاك .

ولقد عرفت مصر القديمة قبل الإسلام عادة تفشت بين أهلها حيث اعتادوا



أن يخرجوا إلى وسط النيل في أيام الصيف في احتفال شعبي يضم مئات السفن والقوارب ، وقد حملوا معهم فتاة بكراً من أجمل بنات البلاد ، وقد تزينت بأبهى الجواهر وارتدت أفخر الثياب .. ثم يلقون بها وسط مجراه .. عروساً تبتلعها مياهه ، فيظنون أنه قد تقبلها شاكراً فيجيء اليهم النيل في العام القادم فياضاً .. كريم العطاء .. وافر المياه .

يقول صاحب معجم البلدان :

« لما فتح المسلمون مصر ، جاء أهلها إلى **عمرو بن العاص** ، حين دخل بؤونة من شهور القبط فقالوا : أيها الأمير .. إن لبلدنا هذا سنَّة لا يجري النيل

★ أحد صائدي الأسماك في منطقة « السد » ★



إلا بها . وذلك أنه إذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر ، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا (شهور) بؤونة وأبيب ومسرى لا يجري النيل قليلاً ولا كثيراً .. حتى هموا بالجلاء . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى **عمر بن الخطاب** بذلك فكتب إليه عمر :

قد أصبت . إن الإسلام يهدم ما قبله . وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي هذا . وإذا في كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر . أما بعد . فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر . وإن كان الواحد القهار يُجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك . قال . فألقى عمرو بن العاص البطاقة في النيل ، وذلك قبل عيد الصليب بيوم . وكان أهل مصر قد تأهبوا للخروج منها والجلاء ، لأنهم لا تقوم مصلحتهم إلا بالنيل ، فأصبحوا يوم الصليب وقد جرى النيل بقدرة الله تعالى وزاد ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وانقطعت تلك السنَّة السيئة عن أهل مصر » .

النيل في الشعر العربي

وصفه **تميم بن المعز بن اسماعيل** فقال :

أما ترى الرعد بكى واشتكى ... والبرق قد أومض واستضحكا ؟
فاشرب على غيم كصبح الدُجى ... أضحك وجه الأرض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده ... كأنه صُندل أو مُسَّكا .

وقال أبو الحسن علي بن أبي بشر الكاتب :

شربنا مع غروب الشمس شمساً ... مشعشعة إلى وقت الطلوع
وضوء الشمس فوق النيل بادٍ ... كأطراف الأسنة في الدروع

أما **أحمد شوقي** فقد قال :

من أي عهدٍ في القرى تتدفق ... وبأي كف في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فُجرت من ... عليا الجنان جداولاً تترقرق
وبأي عين أم بأي مزنة ... أم أي طوفان تفيض وتفهق
وبأي نولٍ أنت ناسج بردة ... للضفتين جديدها لا يخلق
تسود ديباجاً إذا فارقتها ... فإذا حضرت اخضوضر الاستبرق

★ مرفأ على شاطئ النيل .. جوبا ★



الدول التي يمر نهر النيل بأراضيها (بالترتيب الأبجدي)

الدولة	العاصمة	المساحة	عدد السكان	أهم اللغات	العملات	المحاصيل
إثيوبيا	أديس أبابا	١٠٤٠٠٠٠ كم٢	٣١٠٦٥٣٠٠ (١٩٨٠)	الأمهرية - الانجليزية الايطالية	دولار إثيوبي	الحبوب ـ البن ـ العسل ـ الجلود ـ الذهب .
أوغندا	كمبالا	٢٦٤٣٥٠ كم٢	٦٥٣٨٠٠٠	لوغندا - الانجليزية لهجات محلية	شلن شرق أفريقي	القطن ـ البن ـ قصب السكر
بوروندي	لوجمبورا	٢٧٨٣٤ كم٢	٣٦٧٨٠٠٠ (١٩٧٤)	الكيروندي-السواحيلي الفرنسية	فرنك رواندا - بوروندي	القطن ـ البن ـ الذهب
تنزانيا	دار السلام	٣٦٣٧٠٨ ميل٢	١٠٣٠٠٠٠٠	الانجليزية-السواحيلي لغات محلية	شلن شرق أفريقي	السيسال ـ القطن ـ الجلود الذهب ـ الماس .
رواندا	كيجالي	١٠١٦٦ ميل٢	٣٠١٨٠٠٠	كينيا رواندا الفرنسية	فرنك رواندا - بوروندي	البن ـ الموز ـ القصدير ـ الذهب .
زائير	كينشاسا	٩٠٥٣٦٥ ميل٢	٢٦٣٧٧٠٠٠	الفرنسية		الغابات ـ الأسماك ـ التعدين
السودان	الخرطوم	٢٥١٥٥٠٠ كم٢	١٢١٠٩٠٠٠	العربية	جنيه سوداني	القطن ـ الصمغ العربي ـ الفول السوداني ـ السمسم.
مصر	القاهرة	١٠٠٢٠٠٠ كم٢	٤١٩٩٥٠٠٠ (١٩٨٠)	العربية	جنيه مصري	القطن ـ الأرز ـ المنسوجات الأسمنت ـ البترول .

المراجع

أ ـ المراجع العربية :

١ ـ معجم البلدان .. ياقوت الحموي

٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة

ب ـ المراجع الأجنبية :

1 — Encyclopedia Britannica

2 — Encyclopedia International

3 — The New Caxton Encyclopedia

✱ ✱

قصة للفداء

شعر: رمضان أبوغالية

رؤيا ! ورؤيا الأنبياء حق ، وإيحاء السماءْ
والأمر مقضي بها .. حتما ، وما فيه ... مراء ...
في ليلة صفت السماء ، وزان صفحتها الضياء
والبدر في محرابه الفضي بين الأصفياء ...
في ذلك الجو الطهور ، وما يشيع من الصفاء
نام (الخليل) ، وروحه في الله يقظانٌ ، مضاء
يرنو ... يطيل رنوه ، يصغي لقدسيّ النداء

وأتى النداء يقول : « إبراهيم » ، ياهذا الرسول ..
« اذبح وليدك » في الصباح ، ولا تسل : كيف السبيل ؟
وأتى الصباح .. فكيف عالج أمره الصعبَ الخليل ؟!
أخذ الوليد ، وقال : « إني قد رأيت » .. فما تقول ؟
ماذا أقول ؟! « افعل أبي ما قد أمرت » فلا بديل !
والأم (هاجر) كيف عايش قلبها النبأ الجليل ؟!
ووحيدها ، ورفيقها المأمول في غده قتيل !!
هي سلمت لله ـ مثل أبيه ـ بالصبر الجميل !!

ويحاول الشيطان ـ بالغبائه ! ـ أن يلعبا ...
بدءًا بإبراهيم ، يسأل : هل وليدك أذنبا ؟!
« أضغاث أحلام » رأيت ، فهل تفرط في الصبا ؟!
وَهِمَ اللئيم .. وكان ردَّ سؤاله .. أن يحصبا .. !
ويعود يلعب من جديد ... ضارعاً .. متقربا ...
« يأم إسماعيل » .. ، ذا « حلم » فكفى ذا الأبا !
فيعود يحصب من جديد ، وهو يبغي المهربا
وكذلك يرجمه الصبي لكي « يظل معذبا » !!

ويروح إسماعيل يرسم في جراءة صابر ..
لأبيه خطة ذبحه : أبتي ، إليك خواطري
« ارهف سلاحك » ، ثم « قيدني » ، و« كم نواظري »
و« الصق جبيني بالتراب » ، و« لاتصخ لمعاذر »
و« الهج بذكر الله » ، و« اذبح ذبح أسرع ماهر »
وأبوه يسمع ، يستجيب .. لأول ، ولآخر .. !!
وهنا تناديه السما : « صدقت كل أوامري »
أمسك ، وخذ هذا (الفدا) ، واجعله بعض مشاعري

أرأيت كيف فدى الإله رسوله الطفل الصغير ؟!
ليظل فيه ، وفي بنيه الخير .. للكون الفقير !!
ليقيم في كنف الأبوة ذلك البيت الطهور ..
للناس ـ كل الناس ـ أذّن فيهمو الشيخ الوقور
كي يشهدوا لهم المنافع ، يذكروا المولى القدير
في خير أيام الحياة ، وفي حمى شهر الشهور
ليقول (أحمد) ذات يوم ، وهْو للمولى شكور :
« أنا للذبيحين انتميت ، وسرت من نور لنور » !!

لوحة وفنان

اللوحة : قبل الصيد

• يصور الفنان مشهداً من المشاهد المألوفة في كل من المنطقتين الغربية « حيث يقيم الفنان » والشرقية في المملكة العربية السعودية ، نظراً لأن الأولى تطل على البحر الأحمر والثانية تطل على الخليج العربي ، وهو من المشاهد المألوفة بجميع دول الخليج العربية أيضاً ، والتي عبر عنها العديد من الفنانين في هذه الدول لأهمية هذا الموضوع فيها ، وهو موضوع الصيد ، حيث كان يشكل أحد مصادر الرزق الأساسية في هذه الدول .. أي أن الفنان طه صبان بتصويره هذا الموضوع فإنه يتفاعل مع بيئته ويستمد ويستلهم منها محور إبداعه في هذه اللوحة .

• اعتمد الفنان في تشكيله على القاعدة الهندسية للتعامد ، تعامد الأشكال والأجسام ذات الاتجاه الرأسي على الأرض ، فجميع أشخاصه ، وهي هنا الصيادين ، وأشكاله وهي هنا المراكب ذات الأشرعة البيضاء ذات اتجاه رأسي ومصوره في تشكيل يمتد أفقياً وهو هنا شاطئ البحر ، وجميع الخطوط الرأسية والأفقية تمثل قاعدة من قواعد الوجود وهي خاصية التعامد ، وبتلك الخاصية حقق الإتزان في اللوحة بين الأشكال المتعامدة الرأسية والأفقية .

• صور الفنان الصيادين وهم في حالة عمل ، وفي حالة الاستعداد للخروج لصيد السمك ، وقد أحال الصيادين والمراكب إلى أشكال مبسطة مختزلاً جميع التفاصيل ، فلا نرى ملامح الوجوه ، أو ما يقوم به كل شخص من عمل ، وإنما صوَّر صالة العمل بشكل عام ، صور الحركة ، وأحال الأشكال إلى وحدات لونية عضوية متشابكة ومتجانسة ومتفاعلة وممتزجة معاً مكونة كتلة عامة ذو اتجاهات رأسية وممتدة أفقياً من اليمين إلى اليسار .. كما أحال بعض ظلال المراكب إلى أشكال أساسية لها نفس الدرجات اللونية للمراكب ، ومتشابكة معها وتتجه إلى أسفل بخطوط حادة لتحقق الاتزان مع الخطوط الرأسية الناتجة عن أشرعة المراكب والمساحات اللونية الحادة بينها .. وتمتزج الأشرعة مع السماء وكذلك ظلال المراكب مع البحر محدثة الفراغ أو الخلفية في اللوحة .

• استخدم الفنان الألوان استخداماً تعبيرياً ، فلم يصور السماء والبحر باللون الأزرق أو الأخضر ، ولم يصور المراكب أو ملابس الصيادين بنفس الألوان الموجودة في الواقع ، وإنما استخدم ألواناً متنوعة ومتجانسة ، وذات شق دافئ للتعبير عن حرارة العمل ، وجاءت الألوان الخلفية أقل من حيث الشدة ، لتبرز الأمامية أي التشكيل الأساسي الممتد في فراغ اللوحة .. كما استخدم ضربات الفرشاة القوية الواضحة لتساهم في الإحساس بالحركة وهي أهم مقومات موضوع اللوحة .

★ ★ الفنان : طه صبان ★ ★

• من مواليد مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية .

• عضو جمعية الثقافة والفنون بجدة .

• شارك في العديد من المعارض والمسابقات التشكيلية منها :

★ معظم معارض مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بمدينة جدة .

★ بعض معارض الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض .

★ معرض الـ ٥١ ـ ٥٢ فناناً بصالة « ردك بلازا » بجدة .

★ بعض معارض الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة .

★ معرض بنك الرياض بانجلترا « لندن » عام ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م .

★ المعرض الجماعي بفندق البلاد .



★ معارض جماعية في كل من الكويت - العراق - تونس .

● أقام بعض المعارض الشخصية منها :

★ معرضاً شخصياً في مدينتي لندن وجلاسكو ببريطانيا .

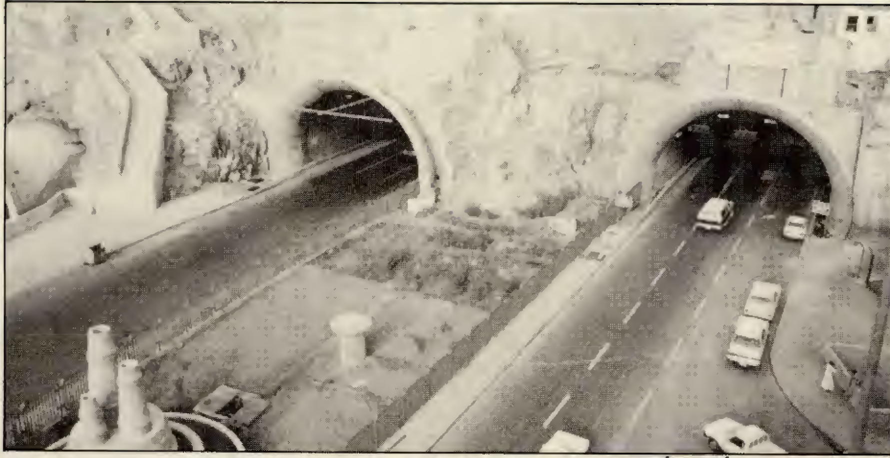
★ معرضاً ثلاثياً مع الفنانين عبد الله نواوي والراحل على الغامدي يرحمه الله في صالة « ردك بلازا » بجدة .

★ حصل على المركز الأول في المسابقة الزمنية التي أقامتها جمعية الثقافة والفنون بجدة عام ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م .

★ له مقتنيات في كل من الرئاسة العامة لرعاية الشباب - مطار الملك خالد الدولي بالرياض - مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة .

* * *

نقطة



★ أحد الأنفاق التي تربط مكة المكرمة بالمشاعر المقدسة ★

من أقوال العرب

★ مالٌ تجلبهُ الرياحُ ، تأخذه الزوابع .

★ « لكلّ عالمٍ هفوة » و« لكلّ صارمٍ نبوة » و« لكل جوادٍ كبوة » .

★ وقال الشاعر :

ما حكَّ جِلْدكَ مثْل ظِفـرِك ... فَتَـولَّ أنتَ جميـعَ أمـرِك

وأقوال الإنجليز

★ *Easy come, easy go.*

ما يُكسب بسهولة ، يُضيَّعُ بسهولة .

★ *Even Homer, sometimes nods.*

حتى هوميروس ، يُخطئُ أحياناً .

★ *Everybody's business is nobody's business.*

واجب الجميع ليس واجب أحد .

تاريخ .. وحدث

★ في أول مارس (آذار) ١٩١٢م ، **قفز الأمريكي « ألبرت بيري »** لأول مرة ، بالمظلة من الطائرة .

★ في شهر ديسمبر (كانون الثاني) ١٩٤٢م ، **قفز الملازم الروسي « تشيسوف »** من طائرة « **اليوشن** » تحلق على ارتفاع (٦٧٠٥) أمتار ، قفزة حرة بدون مظلة ، فسقط على حافة مجرى مائي متجمد وأصيب ببعض الكسور والرضوض .

★ في ٢٣ مارس (آذار) ١٩٤٤م ، **قفز الطيار الألماني « نيكولا ستيفن »** دون مظلة من طائرة على ارتفاع (٥٤٩٠) متراً .. لكنه ارتطم ـ قبل وصوله الأرض ـ بشجرة صنوبر ثم بطبقة رقيقة من الثلج ، لكنه لم يمت .

★ في ١٩ أغسطس (آب) ١٩٧٢م ، قفز ٢٦ مظلياً **في ولاية** أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية قفزة جماعية حرة (دون مظلات) على هيئة دائرة متماسكة الأيدي .. وتعتبر هذه أكبر عملية قفز جماعية قام بها المظليون حتى اليوم .

طرائف



حُكي عن بعض الشعراء أنه دخل على أحد الخلفاء فوجده جالساً وإلى جانبه جارية سوداء تُدعى « خالصة » .. وعليها من الحُلي وأنواع الجواهر واللآلئ ما لا يُوصَف . فصار الشاعر يمتدحه وهو يسهو عن استماعه . فلما خرج كتب على الباب :

لقد ضاع شعـري علـى بابكـم ... كما ضاع دُرٌّ على « خـالصةْ »

فقرأه بعض حاشية الخليفة وأخبره به .

فغضب لذلك ، وأمره بإحضار الشاعر . فلما وصل الباب ، مَسَحَ العينين اللتين في لفظة « ضاع » ، وأحضر بين يديه ، فقال له : ما كتبت على الباب ؟ قال : كتبتُ

لقد ضاء شعـري علـى بابكـم ... كمـا ضاء دُرٌّ علـى خـالصةْ

فأعجبه ذلك ، وأنعم عليه ، وخرج الشاعر وهو يقول : لله دَرُّكَ من شعرٍ قُلِعَتْ عيناهُ فأبصر .

* *

نظر تيمورلنك إلى وجهه في المرآة بعد أن تنعم وتعودّ على معيشة القصور ، فانقبض لمنظره القبيح ، ولمح وزيره انقباضه ، فأخذ يواسيه بما يسرّي عنه وقال له :

« مثلك أيها الخاقان الأعظم لا يأسى على جمال الوجوه وقد أعطاك الله بسطة في الجسم ، وبسطة في القوة ، وبسطة في الثروة والسلطان . وإنما يأسى على جمال الوجوه النساء وأشباه النساء من الرجـال » .. فانبسطت أسارير تيمورلنك ، وابتسم راضياً ، لما قاله الوزير . لكنه التفت إلى جحا فرآه يبكي ويستخرط في البكاء .. قال له : « ما خطـبك ياجحا ؟ .. أنا صاحب المصيبـة تسليت ، وأنت تأبى أن تتسلى ؟ »

قال جحا : « معذرة يامولاي .. إن مصيبتي أكبر من مصيبتك أضعافاً مضاعفة . أنت نظرت إلى وجهك مرة فانقبضت . فماذا أصنع أنا الذي أنظر إليك بالليل والنهار مرات ؟ » .



مؤثرات لمجلة الفيصل


★ محمد عبد الله الوابل ★

« إن المدير الذي يجعل من نفسه شخصية لا يمكن الاستغناء عنها يخلق ، على المدى البعيد من إدارته كابوساً بيروقراطياً مزعجاً يجعلها غير فعالة وغير قادرة على الاستجابة حتى لطلبات هذا المدير . ذلك أنه عندما يستبدل بمدير غيره أو عندما يصل العمل في إدارته إلى حد من التوسع يجعل من الصعب على شخص واحد أن يحيط علماً بكل شيء ، فإنه يضطر إلى الاعتماد على عدد قليل من الموظفين الأذكياء الذين هضموا الإجراءات المعقدة وغير المكتوبة وأصبحوا ، بحسن نية ، يشكلون مراكز نفوذ في الإدارة . وهكذا يصل الوضع بالمدير إلى فقدان كل المقاييس الموضوعية لتقدير حجم العمل ، وتقييم الأداء في إدارته ، وتتحول مهمته إلى استعجال الموظفين وشحذ هممهم وحتى التوسل إليهم إلى درجة أن اهتمامه بناحية معينة يعطل العمل في النواحي الأخرى . »

محمد عبد الله الوابل

العدد العاشر ـ ربيع الثاني ١٣٩٨هـ

مارس ـ أبريل ١٩٧٨م

لغة الأرقام



★ تتناسب ضربات قلب الحيوان تناسباً عكسياً مع جسمه ، فإذا كان جسم الحيوان صغيراً ازداد عدد ضربات قلبه ، والعكس كلما صغر جسمه . وفيما يلي بيان بعدد ضربات قلوب بعض الحيوانات في الدقيقة الواحدة :

الفأر (من ٢٥٠ إلى ٣٠٠) ـ **الأرنب** (١٥٠) ـ **الكلب** (١٠٠) **الأغنام** (٧٠) ـ **الحصان** (٥٠) ـ **الفيل** (٢٥) .

★ أما في الوثب إلى أعلى ، فالنسبة بين وزن جسم الحيوان وقدرته على الوثب تكون عكسية بطبيعة الحال . ومن ذلك ما يلي :

يستطيع **الحصان** الوثب إلى (٢,٤٧) متراً **والكلب** إلى (٢,٧٤) متراً ، **والدلفين** إلى (٧) أمتار ، **والكانجرو** إلى (١٢,٨) متراً **والقرد** إلى (٨) أمتار ، كما يستطيع بعض الظباء القفز إلى (١٢) متراً .

*

صورة .. وتعليق



★ سفير المملكة في ألمانيا الاتحادية الأستاذ عباس فائق غزاوي (إلى اليمين) وبجانبه السيد يورجن مولمان ، وزير التربية والعلوم الاتحادية ورئيس الجمعية العربية الألمانية .. في افتتاح المعرض ★

أقيم في مدينة بون الألمانية ، مؤخراً ، « معرض الفن التشكيلي للفنانات السعوديات ، والذي نظمته الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمملكة العربية السعودية بالتعاون مع الجمعية العربية الألمانية .

ضم المعرض ، الذي أقيم بمقر الجمعية (٦٥) لوحة رسمتها ٢٢ فنانة من بينهن (١٨) فنانة من السعودية وفنانتان ألمانيتان وواحدة من كل من الباكستان وكندا . وفيما يلي أسماء الرسامات السعوديات المشاركات برسومهن في المعرض :

اعتدال عطيوي ـ بدرية الناصر ـ خديجة توفيق مقدم ـ دينا رشدي العظمة ـ ريم شيخ الأرض ـ سلمى الكثيري ـ غادة هنيدي التميمي ـ فوزية عبد اللطيف ـ فاطمة بايزيد ـ فاطمة سعود عمران ـ فتحية جاها ـ مها مشرف ـ منى القصيبي ـ نوال مصطفى مصلي ـ نادية خوجة ـ هالة فرعون ـ هالة المالكي ـ هند نصير .

في الصورة ـ إلى اليمين ـ سفير المملكة في ألمانيا الاتحادية الأستاذ عباس فائق غزاوي وبجانبه السيد/ يورجن مولمان ، وزير التربية والعلوم الاتحادية ورئيس الجمعية العربية الألمانية .. في حفل افتتاح المعرض .

الجديد .. في العلم

الالتهاب الكبدي الوبائي .. لقاح جديد

في عام ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ) عقدت في **لندن** ـ ندوة دولية لبحث سبل التحصين ضد **التهاب الكبد الفيروسي وأمراض الكبد** .

وفي تلك الندوة ، ألح المشاركون على ضرورة قيام الأطباء في كافة أرجاء العالم بالدعوة إلى التحصين باللقاحات « المركبة » الجديدة المضادة لالتهاب الكبد الوبائي (ب) ، والتي تم تحضيرها في المختبر دون الاعتماد على دم أفراد المصابين بالمرض ، نظراً لما تمثله تلك الطريقة من تهديد بأن يكون دم المصاب حاملاً لميكروب **مرض الإيدز** .

اختبرت تلك اللقاحات الجديدة على أكثر من (١٣٠٠٠) شخص في نيف وثلاثين دولة ، فحققت نجاحاً بلغت نسبته ١٠٠٪ .

كان من شأن الاستجابة لنداء الندوة ، التوسع في تحصين الأفراد الذين تنطوي أعمالهم على مباشرة المسؤوليات الاجتماعية ، كالأطباء ، والممرضات ، والعاملين في المستشفيات والمختبرات ، ورجال الشرطة ، وسائقي سيارات الإسعاف ، وضباط السجون ، والعاملين في المصحات العقلية ، والباحثين الاجتماعيين .. ومن ثم اعتبر عام ١٩٨٧م « **سنة التحصين ضد الأوبئة** » (إف . إس/١٤/١) .

* *

نقص الطاقة البروتينية عند الأطفال

مرض الكواشيوركور.. أو وجه القمر


★ حالة الكواشيوركور ★

بقلم: د. جمال محمود دغيدي

كلمة كواشيوركور كلمة في لغة غانا تعني : المرض الذي يصيب الطفل الأول عندما يكون المولود الثاني على وشك القدوم .

ويعد هذا المرض من الحالات الخطيرة التي تصيب الطفل خاصة أثناء الفصال أو بعده ، حيث إن تغذية الطفل في هذه المرحلة من العمر تكون عادة غير كاملة وبخاصة من ناحية المواد البروتينية ، فهذا المرض ما هو إلاّ درجة خطيرة من درجات نقص الطاقة البروتينية نتيجة سوء التغذية .

صورة الإكلينيكية

يمكننا على سبيل التبسيط تقسيم أعراض هذا المرض إلى ثلاث مجموعات هي :

أولا : الأعراض الموجودة بصورة ثابتة في كل المرضى وهي :

١ ـ **التورم** : Edema : ويبدأ في الأقدام ثم يزداد فيشمل الجسم كله فيبدو الطفل منتفخ الوجنتين ، شاحب الوجه ، ويطلق على وجه المصاب بهذا المرض (**وجه القمر**) : Moon face

ومن أسباب التورم في حالة الكواشيوركور نقص بروتين الدم Hypo-proteinemia وزيادة إفراز الهرمون المضاد للإدرار البولي Antidiuretic hormone ومن أسباب التورم في هذه الحالة أيضا زيادة نسبة الألدستيرون aldosterone

٢ ـ **تأخر النمو** Growth retardation : في هذه الحالة يحدث تأخر في نمو الطفل من حيث الوزن والطول فيكون وزن الطفل (٦٠ ـ ٨٠٪ من الوزن الطبيعي عند نفس العمر) كما يكون طول الطفل وقطر رأسه أقل من الطول الطبيعي عند نفس العمر كما يحدث أيضا تأخر في نمو العظام .

٣ ـ **التغيرات النفسية** Psychic changes : يكون المصاب بحالة الكواشيوركور في حالة خمول فلا يعطي إهتماما لما حوله كما يكون قليل الحركة ، حزيناً ، لا يبتسم ، ضعيف البكاء .

٤ ـ **الفقدان العضلي** Muscle wasting : يحدث الفقدان العضلي في كافة عضلات الجسم التي تبدو رخوة بصورة غير طبيعية فيكون الطفل غير قادر على السير أو الوقوف .

ثانيا : الأعراض التي غالبا ما تكون موجودة :

١ ـ **أمراض الجلد** Dermatosis : يظهر الطفح الجلدي على الأرداف والعجان perineum ومنطقة الأرب inguinal region كما يظهر على السطح الخلفي للفخذ والإبط ، ويكون على صورة زيادة أو قلة في الاصطباغ pigmentation مع التقرحات ، أما جلد البطن فقد تظهر عليه بقع حمراء وأجزاء شبه محروقة .

ويرجع سبب ظهور الأعراض الجلدية إلى نقص الأحماض الأمينية الأساسية ونقص فيتامين (أ) ونقص النياسين Niacin بالإضافة إلى اضطراب الغدد فوق الكلوية .

٢ ـ **تغيرات تحدث في الشعر** Hair changes : من هذه التغيرات قلة اصطباغ الشعر حيث يفقد الشعر لونه الأسود ليصبح أحمر أو رمادياً ، وتكون الشعرة الواحدة متعددة الألوان ، ويعزى ذلك إلى نقص حمض البانتوثينيك Pantothenic acid ونقص الأحماض الأمينية المحتوية على الكبريت ، وقد يكون أيضا نتيجةً لحدوث خلل في تكوين الميلانين Melanin ومن التغيرات التي تحدث في الشعر أيضا ضموره وسهولة نزعه .

٣ ـ **أعراض الجهاز الهضمي** : يعاني المصاب بهذا المرض من فقدان الشهية والقيء كما يعاني من الإسهال المزمن ، ويرجع سبب حدوث الإسهال إلى الإصابات المرضية الأخرى ووجود الطفيليات في أمعاء الطفل وأيضا يرجع إلى نقص إنزيمات الأمعاء والبنكرياس مثل إنزيم الأميليز amylase والليبيز Lipase والتربسين Trypsin ويعزى نقص هذه الإنزيمات إلى نقص البروتين في جسم المصاب .

إضافة إلى ذلك فإن سوء هضم البروتينات والدهون والنشويات والأملاح نتيجة حدوث ضمور بخملات الأمعاء يؤدي إلى حدوث الإسهال .

ثالثا : الأعراض الأخرى التي قد تكون مصاحبة للمرض :

١ ـ **تضخم الكبد** : Hepatomegally

٢ ـ **فقر الدم** : Anaemia : وفقر الدم في حالة الكواشيوركور يكون متعدد الأسباب مثل :

أ ـ نقص البروتين والحديد والزنك والنحاس وحمض الفوليك Folic acid ونقص الفيتامينات مثل فيتامين أ ، ب١ ، ب٢ ، جـ

ب ـ عدم نضوج نخاع العظام Bone marrow

جـ ـ وجود الطفيليات بالأمعاء

٣ ـ **أعراض نقص الفيتامينات مثل :**

ـ **نقص فيتامين** (ب٢) Riboflavine **يؤدي** إلى حدوث تسلخات على جانبي الفم والأنف والأذن وفتحة الشرج .

ـ نقص فيتامين (ب٧) Niacin يسبب ضمور اللسان كما يلونه باللون البنفسجي

ـ نقص فيتامين (أ) يسبب جفاف وعتامة قرنية العين كما يسبب إلتهاب باطن العين وأخيرا قد يسبب العمى .

ـ نقص فيتامين (ب١) Thiamin يسبب إلتهاب الأعصاب الطرفية .

ـ نقص فيتامين (د) يؤدي إلى الكساح .

ـ نقص فيتامين (جـ) ، (ك) يؤدي إلى الرعاف (حالة النزف المرضية)

ـ نقص الحديد والزنك والكوبلت يؤدي إلى حدوث فقر الدم .

ـ نقص النحاس يحدث تغيرات بالشعر ولون الجلد أما نقص الماغنيسيوم فيؤثر على القلب .

الفحوص المعملية

الفحوص المعملية للكشف عن الكواشيوركور :

١ ـ **الكشف عن البروتينات :**

● نقص بروتينات البلازما .

● نقص الألبومين في مصل الدم . Hypoalbominaemia

● نقص الأحماض الأمينية في مصل الدم .

● نقص الإنزيمات مثل إنزيم الأميليز والإستيريز Esterase والألكالين فوسفاتيز Alkaline phosphatase

● نقص يوريا الدم .

● نقص نسبة نيتروجين اليوريا / نيتروجين الكرياتينين عن الطبيعي وهو (٨)

٢ ـ **الكشف عن النشويات :** نقص سكر الدم Hypoglycaemia

٣ ـ **الكشف عن الدهنيات :**

● نقص تراي جليسريدات المصل Serum - Triglycerides

● نقص كوليستيرول الدم Hypocholes-terolaemia

● نقص البروتينات الليبيدية بيتا في الدم Beta Lipoprptein

٤ ـ **الكشف عن الماء والأملاح :**

ـ زيادة نسبة الماء في جسم المريض إلا أن هذه الزيادة تكون خارج الخلايا Extracellular

ـ زيادة نسبة الصوديوم عن النسبة الطبيعية في الدم .

ـ نقص البوتاسيوم والماغنيسيوم والحديد عن النسبة الطبيعية في الدم .

مضاعفات المرض

١ ـ الإسهال المزمن

٢ ـ الإصابات المرضية الأخرى وحالة العفن الدموي Septicaemia

٣ ـ نقص سكر الدم بصورة خطرة

٤ ـ إنخفاض درجة حرارة الجسم Hypothermia

٥ ـ فشل القلب

المعالجة

١ ـ حجز الطفل بالمستشفى لإجراء الفحوص المعملية اللازمة

٢ ـ الإسعافات : لمعالجة الجفاف والإضطرابات الالكتروليتية Electrolite Disturbances يعطى الطفل **محلول معالجة الجفاف** (ORS) الذي يحتوي على كلوريد الصوديوم وبيكربونات الصوديوم وكلوريد البوتاسيوم والجلوكوز بنسبة ٣,٥ جم : ٢,٥ جم : ١,٥ جم : ٢٠ جرام ويعطى الطفل هذا المحلول في الحالات المرضية المتوسطة بنسبة (٥٠ ـ ١٠٠ ملليلتر/كجم من وزن الطفل/٦ ساعات)

وفي الحالات الخطرة يحقن الطفل بمحول **لاكتات رنجر** Ringer's Lactate في الوريد بنسبة (٧٠ ملليلتر/كجم من وزن الطفل/٣ ساعات) كما تستخدم المضادات الحيوية في حالة حدوث الإصابات المرضية وعادة ما **يستخدم البروكايين بنزيل بنسلين مع الأمبيسيلين أو الكلورامفينيكول لمدة لا تتعدى عشرة أيام .**

إضافة إلى ذلك يحفظ الطفل في حجرة درجة حرارتها ٣٠° ـ ٣٣° مئوية ويغطي جيدا للتغلب على انخفاض درجة حرارة جسمه ، أيضا توضع في اللبن أو الماء الذي يتعاطاه كمية من الجلوكوز للتغلب على نقص سكر الدم أو يحقن بـ (١٠ ملليلتر ٥٠٪ ديكستروز/كجم من وزنه)

الغـذاء

يعطى الطفل اللبن بنسبة (١٥٠ سم/كجم من وزنه/يوم) ويعطى أيضا أطعمة أخرى مثل الجبن واللحم والسمك والبيض نظرا لاحتواء هذه المواد على قيمة بيولوجية عالية ، ويعطى أيضا الفيتامينات (أ) ، (ب) ، (ج) كما يعطى أيضا الحديد .

ومما يستدعي الذكر أن هذا المرض أكثر شيوعا بين الأطفال الذين يعتمدون على الأغذية الصناعية حيث يكثر استخدام المواد النشوية في تغذيتهم في حين يقل استخدام المواد البروتينية التي يجب أن يتغذى عليها الأطفال لبناء أنسجة الجسم المختلفة .

المراجـع

1 – Primary Child Care
– Maurice King: M.D. (Cantab); F.R.C.P. (lond)
– Felicty King: B.M. (Oxon), M.R.C.P. (lond)
– Soebagio Martodipoero: M.D. (Airlangga)
2 – Manual on Feeding infants and youn children
– Margaret Cameron and Yngve Hofvander.
3 – Protein energy malnutrition:
– Dr. SOLIMAN ISMAIL SOLIMAN.
A. proffessor of padiatric
– Dr. AHMED ABDEL SALAM MADKOUP.
A. Proffessor of padiatric
– Dr. EKRAM M. HELMY MADINA
lecturer in padiatric
Alex. university.

قضايا فقهية * طبية * معاصرة

موقف الفقهاء المحدثين من التشريح

بقلم : د . محمد علي البار

لقد قام كثير من الفقهاء المحدثين بدراسة موضوع تشريح الجثث للأغراض الطبية ولتعليم الطلبة فن التشريح الذي يقوم عليه علم الجراحة خاصة وعلوم الطب عامة .. كما أن التشريح مهم لعلم الأمراض وتأثيراتها على الجسم Pathology ولا يمكن دراسة هذا العلم مطلقاً دون تشريح جثث المرضى والمصابين .. وكذلك فإن الطب الشرعي يحتاج إلى علم التشريح وذلك لمعرفة سبب الوفاة في الحالات المجهولة السبب .

وقد صدرت فتوى من **دار الإفتاء المصرية** بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٥٦ هـ (٣١ أكتوبر ١٩٣٧ م) برقم ٦٣٩[١] . وقد أجازت هذه الفتوى تشريح جثة الميت إذا كان فيه مصلحة وذلك لأن قواعد الدين الإسلامي مبنية على المصالح الراجحة . وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة يكون تنويتها أشد من الضرر .. وقد تمثلت المصلحة في هذه الفتوى في حالتين :

★ **الأولى** : في حالة تشريح جثة القتيل سواء لإثبات التهمة على القاتل أو لإثبات براءته .

★ **الثانية** : في حالة تشريح جثة المتوفى بالسم لمعرفة سبب الوفاة ونوع السم .

أما في حالة تشريح الجثة لتعليم طلبة الطب مثلا أو للبحث العلمي العام فإن المصلحة تكون أعم وأفيد .

ويقول **الدكتور محمد عبد الجواد محمد**[٢] : « هذا ويلاحظ أنه في حالة تبرع شخص بجسمه للتشريح بعد موته يكون الموقف واضحاً بالنسبة لجواز هذا التبرع .. ولكن العمل يجري الآن في بعض البلاد (الإسلامية) على إباحة تشريح جثث الموتى الذين لا يعرف لهم أهل . وقد أجازت الفتوى رقم ١٠٦٩ من دار الإفتاء المصرية سلخ جلد الميت لعلاج حروق الأحياء . وألا يتعدى الأموات الذين ليس لهم أهل . أما الأموات الذين لهم أهل فإن أمر أخذ الطبقات السطحية من جلدهم يكون بيدهم وأذنهم وحدهم . فإذا أذنوا جاز ذلك وإلا فلا يجوز دون أذنهم »[٣] .

وأجازت الفتوى رقم ١٠٨٧ (**من الشيخ حسن مأمون**) نقل عيون الموتى إلى الأحياء لما في ذلك من المصلحة التي ترجح على مصلحة المحافظة على الميت[٤] .

وإباحة تشريح الجثث لهذه الأغراض الشريفة ليس فيها مثلة .. وينبغي أن يتم هذا التشريح مع احترام الجثة .. وعدم عمل ما فيه إهانة أو تحقير أو عدم توقير . وينبغي أن تدفن الجثة أو ما بقي منها أو أي عضو من الأعضاء .

وقد روى **جابر رضي الله عنه** أنهم خرجوا في جنازة مع **رسول الله ﷺ** فأخرج الحفَّار عظما ساقا أو عضدا فذهب ليكسرها .. فقال له النبي : « لا تكسرها فإن كسرك إياه ميتاً ككسرك إياه حياً ولكن دسه في القبر » .

وواضح في الحديث أن كسر العظم من الحفار لم يكن له أي داع وليس يخدم غرضاً شريفاً لتعليم أو لمعرفة جناية أو اكتشاف جريمة .. أو معرفة سبب وفاة أو نوع مرض .. لهذا لم يبح **رسول الله ﷺ** للحفار أن يكسر العظم بل أمره بدفنه وأن يدسه في جانب القبر .

وقد أباح الفقهاء شق بطن الحامل الميت لإخراج جنينها إذا ترجح حياة الولد في بطنها . قال **ابن عابدين** في حاشيته « رد المحتار على الدر المختار »[٥] ما يلي :

« حامل ماتت وولدها حي يضطرب يشق بطنها من الأيسر ويخرج ولدها .. ولو مات الولد في بطنها وهي حية وخيف على الأم قطع (الولد) وأخرج .. بخلاف ما لو كان حياً » . أي إذا كان حياً فلا يجوز تقطيعه .. لأنه حي ولا يجوز قتل آدمي حي حتى لو كان في ذلك انقاذ لآدمي آخر ، ومع هذا فإن تقطيعه وقتله لا يقتضي إنقاذ حياة الأم . فكيف يقتل آدمي حي من أجل مصلحة موهومة غير متيقنة .

وقال بعض الفقهاء أيضا بشق بطن الآدمي لو بلع مال غيره ولا مال له ثم مات . وقال **ابن نجيم** في « الأشباه والنظائر »[٦] إنه لا يجوز شق بطن الآدمي من أجل مال غيره لأن حرمة الآدمي أعظم من حرمة المال .

وقال الإمام النووي في المجموع[٧] إنه « إذا ماتت امرأة وفي جوفها جنين حي يشق جوفها لأن استبقاءه بإتلاف جزء من الميت فأشبه ما إذا كان اضطر أكل جزء من الميت » . ويشترط لذلك أن ترجى حياة الولد بأن يكون له ستة أشهر فأكثر . أما دون ستة أشهر فلا يعيش بها الولد ويكون من العبث شق بطن الأم لذلك .

وبالنسبة لموضوع بلع مال الغير قال **الإمام النووي في المجموع**[٨] إنه « إذا بلع الميت جوهرة لغيره وطالب بها صاحبها يشق جوفه وترد الجوهرة » .

وجاء في كتاب « مغني المحتاج » **للخطيب الشربيني** وهو « شرح منهاج الطالبين » للنووي[٩] أنه لو دفنت امرأة وفي بطنها جنين حي ترجى حياته بأن يكون له ستة أشهر فأكثر نبش قبرها وشق جوفها وأخرج تداركاً للواجب لأنه يجب شق جوفها قبل الدفن . وإن لم ترج حياته لم تنبش وجاء فيه أيضاً أنه لو بلع مالاً لغيره وطالبه صاحبه ولم يضمن مثله أو قيمته أحد من الورثة أو غيرهم نبش وشق جوفه وأخرج منه المال (جوهرة مثلا) ورد لصاحبه[١٠] .

وإذا كانت الجوهرة للميت ففيه وجهان أحدهما يشق بطن الميت لأن المال صار للورثة فهي كجوهرة الأخير والثاني لا يجب لأنه استهلكها في حياته فلم يتعلق بها حق للورثة .

وفي **المذهب الحنبلي** جاء في « تصحيح الفروع »[١١] أنه إذا ماتت امرأة حامل شق جوفها . وجاء في « المغني » **لابن قدامة**[١٢] « يحتمل أن يشق بطن الأم (الميتة) إن غلب على الظن أن الجنين يحيا » ، وكذلك جاء في المغني أن بطن الميت يشق لإخراج مال الغير إذا بلعه الشخص قبل موته ولم يكن أحد من الورثة قد التزم بدفع قيمته أو مثله .

وذكر **ابن حزم في** « المحلى »[١٣] أن لو ماتت امرأة حامل والجنين قد جاوز ستة أشهر وكان يتحرك فإن بطنها تشق ويخرج منها الطفل كما أجاز ابن حزم شق بطن الميت لاستخراج جوهرة ابتلعها لأنه لا ضرر في ذلك على الميت .. ويلحق الضرر بصاحب الجوهرة قال : « ومن بلع درهماً أو ديناراً أو لؤلؤة شق بطنه لصحة نهي رسول الله ﷺ عن إضاعة المال ، ولا يجوز

أن يجبر صاحب المال على أخذ غير ماله مادام عين ماله ممكناً لأن كل ذي حق أولى بحقه .

وقد قال **رسول الله** ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » فلو بلعه وهو حي حبس حتى يرميه فإن رماه ناقصاً ضمن الناقص ، فإن لم يرمه ضمن ما بلع .. ولا يجوز شق بطن الحي لأن فيه قتله ولا ضرر في ذلك على الميت (ولو عاش ابن حزم في عصرنا لأباح شق بطن الحي لأن ذلك ممكن بوسائل الطب الحديثة دون أن يكون في ذلك هلاكه) .. ولا يحل شق بطن الميت بلا معنى لأنه تعدى وقد قال تعالى : ﴿ **ولا تعتدوا** ﴾ .

« فإن قيل قد صح عن **رسول الله** ﷺ كسر عظم الميت ككسره حيا » قلنا نعم ولم نكسر له عظماً والقياس باطل ومن المحال أن يريد **رسول الله** ﷺ النهي عن غير كسر العظم فلا يذكر ذلك ويذكر كسر العظم[١٤] .

وقال « ولو ماتت امرأة حامل والولد حي يتحرك قد تجاوز ستة أشهر فإنه يشق بطنها طولاً ويخرج الولد لقول الله تعالى ﴿ **ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** ﴾ ومن تركه عمداً حتى يموت فهو قاتل نفس .. ولا معنى لقول أحمد رحمه الله : تدخل القابلة يدها فتخرجه لوجهين : أحدهما أنه محال لا يمكن ولو فعل ذلك لمات الجنين بيقين قبل أن يخرج ولولا دفع الطبيعة المخلوقة المقدرة له وجره ليخرج لهلك بلا شك . والثاني : أن مس فرجها لغير ضرورة حرام » .

نخلص من هذا كله أن أغلب الفقهاء قد أباحوا شق بطن الميت لأمرين :

(١) إخراج جنين حي له ستة أشهر فما فوق من بطن أمه الميتة .

(٢) إخراج مال ذهباً أو فضة أو لآلى أو جواهر ابتلعها الشخص قبل موته .. وخاصة إذا كان هذا المال لشخص يطالب بحقه .. وليس من الورثة أحد يلتزم بدفع قيمة المال أو مثله .

وذلك بناء على الآتي :

(١) إن مصلحة إنقاذ الحي أعظم من مفسدة هتك حرمة الميت .

(٢) إن مصلحة عدم إضاعة المال .. والحفاظ على الحقوق المالية للآخرين أعظم من مفسدة هتك حرمة الميت .

لهذا كله فإن القواعد الشرعية التي تقول إن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف تسمح بإجراء فتح بطن الحامل الميتة لإخراج جنينها الحي .

وكذلك فإن القاعدة التي تقول إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما ومثالها ضياع مال أحد من المسلمين فهي مفسدة أعظم من مفسدة هتك حرمة ميت .

لهذا بنى الفقهاء المحدثون إباحتهم للتشريح على أساس أن التشريح فيه مصالح متعددة ويدفع في نفس الوقت مفاسد متعددة .. وتتلخص هذه المصالح في الآتي :

(١) **تعليم الطب والجراحة** .. وبدون التشريح قد يقدم الطبيب وخاصة الجراح على عمل فيه تهلكة للمريض كما ذكرنا المثال الذي استدل به الزهراوي على وجوب التشريح حيث قام الجراح الجاهل بالتشريح بإزالة ورم من عنق امرأة فأصاب شرايينها فماتت .

(٢) **لا تتم معرفة الأمراض والعلل إلا بتشريح جثث المرضى** .. ولولا التشريح لما تقدم الطب ولما أمكن إنقاذ الآف أو مئات الآلاف من المرضى .

(٣) **في الطب الشرعي يكون تقرير الطبيب الشرعي المبني على تشريح الجثة أحد الأدلة الهامة والأساسية في إدانة شخص بجريمة قتل أو تبرئته منها .**

وليس في التشريح امتهان للجثة وتمثيل بها لأن غرض التمثيل إنما يتم بغرض التشفي والحقد كما فعلت **هند بنت عتبة** امرأة أبي سفيان **بحمزة رضي الله عنه** في **معركة أحد** حيث بقرت بطنه ولاكت كبده ثم لفظتها .. واتخذت من أعضائه أقراطاً لها وهي صورة موغلة في الوحشية والهمجية .

ولا يقاس التشريح على ذلك أبداً .. فليس في التشريح مبدأ الانتقام والتشفي بل إن الدافع للتشريح هو الرأفة بالناس والحدب عليهم ومعرفة أمراضهم وكيفية مداواتها والدافع الآخر (في الطب الشرعي) هو إحقاق الحق وإقامة العدل ونفي الجور والحيف الذي يقع على بريء .

فلا وجه للمقارنة بين التشريح والمثلة . وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

وقد أورد **الدكتور أحمد شرف الدين** في كتابه القيم « **الأحكام الشرعية للأعمال الطبية** »[١٥] القواعد الشرعية التي تبيح التشريح فقسمها إلى قسمين :

★ **الأول** : قواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد وهي تتلخص في أن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف ، وأنه إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما بارتكاب أخفهما .. وقواعد الشرع مبنية على رعاية المصالح الراجحة وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة يترتب على تفويتها ضرراً أشد .

وإذا جاز شق بطن الجثة حفاظاً على الجنين وهو فرد واحد فإنه يجوز بالأولى إذا تحققت به مصلحة عامة الناس . ونظراً إلى أن التشريح من الحاجات التي تتعلق به المصلحة العامة للناس ففيه إحياء نفوسهم وعلاج أمراضهم وتحديد الأسباب في الحوادث لإقامة العدل فإن رعاية هذه المصالح تقتضي القول بشرعية التشريح ..

وإذا كان التشريح من الحاجات العامة وكانت الحاجة عامة أو خاصة تنزل منزلة الضرورة وكانت الضرورات تبيح المحظورات فينبغي اعتبار التشريح من الأمور المباحة .

★ **الثاني** : ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب .. وإذا كان الشارع الحكيم قد أوجب على الأمة تعلم فريق منها الطب (فرض كفاية) وكان ذلك لا يتم إلا بالتشريح فإنه يكون بذلك قد توجب تعليم التشريح ومزاولته .. ونفس الشيء ينطبق على التشريح الجنائي (الطب الشرعي) لأن التشريح الجنائي يؤدي إلى إقامة العدل والشارع قد أوجب إقامة العدل .

لهذه الاعتبارات مجتمعة فإننا نرى أن التشريح الذي يقصد به تحقيق أي من الأغراض المشار إليها فيما سبق إن لم يرتفع إلى درجة الواجب فهو على الأقل مباح[١٦] .

ويحدد الدكتور أحمد شرف الدين شروط شرعية التشريح بالآتي :[١٧]

(١) التحقق من موت الإنسان الذي سيجرى عليه التشريح .

(٢) موافقة الميت على ذلك قبل وفاته . أو موافقة أهله بعد وفاته . وفي حالات التشريح الجنائي لا حاجة لموافقة الأهل بل يكفي أمر المحكمة .

(٣) الجثث المجهولة والتي لم يمكن التعرف عليها ولا على ذويها يسمح بتشريحها لأغراض التعليم والبحث الطبي .. وذلك لتعذر الحصول على موافقة أهل الميت .

(٤) يجب في جميع الأحوال أن يتجرد الرضا بالتشريح عن كل اعتبار مادي .

(٥) وجود ضرورة تتطلب التشريح . والضرورة تتمثل في تعلم الطب والجراحة ومعرفة الأمراض وإقامة العدل (في حالة الطب الشرعي) .

(٦) توقير الجثة وعدم المساس بها فيما لا تقتضيه ضرورة التشريح .

(وأورد هنا مثالاً رأيته بنفسي عندما كنت طالباً في **كلية الطب في القصر العيني بالقاهرة** حيث كان بعض الطلبة يقيسون طول الأمعاء وذلك بوضعها على الأرض ثم قياسها بأقدامهم .. وهو أمر في منتهى الوقاحة وامتهان للجثة .. ولا حاجة تدعو إليه .. ويمكن قياسها بشريط . وثانيها أن بعض الطلبة كان يطفىء سيجارته في الجثة .. وهو أمر في منتهى الوقاحة والفجور .. وثالثها أن بعض الطلبة كان يأكل السندوتش أو يشرب الكازوزة بيد ويشرح بالأخرى .

(وهي صورة أقرب ما تكون لصورة هند بنت عتبة في ميدان المعركة في يوم أحد ويالها من صورة بشعة مقززة !!)

(٧) ينبغي إعادة دفن الجثة وجميع ما تبقى من أعضائها وأنسجتها .

تشريح الذكر والأنثى

والفقهاء الذين أباحوا التشريح لهذه الأغراض لم يفرقوا بين تشريح الجثة الذكر وجثة الأنثى .. ولم يشترطوا أن يقوم بتشريح جثة الأنثى امرأة وأن يقوم بتشريح الذكر رجل بل أباحوا ذلك دون قيد . ونظروا فقط إلى الضرورة .

ومعلوم أن تعلم الطب الآن يشمل الذكور والاناث .. وأن طالب الطب سواء كان رجلاً أو امرأة فإن عليه أن يشرح جثة الرجل وجثة المرأة .. ويعرف التشريح معرفة جيدة . ولا يعفي في الامتحان من الأسئلة عن تشريح الجنس الآخر .

وكذلك فإن الأمراض المختلفة تصيب الذكور والإناث .. ومنها ما هو خاص بالجهاز التناسلي للمرأة .. ومنها ما هو خاص بالجهاز التناسلي للذكر ، والطبيب أو طالب الطب مطالب بمعرفة ذلك كله .. ولا يعذر في جهله ولا يسمح له بممارسة مهنة الطب قبل أن يمتحن في أمراض النساء والولادة سواء كان ذكراً أم أنثى . وعليه بالإضافة إلى تشريح الجهاز التناسلي للمرأة والرجل أن يحضر ولادات طبيعية وأخرى غير طبيعية ، أي تحتاج إلى استخدام الجفت أو العملية القيصرية .

وتتعلم الفتاة في كلية الطب كل شيء عن الجهاز التناسلي للرجل .. وتعرف أمراضه وذلك مقرر عليها في كتب الطب . ولا تستطيع أن تمارس مهنة الطب قبل أن تقوم بدراسة ذلك كله على الأحياء والأموات من الرجال .

هذا هو في الواقع في كليات الطب في العالم أجمع بما فيه كليات الطب في العالم الإسلامي (عرباً وعجماً) .

وقد قام **مجلس المجمع الفقهي** الموقر في دورته الثامنة (في الفترة من ١٤٠٥/٤/٢٧ هـ إلى ١٤٠٥/٥/٨ هـ) **بمكة المكرمة** بدراسة موضوع تشريح جثث الموتى بناء على خطاب من أحد المسلمين في **بنجلاديش** ذكر فيه أن ابنته توفيت في حادثة طائرة وأن جثتها قد شرحت من قبل أطباء ذكور .

وبناء على ذلك فقد أوصى مجلس المجمع الفقهي بتوجيه خطاب إلى الرئيس البنجلاديشي يستنكر فيه ما جاء في تشريح جثة المسلمة المذكورة من قبل أطباء رجال . ويطلب منه عدم تشريح جثث النساء من قبل الأطباء مستقبلاً .. وترسل صورة من الخطاب إلى المسؤولين في بنجلاديش مثل وزير العدل ووزير الصحة .

وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة وافية .. فأمر تشريح جثث النساء من قبل الأطباء الذكور أمر لابد من حدوثه لتعلم الطب ، ولا يمكن أن يسمح لشخص ما بممارسة مهنة الطب قبل أن يفعل ذلك .. وكذلك بالنسبة لطالبات الطب لابد لهن من ممارسة تشريح جثث الرجال بما في ذلك أعضاءهم التناسلية .. ولا يسمح لهن بممارسة الطب مالم يقمن بذلك .

هذا هو الواقع في العالم الإسلامي بأكمله لا نستثني منه قطراً واحداً ، وهذه هي مناهج كليات الطب في العالم الإسلامي (أعجمية وعربية) وجميعها توجب تشريح جثث النساء والرجال على جميع طلبة الطب دون تفريق بين فتى وفتاة .

كما أن التشريح لمعرفة الأمراض يستوجب تشريح جثث النساء والرجال .. وكذلك التشريح لمعرفة سبب الموت في الحالات المجهولة السبب وحيث يكون هناك اتهام بالقتل أو السم فإن التشريح لابد أن يقع على الجثة سواء **كانت جثة** رجل أو امرأة .

والأطباء المختصون في الطب الشرعي (الجنائي) قليلون في العالم أجمع .. وأغلبيتهم الساحقة من الذكور .. فإذا كان الطبيب الشرعي رجلاً فهل نتوقف عن تشريح جثث النساء حتى نأتي بطبيبة شرعية ؟

إن مناهج كليات الطب الموجودة حالياً تحتاج إلى دراسة عميقة من لجنة من المختصين بشؤون التعليم الطبي ولجنة من الفقهاء ليتم التوصل إلى ما هو مباح وما هو حرام ..

وفي الطب وكليات الطب قضايا كثيرة يكتنفها الغموض وتحتاج إلى موقف مستنير وهادىء يجتمع فيه علم الفقيه .. وطب الطبيب .. وإلا فكم من قضايا في كليات الطب وفي ممارسة الأطباء في مستشفياتهم وعياداتهم من أمور قد لا يوافق عليها الفقهاء الأجلاء ويرونها حراماً محضاً .

وقل مثل ذلك في مناهج الكليات الأخرى .. فجامعاتنا مناهجها غربية .. وسلوكها أوربي أمريكي .. ولا تلتفت لما يقوله الشرع إلا قليلا .

الهوامش

(١ و ٢) نقلا عن د . محمد عبد الجواد محمد (الطب الإسلامي في مواجهة بعض المشكلات الطبية المعاصرة) غير مطبوع ١٤٠٤ هـ . وذكر أن المفتي كان آنذاك الشيخ عبد المجيد سليم (الفتاوى الإسلامية مجلد ١٣٣١/٤) دار الإفتاء المصرية .

(٣) المصدر السابق ص ١٣ ـ ١٤ .

(٤) الفتاوى الإسلامية ج ٢٥٥٢/٧ .

(٥) ابن عابدين « رد المحتار على الدر المختار » ج ٦٢٨/١ .

(٦) ج ٨٨/٢ الأشباه والنظائر لابن نجيم .

(٧) ج ٣٠١/٥ .

(٨) المجموع شرح المهذب ج ٣٠/٥ .

(٩) الإمام النووي « مناهج الطالبين » ج ٢٠٧/١ .

(١٠) مغني المحتاج ج ٣٦٦/١ .

(١١) سليمان المقدس « تصحيح الفروع » ج ١/ص ٦٩١ .

(١٢) المغني لابن قدامة ج ٥٥١/٢ .

(١٣) ابن حزم : المحلى ج ص ١٦٦ دار الفكر تحقيق الشيخ أحمد شاكر .

(١٤) هذا الكلام مبني على مذهب أهل الظاهر ؛ داود وابن حزم وأصحابهما .

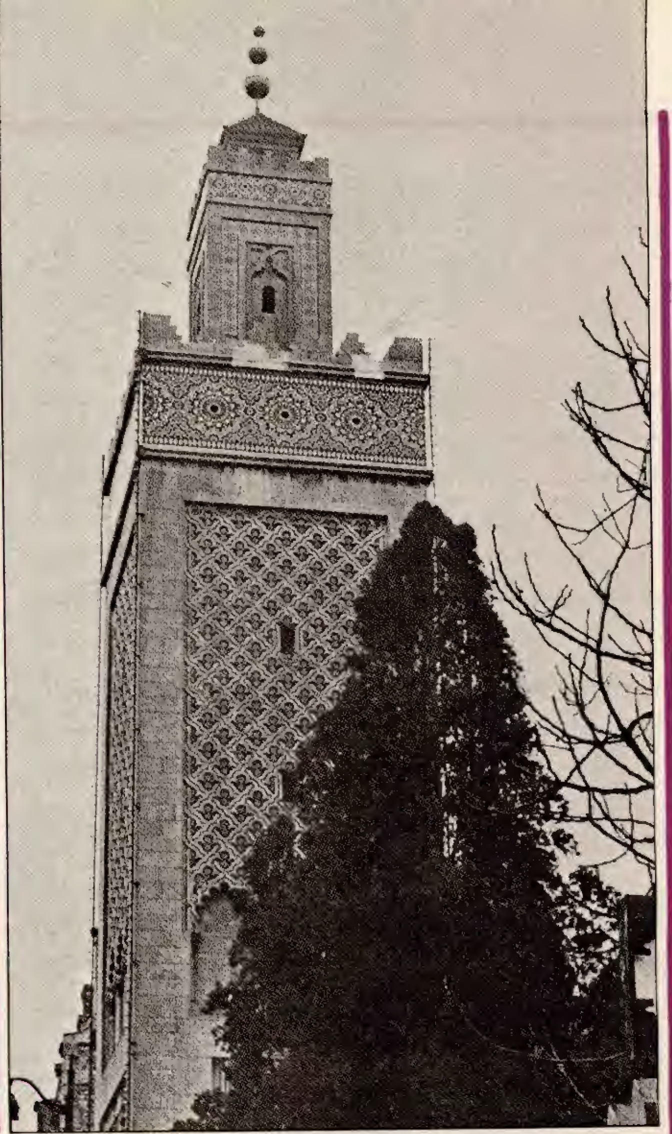
(١٥) د . أحمد شرف الدين : الأحكام الشرعية للأعمال الطبية ـ المجلس الوطني لنقابة الفنون والآداب بالكويت ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ص ٦٨ ـ ٧١ .

(١٦) المصدر السابق .

(١٧) المصدر السابق ص ٧١ ـ ٧٤ .

الأقليات الإسلامية في العالم إلى أين المصير؟!

بقلم: محمد أحمد حسن محمود



★ مسجد باريس ★

يقرر الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم بعض الحقائق التي قد تخفى على بعض الناس نتيجة لبعدهم عن أوطانهم ، أو تجانسهم مع أجناس أخرى .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات (١٣)

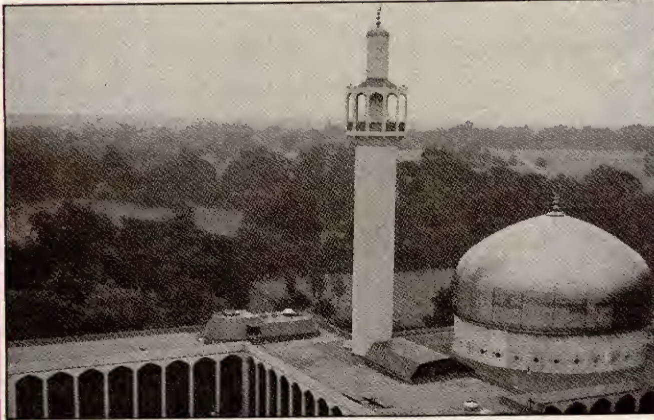
هذه الآية تقرر مجموعة من الحقائق منها :

أ - أن الجنس الإنساني خلق وينتمي إلى أصل واحد ، وليس هناك مجال للتمييز من خلال اللون واللغة والملامح ، ولا مجال أيضاً للتمييز بين أفراد هذا الأصل في ما يعرف بالقوميات .

ب - نزع الخلاف بين الناس والرجوع إلى القاعدة المقررة وهي التعارف القائم على أساس المحبة والود والنفع المتبادل القائم على ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ المائدة (٢) .

حتى إذا كان هناك خلاف ، فالقاعدة تقول : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر** ﴾ النساء (٥٩) .

جـ - التصريح الواضح الذي قررته الآية ، أنه لافرق بين عربي وعجمي إلاّ بالتقوى ، ودلالة ذلك أن مردّ الأمر في التفضيل هو التقوى التي بها يكون الإنسان مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى .



★ مسجد المركز الإسلامي في لندن ★

ومن خلال هذه الحقائق نقول ، إن المسلمين انتشروا في بقاع الأرض ، ودخل معهم الإسلام إلى بلاد عديدة ، واستوطن المسلمون لقرون عديدة في أماكن ، حتى إذا تغير الحال وتكالبت الدنيا على الفتك بهم ، أصبح المسلمون أقليات في أماكن مختلفة من أنحاء العالم العصري المتحضر .

والناظر إلى السمة المسيطرة على هذه الأقليات ، يعرف في أعين هؤلاء الأقوام الحسرة والضعف ويرى على شفاههم مقولة التاريخ « وا إسلاماه » وأين أنت ياصلاح الدين .

المقصـود بالأقليـات المسلمـة

وحتى يكون الأمر واضحاً أمام القارئ نقول : إن هناك عدة مقاييس لتحديد ما يطلق عليه **دولة إسلامية** وما يطلق عليه **أقلية إسلامية في دولة من الدول** ، ومن أدق المقاييس بلا شك المعيار العددي ، إذ تعتبر الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠٪ من السكان دولة إسلامية ، فإذا قلت النسبة عن ذلك اعتبرنا أن العدد الموجود هو أقلية مسلمة داخل دولة غير إسلامية .

يوجد في كثير من مناطق العالم أقليات مسلمة ، ففي قارة **أفريقيا** توجد الأقليات في عدة دول منها (**أثيوبيا - موزمبيق - كينيا - غانا - تنزانيا - زامبيا - ليبيريا - زيمبابوي - ساحل العاج**) وفي قارة **أسيا** توجد في (**الهند**



الأقليات الإسلامية في العالم إلى أين المصير؟!

- الصين الشعبية - الفلبين - كوريا - فيتنام - سيرلانكا وبورما) وكذلك في (الاتحاد السوفييتي - يوغسلافيا - بلغاريا - رومانيا وبولندا) كما توجد بعض الأقليات في الأمريكتين واستراليا .

مصاعب وعقبات

هذه الأقليات تقابل من المصاعب والمشاكل والعقبات الكثير ، وأهم هذه المشكلات مشكلة التحرر الديني ، ففي معظم الدول السابقة الذكر ، لا يستطيع المسلم أن يجاهر بالصلاة وإقامة العبادات الأخرى ، حتى الحج إلى بيت الله الحرام وضعوا في سبيله العقبات والصعاب .

ومن المشكلات أيضاً ، محاولة أفراد الأقليات المسلمة في بلاد غير إسلامية التمسك **باللغة العربية** ، فهي الوسيلة للمحافظة على الكيان الإسلامي ، ومن أجمل ما قاله **عباس العقاد** يرحمه الله « .. **فإن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو للمسلم قواماً يميزه في سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا معرفة ولا إيمان** »[1] .

وهناك من المشكلات الكثير والكثير ، وقبل أن أنتقل إلى نقطة أخرى أورد قول الأستاذ العقاد « **ولقد علمنا نحن المسلمين - آسفين - أننا لم نكترث زمناً طويلاً من الأزمان قط ، بتنظيم دعوات التبشير لنشر الدعوة الإسلامية وعقيدتها ، فلنعلم الآن أن المسألة قد جاوزت أن تكون إهمالاً لنشر الدين وصارت إلى ما هو أسوأ وأدهى - الآن - هي مسألة الإهمال في الدفاع والتسليم بالهزيمة في إبان فرصة الدفاع ، وقد تذهب هذه الفرصة ولا تعود** »[2]

وحتى نوضح قول العقاد يجب أن نلقي نظرة إلى محاولات التنصير للأقليات المسلمة وسوف نضرب لذلك مثلاً ؛ الحال القائم في الحبشة والفلبين وأندونيسيا .

التنصير في الحبشة

منذ زمن بعيد وأوروبا (الكنيسة) تحاول أن تسيطر على البلاد الإسلامية في (آسيا وأفريقيا) وبعد هزيمة **الحملات الصليبية** ، أدرك الجميع (الكنيسة وفرنسا) أنه لم يعد في وسعهم مواجهة الإسلام ، وأن هذا العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام ومن ثم القضاء عليه ، وبذلك يتم لها التخلص من العقبات التي تحول دون سيطرتها على آسيا وأفريقيا .

لقد أنهكت الحروب الصليبية قوى الغرب البشرية والمالية ، وكان على الصليبيين أن يغيروا طريقة غزوهم ، فبدلاً من الحروب والتدمير استخدموا سيوفاً ورماحاً من نوع جديد ؛ من خلال مشاعر العاطفة وتقديم المساعدات الطبية والاجتماعية وانتهاز مناطق الضعف لدى المسلمين وبالأخص في جنوبي إفريقيا ، وبذلك يحارب الإسلام ويوقف زحفه المتواصل المبارك بهدف الغزو الصامت المتسلل في الظلام خلف الأقنعة والشعارات الزائفة[3] .

وفي عام ١٩٢٠ م أصدرت **لجنة التنصير الأمريكي** ، التي تهتم بالاستفادة من الحروب في أعمال التنصير كتاباً جاء في مقدمته : « من أبرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى ، أن الآراء والمبادئ التي كانت تهدف إليه الإرساليات التنصيرية ، قد تبنتها الآن الأمة الأمريكية ، ثم أعلنت أنها هي أهدافهاالأخلاقية ، وغاياتها من خوض تلك الحرب أن هذه المبادئ التبشيرية قد سميت الآن أسماء سياسية فقط »[4] .

والناظر إلى الأقلية المسلمة في الحبشة يرى مشهداً مأساوياً يصور وجود الإنسان على هذه الأرض ، يعتمد هذا المشهد على البغض للمسلمين والحقد على الإسلام ؛ إرهاب منقطع النظير من هؤلاء الأشرار .

والواقع أن محاربة الإسلام في الحبشة لم تبدأ في عهد هيلاسلاسي ، بل تمتد جذورها إلى زمن بعيد ، حيث كان الصراع مستمراً بين « **هرر** » معقل الإسلام ، في ذلك الجزء من أفريقيا وبين الحبشة المسيحية ، ففي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حدثت معارك رهيبة بين « هرر » والحبشة المسيحية ؛ استولى فيها المسلمون على أراضي المسيحيين ، من بينها حملة **الإمام أحمد بن إبراهيم** القائد الهروي ، ومن بعده **الأمير نور** ، ولم يتمكن المسيحيون من غزو أراضي المسلمين إلا في أواخر القرن التاسع عشر ، عندما بدأ الاستعمار يتنافس لاحتلال أفريقيا[5] وخاصة شرقي أفريقيا ، الذي بدا جلياً خطورة مركزه الاستراتيجي بعد حفر **قناة السويس** .

ولقد استغل التنصير هذا الوضع فنزل الميدان وأُجْبر الناس على التنصير وساعد على ذلك ما قام به **هيلاسلاسي** بعد استيلائه على العرش ؛ فقد تخلص من الزعماء المسلمين ، وسادت جرائم الخطف والاغتيال وإحراق المحاصيل وإبادة القرى وكما قلت استغل التنصير هذه الفوضى ، فمسحوا دموع البائسين بالنظر في الأناجيل وفتحوا المدارس وعلموهم فيها أصول العداء للإسلام .. لذا كان التحاق أبناء المسلمين بهذه المدارس نوعاً من الانتحار الديني .

التنصير في الفلبين

المسلمون في الفلبين أقلية إذا قورنوا بعدد المسيحيين ، فالمسيحيون يبلغ عددهم ٥٢ مليوناً بينما عدد المسلمين ٧,٥ مليوناً ، ويرجع الفضل في دخول الإسلام إلى هذه الديار ، إلى هؤلاء التجار المسلمين ، الذي ما لبثت دعوتهم أن انتشرت ، على أن هذا الأمر لم يدم ، فقد جاء **ماجلان** واستطلع الأمر واستقدم الأسبان ، ودار الصراع بين المسلمين والنصارى إلى أن طُرد المسلمون من عدة أماكن ، ثم جاء الأمريكان وحاولوا تنصير من لم يدخل في حظيرة المسيحية .

بعد انتهاء **الحرب العالمية الثانية** منحت أمريكا الفلبين استقلالها عام ١٩٤٦م وضمت إليها **بلاد المورو** . ولذلك يسمي المسلمون بلادهم بجنوب الفلبين ، وعلى كل حال لم يحدث أي تعارض من الجانبين ، لأن الحرب كانت قد انهكت جميع الأطراف .

ولكن هل سار الحال بالهدوء الذي بدأ الأمر به ؟

المخططات هي المخططات ، وكأن المسلمين على موعد مع الشقاء في هذه الديار ، فما أن تركتهم أمريكا حتى أخذتهم الفلبين وقامت بأعمال ترضي أسيادها حتى تصبح الفلبين ضمن العالم الكاثوليكي .

لقد قامت حكومة الفلبين بإنشاء مستوطنات نصرانية في مناطق المسلمين ، وتهجير النصارى إليها ، وقد تم اختيار هذه المجموعة المهجّرة من عناصر سيئة السمعة ، رفضها المجتمع الإنساني ، فَعُذِب بها المجتمع المسلم في الفلبين .

ظهر رد الفعل من المسلمين ولم يكن سوى العنف الذي واجهته الفلبين بعنف وإرهاب شديدين ، لنشر هذه المخططات بالقوة ، وقامت الحكومة الفلبينية بقتل المسلمين وإحراق بيوتهم ومزارعهم ومساجدهم ومدارسهم ، ثم تجسد رد فعل المسلمين مرة أخرى في تكوين **جبهة تحرير مورو الوطنية** سنة ١٩٧٢ م التي تسعى إلى فضح وسائل النصارى التي تنفذها الحكومة ، وتقاوم العصابات المسلحة[٦] .

وتأزمت مشكلة مسلمي الفلبين في الجهل بتعاليم الإسلام ، وعدم وجود لغة توحد بين مسلمي هذه الديار ، وانتشر التخلف الفكري ، فكان لكل هذه المشاكل أن ضعفت العبادة وأصبح الإسلام مظهراً خارجياً لا يمّت إلى الحقيقة بشيء ولا يختلف حال المسلمين في هذه الأيام ـ في الفلبين ـ عن الأيام السابقة فمنذ شهور قتل أكثر من (٥) آلاف مسلم ومسلمة في الفلبين .. هذا هو حال المسلمين في الحبشة والفلبين وسوف نرى ماذا جرى في أندونيسيا .

فــي أنــدونيسيــا

محنة المسلمين في أندونيسيا هي محنتهم في كل بلاد العالم ، تحديات من جانب عُبّاد الصليب ومقاومة من جانب المسلمين ، وسوف نرى أن السلاح قد يختلف من حين لآخر . وكالعادة ، فإن التنصير يحاول أن يسيطر على قلوب الناس ويستحوذ على عقولهم حتى يحولهم إلى المسيحية ، أو على الأقل يبعدهم عن الإسلام .

ولقد أوردت مجلة « **منار الإسلام** » تقريراً عن **نشاط البعثات التنصيرية في أندونيسيا** أعدته هيئة أمريكية ونشر في عام ١٩٨٢ م[٧] .

ويبرز التقرير أسماء بعض المنظمات العاملة في مجال التنصير في أندونيسيا ، ومنها خدمات الكنيسة العمالية ، وجمعية التنصير الخارجية المعمدانية المحافظة ، ومؤسسة هيلين كيلر وأخوات راهبات الإرساليات الطبية وخدمات الإغاثة الكاثوليكية وغيرها كثير .

وكل هذه المنظمات تركز على نقاط الضعف في نسيج المجتمع ، والملاحظ أن المنظمات قد شملت جميع نواحي المجتمع وبذلك وضع التنصير أبناء أندونيسيا تحت مظلة التنصير .

ففي **مجال التعليم** تعمل الكنيسة على جمع التبرعات للمدارس والجامعات لتنفيذ برامج معينة ، كذلك تقوم بإنشاء المدارس ، خاصة المدارس الأولية حيث يتم تشكيل الأطفال الصغار كيف يشاء أصحاب التنصير . وفي **مجال الزراعة** تشارك الإرساليات في تنفيذ المشروعات الزراعية وإصلاح الأراضي وتوزيع مضخات المياه . وفي **مجال الصناعة** تقوم برفع كفاية العاملين وتقييم المجتمعات الصغيرة ، ويأتي دور **الخدمات الاجتماعية** ، وهو نقطة ضعف في هذه البلاد للفقر الذي ألم بهم ، فتقوم الإرساليات بتوفير الغذاء وتوفير الملاجئ للأيتام واللقطاء وتفتح المستشفيات وتشجع على تحديد النسل وذلك للحد من أعداد المسلمين .

وفي **مجال الثقافة والتعليم العالي** يقوم التنصير بإرسال الطلاب إلى الخارج للتأثير عليهم وإعدادهم حتى يكونوا دعامة للتنصير عند عودتهم إلى بلادهم .

هذه لمحة بسيطة عن التنصير ووضع الأقليات المسلمة ومدى ما تلاقيه في الحبشة والفلبين وأندونيسيا ، والحال لا يختلف في معظم البلاد التي تضم أقليات مسلمة عن الحال في هذه البلاد . فهل آن الآوان للمسلمين أن يستيقظوا من غفوتهم ويسارعوا برفع هذه القيود عن إخوانهم ؟

اللاجئــون الأفغـــان

تدفقت على **الباكستان** جموع اللاجئين الفارين من الأعمال الوحشية التي يرتكبها الغزاة السوفييت وتشير آخر التقارير إلى أن عدد هؤلاء اللاجئين يربو على ثلاثة ملايين[٨] .

والواضح أن النفوذ السوفييتي يزداد يوماً بعد يوم في أفغانستان ، فالروس يسيطرون على جميع الوزارات والمناصب الرئيسية في جميع القاطعات .

ومن العجيب ، أن الروس يرسلون الشعب الأفغاني إلى الاتحاد السوفييتي لتعليمهم مبادئ الشيوعية . والحقيقة أن الحكومة الباكستانية تقوم بمجهود تشكر عليه في مساعدة هؤلاء اللاجئين ، فهي تقدم حوالي ٣٠٠ مليون دولار سنوياً لمساعدة اللاجئين[٩] وهذه المساعدة تقوم بأمانة وكفاءة ، وقد وجهت بعض الجماعات السياسية انتقادات بشأن المشكلات التي أحدثها تدفق اللاجئين ، إلا أن مبدأ الواجب الإسلامي تجاه اللاجئين يحتم على باكستان المسلمة أن تبذل غاية الجهد في مساعدتهم .

وعلى غرار الأفغان شرد السوفييت شعوباً أخرى وعلى سبيل المثال لا الحصر حال **التتار** الذي يعيشون في **شبه جزيرة القرم** ، فقد قام الشيوعيون بنفيهم إلى **آسيا الوسطى** بحجة مزيفة توحي بمساعدتهم للنازيين ، ومثل **شعب الكاراشيز** المنفي بالتهمة السابقة وهذا الشعب لا يجد مسجداً يتعبد الناس فيه ، ولا مدارس يتعلمون فيها وإذا ما أردنا أن نضرب مثلاً لهذه الأقليات من صميم العالم الإسلامي العربي فالمثال واضح أمامنا ، ألا وهو فلسطين .

فــي فلسطيــن

قررت **الأمم المتحدة** تحت ضغط **الولايات المتحدة الأمريكية** إعطاء الصهاينة أرض فلسطين ، وبعد نزول الصهاينة أرض فلسطين شردوا أهلها وعذبوهم وأقيمت دويلة إسرائيل على أطلال فلسطين الإسلامية .

يقول **البروفسور إسرائيل شاهاك**[١٠] « إن ما يقرب من أربعمائة قرية قد تم تدميرها تدميراً تاماً بديارها وبساتينها وحتى مدافنها ومقابرها بحيث أصبح عاليها سافلها فعلاً ، ويقال للسياح الذين يمرون بها إنها كانت صحراء ، وقد اتبعت سياسة التدمير هذه بعد احتلال **الضفة الغربية والقدس وغزة** في ١٩٦٧م .

إن الشعب الفلسطيني نزح عن وطنه ولن يعود إلا إذا استيقظ المسلمون من



★ أول جامع في مدينة طوكيو ★

الأقليات الإسلامية في العالم إلى أين المصير؟!

نومهم وهب من بينهم صلاح الدين ينادي فيهم « وإسلاماه » ومن بقوا منهم في إسرائيل لا يتمتعون بأي حقوق ويتعرضون للتعذيب ويودعون في معسكرات الاعتقال وقد عرض **بيجين** في كتابه « **الثورة** » كيف كان يمارس أعماله الإرهابية العنيفة ومن بينها القتل الجماعي للنساء والأطفال والأبرياء وقد اعترف بمذبحة أبريل ١٩٤٨ م التي قتل فيها ٢٥٠ امرأة وطفلاً في **قرية دير ياسين** .

وقد نشرت صحيفة « **الصنداي تايمز البريطانية** »[١١] عن التعذيب في إسرائيل تقريراً كشف عن تعذيب العرب في فلسطين ، وأن هذا التعذيب يحظى بالتأييد الرسمي من القادة اليهود ، فإلى متى يستمر الحال كما هو ، وفلسطين أمام أنظار قادة المسلمين تحت سلطان الصهاينة وتعذيب المسلمين لا يحرك لهم ساكن ؟

في الاتحاد السوفييتي

بعد **الثورة البولشفية** في ١٩١٧ م كان وضع المسلمين يبشر بالخير ، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، وبعد الدعوة لحرية الدين والعبادة ، رفع **السوفييت** الستار وظهور بوجوه أخرى ، فبدلا من أن ترمم المساجد ، أزيلت واتُهم الشعب المسلم بمعاداة الثورة .

وإذا ما تذكرنا قولهم في البداية « من الآن فصاعداً ، فإن عقيدتكم وعاداتكم ومؤسساتكم الوطنية ستكون حرة ولها حرمتها ، وعليكم بناء حياتكم الوطنية ، فهذا حقكم » أصبح كل هذا سرابا ، يبرز وجه النفاق للدب الأحمر .

وبدأ حكام روسيا الشيوعية بتدريس أحكام الإلحاد في المدارس والجامعات وإذا طرحنا سؤالاً عن نتائج الردع السريع ماذا ستكون الإجابة ؟

تقول النتيجة كما أوردها الدكتور هايت العالم التركستاني :[١٢]

١ ـ تم اعتقال الزعماء الروحيين للمسلمين وأعدم الكثيرون منهم وَتُرِكَ المسلمون بدون شخصيات دينية مؤهلة .

٢ ـ أغلقت المساجد والمدارس وُصودرت أملاك الأوقاف .

٣ ـ مُنِعَ تعليم الشباب على الأسس الإسلامية .

٤ ـ منع المسلمون من ممارسة أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج بنص القانون .

٥ ـ منع نشر كتب التراث الدينية .

٦ ـ تم وضع جميع الوسائل الممكنة تحت تصرف الشيوعية ، كعقيدة لروسيا ، في حربها ضد الإسلام .

٧ ـ ظل التعليم المعادي للإسلام لشبابنا مستمراً حتى الوقت الحالي كجزء أساسي من سياسة التعليم الشيوعية .

٨ ـ قامت الشيوعية بتدريب بعض مجموعات الشباب الملحد من عائلات إسلامية ، والذين يقومون بدورهم حالياً بمساعدة الروس في حربهم ضد الإسلام .

بعد كل هذه المحظورات كيف يعيش المسلم داخل هذه الديار ، حتى العقيدة كانت وما تزال ممنوعة بالقانون السوفييتي ، ومنعوا الصيام لأنه يعوق العمل وكذلك بقية العبادات .

ولا يختلف حال الأقليات المسلمة في الفلبين وكوريا والصين والأمريكتين وأثيوبيا عن حال المسلمين في الاتحاد السوفييتي .

خاتمة

وبعد ، فإنه لا يمكن للأقليات المسلمة أن تكون مسؤولة بمفردها عن الإسلام في بلادها بل هي مسؤولية مشتركة بينها وبين العالم الإسلامي كله ، والمطلوب من الدول الإسلامية أن تتدخل لمساعدة هذه الأقليات .

إن حماية الأقليات يستدعي قيام أنظمة إسلامية تتولى رعاية الأقليات والدفاع عن حقوقهم في جميع الدول .

وبالنظر إلى جهود الحكومات الإسلامية في مساعدة الأقليات نجدها قليلة جداً ، إذا ما قورنت بنشاط التنصير المسيحي ، والمأمول أن تزداد هذه المساعدات حتى تستفيد منها الأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم .

وعلى علماء المسلمين أن يصدوا الهجوم الماكر الذي يتعرض له الإسلام ورسول الإسلام ﷺ بالرد على الدعاوى وفضحها بالدليل والبرهان .

هذا ، ومن منطلق قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات (١٠) يجب أن يتعاون المسلمون في سبيل الارتفاع بمستوى الأقليات المسلمة ، فالمسؤولية جماعية وليست فردية .

المراجع

(١) عباس محمود العقاد « مقالة أشتات مجتمعات في اللغة والأدب » نقلاً عن الدكتور جمال الدين محمد محمود في مقاله « المشكلات الثقافية والاجتماعية لدى الأقليات الإسلامية » الندوة العالمية ، ع ٦ ص ٣١ « تحت الطبع » .

(٢) عباس محمود العقاد « ما يقال عن الإسلام » ط الأولى ١٩٥٨ م ص ٤٢ .

(٣) عماد شرف « حقائق عن التبشير » ص ٩ ، ١٠ ـ المختار الإسلامي ، القاهرة .

(٤) التبشير والاستعمار د . مصطفى خالدي ص ١٢٩ ـ المكتبة العصرية ـ لبنان ١٩٧٠ م .

(٥) يوسف القرضاوي « التبشير في العالم الإسلامي كيف نواجهه » مجلة الأمة ع ٤١ السنة الرابعة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

(٦) المسلمون في الفلبين د . محمد عبد القادر ص ٢٠ ـ ٢٣ ، وانظر كذلك مقال « المسلمون في جنوب الفلبين » مجلة الأمة ع ٤١ ـ السنة الرابعة ، جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ ـ فبراير ١٩٨٤ م .

(٧) مجلة منار الإسلام ـ أبريل ١٩٨٤ م عدد ١٠٧ السنة التاسعة ص ٥٨ ـ ٦٧ رجب ١٤٠٤هـ « بتصرف » .

(٨) Asia Week "Pakistan: Three Million and Still Counting" 1982, 19 February, P. 17.

(٩) المرجع السابق .

(١٠) London Sunday Times Report on Torture in Israel" 19 June, 1977.

(١١) المرجع السابق .

(١٢) Dr. Hayit "Some Thoughts on The Problem of Turkistan" The Journal of Muslim World League. No 2-4, 1979-1980 Makkah Offset Print S. 23.

مكانة القاضي المسلم في المجتمع الإسلامي

بقلم : سيد ناجي (*)

كان ولا يزال مجلس القضاء من أوقر المجالس ، وأعظمها هيبة في النفوس ، لقد بلغ من مكانة القاضي المسلم في المجتمع المسلم أن كان الخليفة أو الأمير يجلس بين يديه ، لا يتميز بخلافته أو إمارته عن أحد من الناس .

إن القاضي في محراب العدالة يعيش عيشة الزاهد المتبتل ، الذي يتعبّد النهار ويتهجد الليل ، لقد كان يعطي القضية الكثير من قلبه المخلص وفكره الملهم .

إن حياة القاضي في الإسلام تعتبر صورة رائعة وصفحة مشرقة ، كلما تأملها الإنسان فتحت أمام عينيه نواح متجددة وآفاقاً واسعة لا يكاد ينتهي مداها .

كان القضاة مثلاً يحتذى في العلم والشجاعة والتضحية والإيثار ، فالقاضي يتقلّد أرفع المناصب وأشرف الأعمال ، ويكفيه فخراً أن أحكامه يصدرها باسم الله العلي الأعلى لا باسم عظيم أو كبير .

لذلك أحيطت وظيفة القاضي بجميع الضمانات التي تكفل له الحرية الكاملة في إصدار أحكامه ، فلا سلطان لأحد عليه إلا الله ، ثم سلطان الضمير .. ويعتبر مركز القاضي في المجتمع مركزاً أدبياً تتضاءل أمامه جميع أعمال الدولة .

في شتى الأزمان والقاضي مرعي الجانب ، مهيب الطلعة .. عُرف بالعدل فتطامنت له النفوس ورقت له القلوب .

كان القاضي وما زال ترفعه نزاهته عن القالات والشبهات ، ولو أخذنا نتتبع مكانة القضاة وما قيل في شأنهم لضاقت الصفحات ، فما عرف عن قاض من قضاة الإسلام أنه قصَّر في واجبه ، أو ادعى المرض ، أو انتحل الأعذار .

وبما أن القاضي ممثل للعدالة يجلس فيستمع إلى الخصوم والشهود ، يجادل ويناقش ليستخلص الحق لصاحبه ، فيعطي كل ذي حق حقه ، لذلك يجب أن يكون خالي القلب من الشواغل ، هادئ البال ، مرتاح الضمير ، له من الضمانات ما يجعله بعيداً عن المؤثرات .. حتى أن الفقهاء منعوا أن يقضي القاضي وهو غضبان ، أو عطشان ، أو جائع .. مستدلين بقول **رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا يقضي حاكم بين اثنين وهو غضبان »** ، متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : **« لا يقضي القاضي إلا وهو ريان شبعان »** ، أخرجه البيهقي .

وبما أن الرزق هو الشغل الشاغل ، فقد نص الفقهاء أن يوسع للقاضي في رزقه ، وأن يوفر له جميع الضمانات التي تهدده في أمنه أو رزقه أو عمله .. حتى أن بعض الفقهاء كرهوا عزل القاضي عن عمله .

وفي رسائل **عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب** رضي الله عنهما بشأن القضاة ، ما يوضح ذلك وأكثر .. فقد كتب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حين ولى **معاذ بن جبل ، وأبي عبيدة بن الجرّاح** ، حين بعثهما إلى الشام ، قال لهما :

« أن انظرا رجالا من صالحي من قبلكم فاستعملوهم على القضاء وأوسعوا عليهم وارزقوهم واكفوهم من مال الله »[1] .

وقد أرسل علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، إلى **مالك بن الحارث بن الأشتر النخعي** ، عامله على مصر يوصيه بحسن اختيار القضاة وبسط العطاء لهم ، فيقول :

« ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك ممن لا تضيق به الأمور ،

مكانة القاضي المسلم في المجتمع الإسلامي

ولا يمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في الرذيلة ، ولا يحصر ولا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع . . » ، ثم قال : « وأكثر تعهد قضائه وأفسح له في البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك »[٢] .

القاضي .. في الماضي

كان القاضي يعتز بنفسه ولا عجب ، فالله تعالى يقول ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ (سورة المنافقون ، الآية ٨) .

جاء **الحجاج بن أرطأة** إلى حلقة في المسجد فجلس في عرضها ، فقيل له ارتفع ـ أعز الله القاضي ـ إلى الصدر ، فقال القاضي : أنا صدر حيث كنت . وقال **خالد بن عبد الله** : كنا في مسجد الجامع فدخل الحجاج بن أرطأة ، فقالوا قبالتنا يا أبا أرطأة ، فقال حيثما جلست فأنا صدرها[٣] .

القضاة رجال ذو أخلاق فاضلة ، ونفوس كبيرة ، وضمائر يقظة ، وهم محل ثقة الناس واحترامهم ، كيف لا وهم يصدرون أحكامهم فيبرئوا البريء ويدينوا المذنب .

إن مكانة القاضي الاجتماعية تجعله فوق التكريم والتبجيل . قيل ثلاثة يجب أن يبجلوا وتعرف أقدارهم ، العلماء .. وولاة العدل .. والإخوان ، فمن استخف بالعلماء أهلك دينه ، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه ، ومن استخف بالإخوان أهلك مروءته[٤] .

كان رأي القاضي قاطعاً في الخلافات مهما علا شأنها وعظم خطرها ، سواء كانت هذه الخلافات فقهية أو سياسية .

قال أهل سمرقند لعاملهم **سليمان بن أبي السري** : إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين ـ وهو يومئذ **عمر بن العزيز رضي الله عنه** ـ يشكون ظلامتنا ، فإن كان لنا الحق فإن بنا إلى ذلك حاجة ، فأذن لهم ، فتوجهوا إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فلما رأى ظلامتهم كتب إلى عامله سليمان بن أبي السري يقول له :

« إن أهل سمرقند قد شكوا أن ظلماً أصابهم وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فإذا أتاك كتابي هذا فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجوهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن يظهر عليهم قتيبة . فأجلس لهم **سليمان ، جميع بن حاضر القاضي** ، وسمع القاضي ظلامتهم فقضى القاضي بالحكم الآتي :

« يخرج أهل سمرقند إلى معسكرهم ، وينابذوهم على سواء فإما أن يكون صلحاً جديداً أو غلبة عليهم » .

قال أهل السند عند ذلك بل نرضى بما كان ولا نجدد حرباً لأن أهل الرأي منهم قالوا قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمننونا وأمناهم فإن عدنا إلى الحرب فإنا لا ندري لمن يكون الظفر ، وإن لم يكن لنا نكون قد اجتلبنا عداوة في المنازعة فتركوا الأمر على ما كان عليه ورضوا ولم ينازعوا[٥] .. وكان هذا منتهى العدل وتقصي الحق والوفاء بالعهد .. وهذا عدل لم تر له الدنيا نظيراً ، ولن تعرف له شبيهاً .

مجلس القاضي

مجلس القضاء مصون مكرّم ، لا يرتفع فيه صوت ، ولا يشار فيه بيد ، ولا يتطاول أحد من الخصوم على أحد ، فإن فعل ذلك فعلى القاضي أن يقوم بزجره وتأديبه .

كان **ابن حربوية** قاضياً ، وكان لا يركب للأمير ، ولا يحضر مجالسهم ، ولا يقوم للأمير إذا أتاه ، وكان يدعو الأمراء بأسمائهم لا بألقابهم .

ضحك في مجلس قضائه أحد المتخاصمين فغضب القاضي ولقن الرجل درساً لن ينساه ، فمجلس القضاء مجلس موقّر لا يصح فيه الضحك ولا الضجيج ، إنه مجلس كله سكينة وهيبة ووقار ، عندها وجّه القاضي عبارات اللوم والتأنيب للرجل قائلاً له :

كيف تضحك في مجلس القضاء ؟ وقاضيك بين الجنة والنار .

خارت قوى الرجل وكاد يغشى عليه ، وكانت صيحة القاضي قوية فخرج الرجل وقد أصابه المرض ، وأقبل الناس إليه يعودونه ، فكان يقول لزواره : « إن صيحة القاضي تؤرقني وأحسبها تقتلني »[٦] .

لما حكم الشعبي حكماً ظنه الخصم ظلماً وأن القاضي لم ينصفه وقال في ذلك شعراً هاجم فيه الحكم الصادر عليه أدبه القاضي وعذّره لئلا يتطاول على مجلس القضاء بعد ذلك ، ولما سأله **عبد الملك بن مروان** ما فعلت بقائل هذا ؟ قال الشعبي ، أوجعته ضرباً يا أمير المؤمنين بما انتهك من حرمتي في مجلس القضاء ، وما افترى به عليَّ ، قال عبد الملك أحسنت[٧] .

وكان أبو حازم القاضي يجلس للحكم فاختصم إليه رجلان فاجترأ أحدهما على صاحبه مما أوجب التأديب ، فأمر القاضي بتأديبه فأُدب فمات في الحال ، فكتب القاضي إلى **المعتضد** من مجلس القضاء قائلاً : « اعلم يا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ أن خصمين حضرا فاجترأ أحدهما على

صاحبه مما أوجب عليه معه الأدب عندي ، فأمرت بتأديبه فأدب فمات ، فإذا كان المراد به مصلحة المسلمين فمات في الأدب ، فالدية واجبة في بيت مال المسلمين ، فإن رأى الأمير ، أطال الله بقاءه ، أن يأمر بحمل الدية إليَّ لأحملها إلى ورثته فعل ، قال فعاد الجواب إليه بأنا قد أمرنا بحمل الدية إليك وحُمِلَ إليه عشرة آلاف درهم فأحضر القاضي ورثة المتوفى ودفعها إليهم »[٨] .

كان **سحنون المالكي** يضرب الخصوم إذا آذى بعضهم بعضاً بكلام أو تعرضوا للشهود بسوء ، وكان يؤدب الناس على الأيمان غير الشرعية ، مثل يمين الطلاق والعتاق ، ويؤدب على الفسق وينفي من الأسواق من يستحق ذلك[٩] .

تنازع **إبراهيم بن المهدي** مع **بختيشوع الطبيب** بين يدي القاضي في مجلس القضاء ، وذلك على عقار ، فردَّ ابن المهدي على خصمه رداً لم يحمده القاضي ، وأغلظ له في القول ، فقال له القاضي آمراً وزاجراً وموجهاً :

« يا إبراهيم إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم ــ القضاء ــ فلا تعلين عليه صوتاً ولا تشر إليه بيد ، وليكن قصدك أمماً ، وطريقك نهجاً ، وريحك ساكنة ، ووف مجلس الحكومة ــ القضاء ــ حقوقه من التوقير والتنظيم والتوجّه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه لك وأشكله بمذهبك في محتدك وعظيم خطرك ، ولا تعجل فرب عجلة تهب ريثاً والله ينجيك من الزلل وخطر القول ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ، إن ربك حكيم عليم » .

أثرت هذه النصيحة في نفس إبراهيم حتى وهب حقه في القضاء لبختيشوع[١٠] .

الناس سواسية في المجلس

كان **أبو يوسف قاضي القضاة** اختلف إليه رجل مع **الهادي بن الرشيد** على بستان ، فرأى القاضي أن الحق مع الرجل ، ولكن للسلطان شهوده ، فأراد أن يحكم بعلمه وبما يتبيّن له من الحق فاحتال على ذلك .

قال أبو يوسف القاضي للهادي إن الخصم يطلب أن يحلف الهادي أن شهوده صادقون . فنكل الهادي ورفض أن يقسم اليمين لما يعتقد أن فيه مهانة لا تليق بمكانته ورد البستان إلى صاحبه[١١] .

وقام أبو يوسف مرة بتحليف **الرشيد عنده وهو أمير المؤمنين** ، وشهد عنده **الفضل بن الربيع** فرد شهادته فعابه الخليفة في ذلك فقال أبو يوسف سمعته يقول أنا عبدك فإن كان صادقاً فلا شهادة له ، وإن كان كاذباً إنه لكذلك[١٢] .

كان القاضي يرى نفسه فوق العامة وذلك بحكم عمله لا تكبراً ولكن ليكون مهاباً لدى الخاصة والعامة على السواء .

القاضي .. والخلفاء

كان **محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة** ولاه الرشيد القضاء وأقبل الرشيد يوماً فقام الناس كلهم إجلالا وتعظيماً واحتراماً لأمير المؤمنين ، إلا **محمد بن الحسن الشيباني** ، فإنه لم يقم ودخل الخليفة داره ودخل أصحابه ، وبعد فترة قصيرة خرج الآذن ونادى على محمد بن الحسن الشيباني القاضي ليقابل أمير المؤمنين فجزع أصحابه مخافة أن يناله مكروه ثم خرج بعد ذلك القاضي طيب النفس مسروراً فسأله أصحابه عما دار بينه وبين أمير المؤمنين ؟

قال القاضي : قال لي الخليفة ما لك لم تقم مع الناس ؟

قلت ــ القاضي ــ كرهت أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها ، إنك أهلتني للعلم فكرهت أن أخرج منه إلى الطبقة التي هي خارجة منه ــ الخدمة ــ وإن ابن عمك صلى الله عليه وسلم قال : « **من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار** » ، وإنما أراد بذلك العلماء فمن قام بحق الخدمة واعتزاز الحكم فهو هيبة للعدو ، ومن قعد اتبع السنَّة التي عنكم أخذت فهو دين لكم . . فقال له أمير المؤمنين : صدقت يا محمد[١٣] .

كان **شرف الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن عين الدولة** قاضياً بمصر ، رفض شهادة **الملك الكامل** ، وقال له السلطان يأمر ولا يشهد ، فأعاد السلطان القول على القاضي ، والقاضي يصرُّ على موقفه ، إلى أن سأله السلطان صراحة هل تقبل شهادتي أم لا ؟

أجاب القاضي شرف الدين بكل ثقة : لا أقبل شهادتك[١٤] .

بلغ من مكانة القاضي الاجتماعية أن حضر **ابن دقيق العيد** مرة عند السلطان فقام إليه السلطان وقبّل يده فلم يزد على أن قال له أرجوها لك بين يدي الله تعالى[١٥] .

إن الأكابر يحكمون على الورى ... وعلى الأكابر يحكم العلماء

كان القاضي بمركزه الاجتماعي وبما وُكِلَ إليه من قضاء بين الناس كثيراً ما كان يدعى الحاكم إلى حضرة القاضي فيأتي تاركاً وراءه عظمة الملك وأبهة الخلافة وجاه السلطان فيحضر غير متميز على أحد . . وكان القاضي يحكم له أو عليه وهو يعلم أنه لا سلطان فوق سلطانه ، فإذا حكم

مكانة القاضي المسلم في المجتمع الإسلامي

فحكمه نافذ ، وإذا أمر فأمره مطاع ، وكان الخصم يخرج من مجلس القاضي بريئاً أو مذنباً لا يحمل له حقداً ولا بغضاً ، بل كان الأمراء يخضعون لحكم القاضي ويكنون له في ذلك كل تقدير واحترام .

منصب القاضي

حدث خلاف بين **أبي حامد بن محمد الأسفراييني قاضي بغداد** وبين الخليفة العباسي ، وكان كل منهما يرى نفسه في مواقع لا يدانيه آخر ، واشتد الخلاف بينهما وهدد الخليفة بعزل القاضي من منصبه ، فكتب القاضي إلى الخليفة قائلاً :

« إعلم أنك لست بقادر على عزلي من ولايتي التي ولانيها الله تعالى ، وأنا أقدر أن أكتب إلى أهل خراسان بكلمتين أو ثلاث فأعزلك عن خلافتك » .

كان **القاضي محمد بن عمرو الطلحي** قاضياً وكان عادلا في حكمه ، جريئاً في قضائه ، كل الخصوم عنده سواء . . رفعت إليه قضية ، المدّعون فيها من الحمالين والمكاريين ، والمدعى عليه **الخليفة المنصور العباسي** ، فلم يتنح القاضي عن نظر القضية ولم يدفع بعدم الاختصاص ، بل حدد وقتاً لنظرها .

أمر القاضي كاتبه **نمير المديني** بكتابة إعلان ، يستدعي فيه الخليفة ليمثل بين يدي القاضي ، ويأتي مدعياً عليه ، وهنا يحاول الكاتب الاعتذار لمعرفة الخليفة لخطه ، فيصر القاضي على كتابته ، بل أكثر من ذلك أن يعلن الخليفة بنفسه ، وبعد أخذ ورد وجذب وشد ، كُتِبَ الخطاب وذهب الكاتب وأعلن الخليفة بميعاد الجلسة وسلَّم الإعلان للربيع الذي أوصله بدوره إلى الخليفة .

استجاب الخليفة لأمر القاضي ، وجاء يوم القضية واستعد الخليفة ليذهب أمام عدالة القضاء ، وخرج الربيع على الناس يأمرهم بأمر الخليفة فيقول :

« إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم إني قد دعيت إلى مجلس الحكم ــ القضاء ــ فلا أعلمنَّ أحداً قام إليَّ إذا خرجت أو أبدأني بالسلام إلا فتكت به » .

ذهب الخليفة إلى المسجد ، حيث تعقد جلسة القضاء ، وبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلَّم عليه ، ثم قال للربيع :

أخشى إن رآني محمد بن عمرو الطلحي أن يدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه فوالله لئن فعل ذلك لا أوليه على ولاية أبداً .

كان القاضي رجلاً صالحاً فلم يعبأ بدخول الخليفة ، كان متكئاً فأطلق رداءه على عاتقه ، ثم دعي بالمدعين وهم من الحمالين والمكاريين ، والمدعى عليه وهو الخليفة . . ومثل الجميع أمام القضاء فسألهم وناقشهم . . وكان القاضي يتميز بالدقة والعدالة والرحمة ومن العدل الإيجابي شريفاً لشرفه ، ولو كان الخليفة ، ولا يظلم ضعيفاً ولو كان من الحمالين والمكاريين .

وهنا خلا القاضي إلى نفسه ، وجمع شتات فكره ، وأخذ يفكر في هذه القضية ، وجعل يجهد قريحته إلى أن كشف سرها وعلم أن الحق مع المدعين . . فحكم على الخليفة المنصور العباسي ، وخرج الخليفة محكوماً عليه .

دخل الخليفة داره وقال للربيع اذهب فإذا قام وخرج من عنده من الخصوم فادعه ، فقال الربيع يا أمير المؤمنين ما دعا بك حتى فرغ من أمور الناس جميعاً ، ودخل القاضي على الخليفة فما عنفه على حكمه ، ولا أقاله من عمله ، بل أثنى عليه قائلاً :

« جزاك الله عن دينك ونبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء »[16] .

القضاة في الإسلام رجال وهبهم الله ذكاءً في الفهم ، وصفاءً في النفس ، ولطافة في الحس ، وسمواً في العقل ، وغذاءً في الروح .

أهم المراجع

(١) المغني لابن قدامة ، جـ٣ ، ص ٣٧ ــ ٣٨ .
(٢) الخلق الكامل ، للمرحوم محمد أحمد جاد المولى ، جـ٣ ، ص ٨٧ ، وما بعدها .
(٣) تاريخ بغداد ، جـ٨ ، ص ٢٣٣ .
(٤) وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص ٨١ .
(٥) من بحث نشر بمجلة الشهاب ، ص ٢٤٥ .
(٦) حسن المحاضرة ، للسيوطي ، جـ٢ ، ص ٩٠ .
(٧) تهذيب تاريخ دمشق ، جـ٧ ، ص ٩٠ .
(٨) تاريخ بغداد ، جـ١١ ، ص ٦٥ .
(٩ ، ١٠) تاريخ القضاء في الإسلام ، محمود عرنوس ، ص ١٨٥ ، وما بعدها .
(١١ ، ١٢) الفكر القانوني الإسلامي ، فتحي عثمان ، ص ٣٢١ .
(١٣) راجع بالتفصيل تاريخ بغداد ، جـ٢ ، ص ١٧٠ .
(١٤) حسن المحاضرة للسيوطي ، جـ٢ ، ص ٩٧ .
(١٥) المصدر السابق نفسه ، جـ٢ ، ص ١٠١ .
(١٦) خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك ، لعبد الرحمن سنبط الإربلي بتصرف ، ص ٦٢ ، وما بعدها .

(*) كتب الكاتب هذا الموضوع لمجلة « الفيصل » قبل وفاته .

الغاز الطبيعي في الوطن العربي

حاضره ومستقبله

بقلم: مهندس أحمد طاهر إمبابي

الغاز الطبيعي مادة هيدروكربونية مثله مثل الخامات والمنتجات البترولية . ويعتبر الغاز الطبيعي من أهم مصادر الطاقة ، وهو موجود في باطن الأرض وينبع من الحقول المستكشفة والتي إما تكون غازات مصاحبة للزيت ويكثر في هذا النوع من الغازات نسبة الغازات البترولية المسالة أو تكون غازات طبيعية منفرده وهذة تتميز بارتفاع نسبة غاز الميثان بها (حوالي ٩٣٪) .

خواصه

(١) يتميز بأنه خال تقريباً من كافة مركبات الكبريت العضوية وغير العضوية . وهذه ميزة كبرى تشجع الصناعات على استخدامه لانخفاض التآكل وانخفاض مصروفات الصيانة والتشغيل للمصانع وتوفر من تكلفة معالجته وتقلل من تلوث الهواء بنواتج احتراقه كما أنه يدخل في التفاعلات الكيماوية مباشرة وخاصة المواد نصف المصنعة والوسيطة والتي يمثل فيها الغاز نسبة كبيرة من تكلفة الانتاج مثل **الامونيا واليوريا والميثانول والايثلين** وباقي الصناعات الكيماوية .

(٢) ويختلف في تركيبه عن الغاز الصناعي وهذا ينعكس بالتالي على عمليتي الإشعال والإحراق ويكفي من الغاز الطبيعي مايعادل نصف كمية الغاز الصناعي للحصول على الحرارة المطلوبة وذلك كمصدر للطاقة وخاصة للخدمات المنزلية .

(٣) وتبلغ نسبة الغاز الطبيعي الحرارية ٩٥٠٠ كيلو كالوري للمتر المكعب ، ويمكن إسالته تحت ضغط جوي عادي وذلك بتبريده إلى حوالى ١٦٠ درجه مئوية تحت الصفر ويعرف عندئذ **بالغاز الطبيعي المسال** مما يُسهل نقله وتستخدم هذه الطريقة في حالة تصديره للخارج بالناقلات الخاصة أو تخزينه في الآبار الجافة .

(٤) ويعتبر الغاز الطبيعي وقوداً نظيفاً جداً يمثل عاملاً كبيراً في الصراع من أجل محاربة التلوث وحفظ الجو والمباني نظيفة لذلك فإنه يُطلق عليه **الوقود الحضاري** وهو ماتسعى اليه كل الدول التي تعاني من مشكلة التلوث .

اكتشافاته

لقي استخدام الغاز اقبالاً شديداً في مجالات توليد الكهرباء والاستهلاك المنزلي في أوربا منذ عدة سنوات حتى قبل استخراجه من باطن الأرض حين كان إنتاجه من الفحم في خلال الأربعينيات . وفي خلال الفترة من عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٦٥م تضاعف استخدامه **في الولايات المتحدة** حتى أصبح يمثل نحو ٣٤٪ من استخدامات أنواع الطاقة الأولية المختلفة في أوائل السبعينيات .

وشاع استخدام الغاز الطبيعي في أوربا بعد اكتشاف حقل **جروند نجن في هولندا** عام ١٩٥٦م وزاد معدل استخدامه بعد ذلك بعد إنشاء المرافق اللازمة لتصديره من **روسيا والجزائر** ثم اكتشاف حقول الغاز في الجنوب ثم في شمال بحر الشمال في الفترة من عام ١٩٦٥م إلى عام ١٩٦٩م وارتفعت بذلك نسبة مساهمته في توفير الطاقة في أوربا من ٢٪ في عام ١٩٦٠م إلى نحو ١٧٪ حالياً .

ولازالت احتمالات نمو استخدامه كمصدر من مصادر الطاقة في ازدياد مستمر لاسباب عدة منها أن **احتياطياته** المؤكدة في العالم تصل إلى نحو ٤٥٠ بليون برميل من الزيت المعادل (٦٠ بليون طن) وهو مايعادل ٦٤ تريليون متر مكعب ويمثل نحو ٤٠٪ من اجمالي احتياطيات العالم المؤكدة من الزيت والغاز .

ويمكن أن تعطي هذه الاحتياطيات المؤكدة للغاز الطبيعي إنتاجاً يومياً قدره ٦٠ مليون برميل من الزيت المعادل (على أساس مدة إنتاج قدرها عشرون عاماً) .

وبالنسبة **للاحتياطيات الكلية** فإنها تقدر بنحو أربعة أضعاف الاحتياطيات المؤكدة أن نحو ٢٠٠٠ بليون برميل من الزيت المعادل وهو يساوى تقريباً الاحتياطيات الكلية المقدرة بمكافىء الزيت الخام . فإذا أخذنا في الاعتبار أن احتمالات تحويل الاحتياطيات الكلية إلى احتياطيات مؤكدة ممكن استخدامها أكثر بالنسبة للغاز منها للزيت (نحو ٦٠٪ بينما ٣٠٪ فقط بالنسبة للزيت الخام) فإنه من المتوقع أن تزيد احتياطيات الغاز الطبيعي المؤكدة عن

احتياطيات الزيت الخام المماثلة في المستقبل القريب .

وربما هذا هو السبب في أن احتياطيات الغاز المؤكدة قد تضاعفت خلال السنوات العشر الماضية بينما لم ترتفع احتياطيات الزيت الخام كثيراً خلال هذه الفترة .

وسوف يساعد على زيادة معدلات اكتشاف حقول الغاز الطبيعي ماحدث من تقدم تكنولوجي في وسائل البحث والتنقيب وفي تكنولوجيا الحفر العميق حيث توجد احتمالات أكثر لوجود مكامن الغاز .

بالنسبة للدول العربية فمن الطبيعي أن حقول الزيت الخام المستكشفة تنتبع كميات من الغاز الطبيعي لو أحسن تنميتها لأمكن الحصول على كميات متضاعفة عاماً بعد آخر للاستفادة منها في مجالات كثيرة بصورة تساعد على التقليل بقدر الإمكان من تلوث البيئة باستعمال هذا الوقود الحضاري .

بالإضافة إلى كميات الغاز الطبيعي الناتجة من حقول الزيت الخام ـ فاحتمالات وجودها في صورة غازات طبيعية منفردة (وليست غازات مصاحبة للزيت) كبيرة وهذه الغازات الطبيعية المنفردة تتميز بارتفاع نسبة غاز الميثان بها حوالي ٩٣٪ .

لذا يجب علينا تنمية الحقول الحالية والحقول المكتشفة المنتجة للغازات المصاحبة والغازات الطبيعية مع ترشيد استهلاك الاحتياطي من هذه الغازات حتى يطول عمر الاحتياطي أيضاً خفض معدلات الانتاج السنوية وأخيراً تنمية وصيانة هذه الحقول .

الآثـار المترتبـة

يتطلب إمداد المستهلكين بالغازات الطبيعية والغازات المصاحبة أن تكون نظيفة جافة تماماً ولهذا تجرى عليها عمليات تنقية واستخلاص منتجات منها وعلى النحو التالي :

(١) استخلاص غازات مسالة (بوتاجاز).
(٢) استخلاص متكثفات .

الغاز الطبيعي في الوطن العربي

الشبكات القومية لخطوط الغاز

لما كان نقل الغاز من مراكز إنتاجه إلى مواقع الاستهلاك المختلفة هو العنصر المؤثر الفعال في كفاءة استغلاله وحتى يمكن الاستفادة من هذه الطاقة أقصى استفاده قام قطاع البترول من خلال الشركات المتخصصة في نقل الغاز باعداد خطة لتطوير شبكات خطوط نقل الغاز مبنية على استخدام الوسائل العلمية والتكنولوجيا الحديثة المتطورة .

تـوصيـل الغـاز للمنـازل

يعتبر هذا المشروع من أصعب المشروعات في التنفيذ وخاصة في الدول النامية لما يواجهه من مشكلات وعقبات في كل متر يتم حفره في الشوارع وفي كل شقة ومع كل عميل .

وأساس تصميم هذا المشروع هو التكنولوجيا العالمية هندسياً وفنياً ، وكذلك من حيث المواد والمعدات المستخدمة فيه ووسائل الأمان والسلامة .

عموماً يتكون المشروع من الآتي :

١ ـ خطوط ضغط عالٍ : من الحقول إلى المناطق السكنية .

٢ ـ محطات إضافة الرائحة : وهي الرائحة المميزة للغاز مع ضبط درجة تركيزها بما يتناسب مع معدلات دفع الغاز بالخط نظراً لان الغاز الطبيعي عديم الرائحة .

٣ ـ محطات تخفيض الضغط : عند مدخل كل قطاع من ضغط تشغيل عالٍ إلى أقصى ضغط مسموح به لتشغيل شبكة التوزيع في المدن (٤ جو) .

ومحطات تخفيض الضغط هذه مصممة بحيث تعمل اوتوماتيكياً عن طريق احساسها بالضغط داخل شبكة التوزيع على امداد الشبكة بالغاز طبقاً لمعدلات الاستهلاك والمحافظة على الضغط حتى لايتعدى أقصى ضغط مسموح به والمزودة بكافة وسائل تأمين شبكة التوزيع من اخطار ارتفاع الضغط داخلها .

٤ ـ شبكة التوزيع داخل المدن : وهذه تكون من :

(١) خطوط التوزيع الرئيسية : وهي مصنوعة من أنابيب الصلب بأقطار تتراوح من ٦ ـ ١٤ بوصة أو من الأنابيب المصنعة من البولي ايثلين المتوسطة الكثافة MOPE بأقطار تتراوح بين $\frac{٢}{٣}$ ، ٥ بوصة .

(٢) خطوط الخدمة الأفقية : وهي الخطوط العمودية على خطوط التوزيع الرئيسية وهي تشتمل على جزء من أنابيب البولي ايثلين وجزء من المواسير الصلب يتم توصيلها معاً بوصلة ضاغطة خاصة كما يتم تزويد خطوط الخدمة بمجموعة من المحابس للتحكم والسيطرة على انسياب الغاز .

(٣) مجموعة منظمات : للتحكم في ضغط الغاز داخل شبكة التوزيع والمجهزة بمعدات تأمين الشبكة من ضغط الغاز الزائد والمحابس العازلة لإمكان السيطرة على القطاعات المختلفة في الشبكة عند اجراء الصيانات الدورية أو الطارئة .

٥ ـ التركيبات المنزلية :

(أ) التركيبات الخارجية أو خطوط الخدمة الرأسية Risers وهي من المواسير الصلب مقاس ١ بوصة أو ٢ بوصة تمتد رأسياً من نقطة اتصالها بخط الخدمة الأفقي بارتفاع المبنى وقد أخذ في الاعتبار في كافة الحالات احتمالات التوسعات الرأسية في المباني الحالية ، ويتصل بخطوط الخدمة الرأسية تفريعات إمداد الغاز عند كل وحدة سكنية (شقة) مزودة بوصلات تمدد لامتصاص أي تغير في أطوال المواسير طبقاً للتغير في أطوال المواسير وطبقاً لتغير الحرارة على مدار اليوم الواحد وفصول العام منعاً لتوليد أي اجهادات على المواسير والمحافظة عليها .

(ب) التركيبات الداخلية : وهي تشتمل على مجموعة عداد قياس كميات الاستهلاك ومزود بمنظم لضمان ثبات الضغط عند فونية

الاحتراق في الأجهزة المنزلية لضمان سلامة وأمان التشغيل ويجب أن تصمم كل شبكة داخلية لكل عميل على حدة بعد اجراء عمليات المسح للمسكن والأجهزة طبقاً لمتطلبات الاستهلاك ولضمان توصيل كميات الغاز المطلوبة لتشغيل الجهاز .

٦ ـ **التحويلات** : نظراً لوجود اختلافات جوهرية في خواص كل من الغاز الطبيعي الذي يشتمل على حوالي ٩٣٪ من الميثان عن البوتاجاز الذي يتكون من خليط من البروبان والبيوتان بنسبة تتراوح بين ٧٠ ـ ٩٠٪ بيوتان ، فقد كان من الضروري اجراء التعديلات اللازمة لنظام إشعال الأجهزة المنزلية لتهيئتها لاستقبال وإشعال الغاز الطبيعي بما يتضمن الآتي :

(أ) المحافظة على ثبات كمية الحرارة المتولدة في الجهاز لكل ساعة عند استخدام الغاز الطبيعي بدلاً من البوتاجاز .

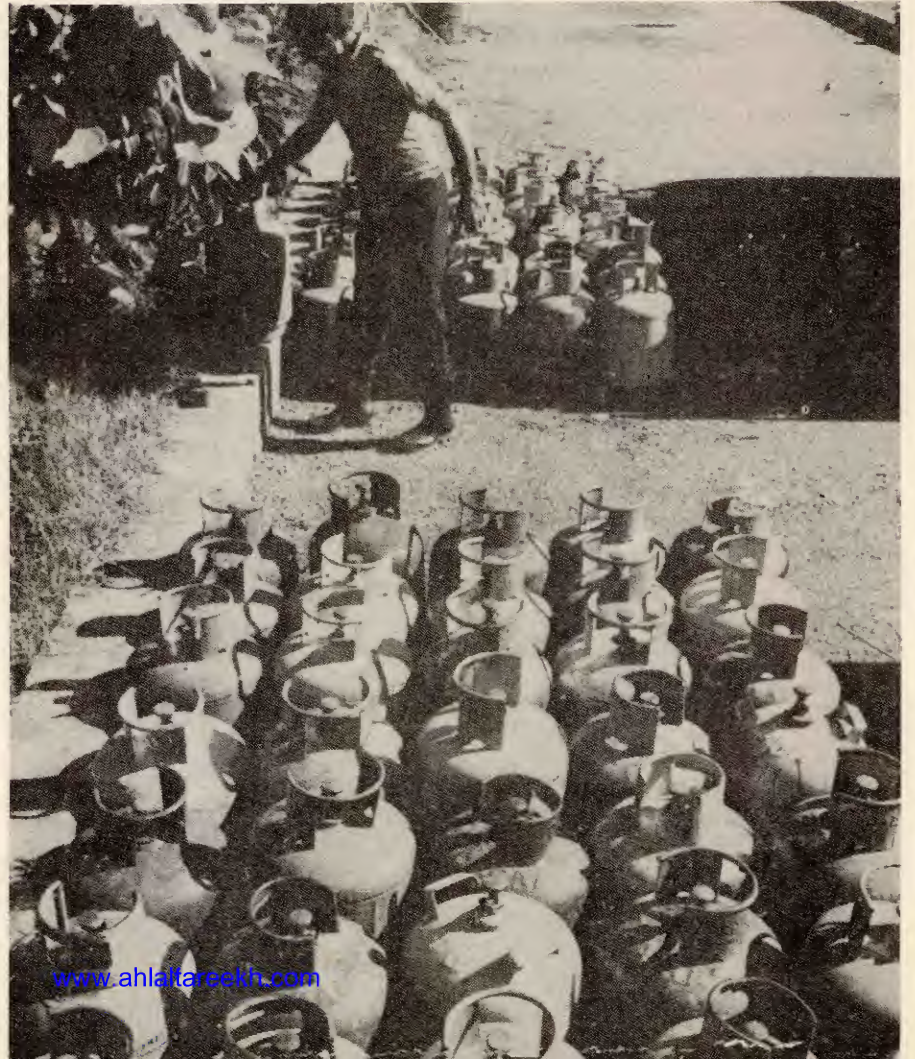
(ب) سلامة وأمان تشغيل الجهاز المنزلي أثناء عمليات اشعال الغاز الطبيعي .

(جـ) وضع نظام توصيل الغاز الطبيعي للجهاز بما يضمن سلامة وأمان شبكة الامداد بالغاز وتعرف هذه العملية بعملية تحويل الأجهزة المنزلية والتي يتم اجراؤها لكل الأجهزة المنزلية (طهو ـ سخانات مياه) التي ستعمل بالغاز الطبيعي .

وقود للسيارات والجرارات الزراعية

بالرغم من أن استهلاك الغاز الطبيعي يتخلف بخطوات كبيرة عما يتم اكتشافه من مصادر جديدة له . فإن احتياطي الغاز الطبيعي يمثل نسبة ليست بقليلة من احتياطي الزيت فقد تصل هذه النسبة إلى ٥٠٪ .

★ هذه الصورة سوف تختفي في المستقبل ★



ومن المعروف أن الاستخدامات الحالية لهذا الغاز تنحصر فيمايلي : ـ

١ ـ وقود في الأفران المختلفة أو التوربينات الغازية .

٢ ـ مادة أولية تدخل في الصناعات البتروكيماوية مثل صناعة الأسمدة الآزوتية ، البلاستيك ، وإنتاج كحول الميثانول .

٣ ـ مادة مختزلة في صناعة الحديد والصلب .

٤ ـ إنتاج الزيت الخام بالطرق الثانوية .

المميّزات

أما استخدام الغاز الطبيعي كوقود للسيارات (والجرارات الزراعية) فلهذا مميزات كثيرة ينفرد بها الغاز الطبيعي كوقود للسيارات بالمقارنة بالبنزين وهذه المميزات هي :

(١) **ارتفاع رقم الاوكتان** للغاز الطبيعي والذي يصل إلى ١٢٥ ، بينما يصل إلى ٧٠ للبنزين العادي و ٨٥ للبنزين الممتاز .

(٢) الغاز الطبيعي يحترق كاملاً في المحرك ، حيث يسهل خلطه مع الهواء الداخل .

(٣) انخفاض معدلات تدهور زيوت المحركات التي تعمل بالغاز الطبيعي لخلوه من مركبات الكبريت أو المركبات الأخرى التي توجد عادة في البنزين .

(٤) استخدام الغاز الطبيعي كوقود للسيارات يؤدي مباشرة إلى نظافة البيئة لعدم وجود ملوثات للبيئة به مثل مركبات الرصاص أو مركبات الكبريت ، وأيضاً لأن ناتج حريقه لايحتوى على أول أكسيد الكربون .

(٥) الوفر الممكن تحقيقه نتيجة انخفاض تكلفة الغاز الطبيعي والذي يمكن أن يصل إلى ٥٠٪ من تكلفة البنزين .

وتقدر تكلفة تزويد السيارة بدائرة لاستخدام الغاز الطبيعي بحوالي ٥٠٠ جنيه مصري تشمل اسطوانتين لحفظ الغاز تحت ضغط حوالي ٢٠٠ كجم/سم^{٢} . وتوضع عادة في حقيبة السيارة بالاضافة إلى التوصيلات والصمامات اللازمة . وتكفي كمية الغازات

التي توجد في هاتين الاسطوانتين لتسيير السيارة مسافة ٢٠٠ كيلو متراً ، يمكن بعدها تحويل السيارة إلى البنزين حتى تصل إلى أقرب محطة تموين لإعادة ملء الاسطوانتين مرة أخرى وتستغرق عملية إعادة تموين الاسطوانتين من ٨ ـ ١٠ دقائق للسيارة العادية .

ويجرى حالياً في العالم حوالي ٤٠٠,٠٠٠ سيارة تعمل بالغاز الطبيعي منها ٢٥٠,٠٠٠ في إيطاليا وحدها تستهلك حوالي ٣٠٠ مليون متر مكعب من الغاز سنوياً وتخدمها ٢٢٠ محطة تموين . وهذه المحطات متصلة بشبكة توزيع الغاز الطبيعي . ولا يسمح القانون بإقامتها إلا في ضواحي المدن ، وعلى بعد لايقل عن ٥٠ متراً من أي مبانٍ سكنية .

(٥) استخدام الغاز الطبيعي كوقود للسيارات لايشكل أي خطورة حيث إن الاسطوانات مصممة لتحمل الصدمات والضغوط العالية . وتنص قواعد الأمن على عزل المكان الذي توضع به الاسطوانات عزلاً تاماً عن المكان المخصص للركاب ، وتوفير التهوية للمكان الذي توجد به .

العيــوب

أما استعمال الغاز الطبيعي كوقود **لسيارات الديزل والجرارات الزراعية** ، فإن تحويلها لاستخدام الغاز الطبيعي لم يجد قبولاً لدى المستهلك وذلك لانخفاض سعر السولار وبالتالي عدم وجود حافز اقتصادي **وفيما يلي عيوب استخدام الغاز الطبيعي كوقود للسيارات :**

١ ـ التكلفة الرأسمالية المطلوب إضافتها لثمن السيارة مقابل تزويدها بدائرة لاستخدام الغاز الطبيعي .

٢ ـ الحمل الإضافي (الذي تمثله اسطوانات الغاز) على السيارة والذي قد يصل إلى ١٠٠ كيلو جرام .

٣ ـ وجود محطات تموين الغاز خارج المدن .

لذا فقد اتجه البعض إلى استخدام الغاز الطبيعي كوقود للسيارات وذلك في صورة أخرى وهي الصورة السائلة ، عن طريق تحويله إلى ميثانول (كحول ميثيلين) . **ومما هو جدير بالذكر أنه يمكن استخدام الميثانول كوقود بصورة مباشرة في محركات البنزين إلا أن هذا يُجابه بالمشكلات التالية :**

١ ضرورة إنشاء سلسلة من محطات التموين الخاصة كما هو الحال عند استخدام الغاز الطبيعي .

٢ ضرورة ادخال بعض التعديلات على أجهزة السيارة .

٣ نظراً لأن القيمة الحرارية للميثانول هي نصف القيمة الحرارية للبنزين ، فإنه من المتوقع أن تقطع السيارة نصف المسافة التي تقطعها عادة باستخدام البنزين وذلك قبل إعادة تموينها .

٤ الميثانول سام جداً ، وبالتالي يلزم اتخاذ احتياطات أمنية شديدة .

بعد عرض مميزات وعيوب استخدام الغاز الطبيعي كوقود للسيارات والجرارات الزراعية يمكن القول بأن هذه المميزات ستدفعنا كثيراً لتبني عملية تنمية وتطوير إنتاج هذا الغاز أو الوقود الحضاري خاصة وأننا أصبحنا الآن بل أصبح كل العالم يتكلم كثيراً ويشتكي أكثر من تلوث البيئة وأمراض تلوث البيئة ـ فطالما لدينا الأسلوب الجيد للوقاية (وإن كان الآن أصبح وقاية وعلاج) فلماذا لا نبدأ وفوراً .

فــي المنــازل

★ أخيراً نتعرض لمميزات استخدام الغاز الطبيعي في المنازل كبديل للبوتاجاز ، هذه المميزات هي :

١ ـ خلو الغاز الطبيعي من الكبريت الذي ينتج عنه التلوث الذي ينتجه البوتاجاز . هذا بالإضافة إلى أنها تحتفظ بتشغيل الأجهزة التي تستخدمها عمراً أطول .

٢ ـ أنها خفيفة وحتى إذا حدث وتسربت فإنها تتطاير في الجو سريعاً وذلك على عكس البوتاجاز الذي يعتبر غازاً ثقيلاً وعند تسربه لا يتطاير في الجو وإنما يترسب في الأجزاء السفلى وهو الخطر الأكبر عند تعرضه للاشتعال.

٣ ـ استخدامها سهل فالبيت الذي تدخله تصل إليه عن طريق شبكات أنابيب مثلها مثل الماء في الحنفيات فبفتح الصنبور نحصل على الطاقة المطلوبة من الغاز الطبيعي .

٤ ـ استخدام الغاز الطبيعي لا يتطلب تغيير الأجهزة .

واستخدام الغاز الطبيعي ليس باباً من أبواب الرفاهية التي تدخل بيوت بلادنا العربية ، لكنه ضرورة لها فمشكلة البوتاجاز ليست في سعره العالي الذي يباع به (٤٠٠ دولار للطن) لكي نكفي به احتياجات مواطنينا الزائدة ولكن المشكلة الأخطر أنه بعد سنوات قليلة قد ينقرض البوتاجاز من العالم ولولا ظهور الغازات الطبيعية في بلادنا ولولا سرعة إقدامنا من الآن على استخدامها ودخولها البيوت العربية لوجدت هذه البيوت نفسها في المستقبل إلى استخدام وابور الجاز أو الاقبال على استخدام مواقد وسخانات الكهرباء .

المراجع

(١) الغاز الطبيعي في المنازل ـ حاضره ومستقبله ـ مجلة المهندسين ـ العدد ٣٨٨ فبراير ١٩٨٧ ـ المهندس/عبد الحميد أبو بكر .

(٢) الغاز الطبيعي كوقود للسيارات ـ مجلة البترول ـ المجلد ١٩ ـ العددان ٢ ، ٣ ـ مارس وإبريل ١٩٨٢ ـ الدكتور/ أحمد السيد .

(٣) البترول في جمهورية مصر العربية ـ مجلة البترول ـ المجلد ٢٢ ـ العدد ٣ ـ مارس ١٩٨٥ ـ إعداد/ سميحة إسماعيل .

(٤) مقومات صناعة الغازات ـ مجلة البترول ـ المجلد ٢٢ ـ العددان ٥ ، ٦ مايو ـ يونيو ١٩٨٥ ـ دكتور مهندس/حمدي علي السيني .

(٥) Natural Gas engineering by Maynard M. Stephens and Oscar f. Spencer - Third Edition 1965.

(٦) Properties of Petrolien Reservoir Fluids - Emil J. Burcik - 1961.

(٧) Prevetive Maintenance (John Deer) Author : Louis Hathaway - Third Edition - 1984.



بقلم : جمعة محمد جمعة

انفجار من الداخل



«لا حول ولا قوة إلا بالله ..» .

ضاعت وسط هدير الصراخ ، وزوابع البكاء ، نسوة ورجال ، وأطفال تلفح أجسادهم ريح عاتية ، تتساقط الأمطار ، لكنهم لا يدرون .. مناحة أبطالها جنين وأمل كانا في انتظار لحظة ميلاد .

حينما فاجأ زوجتي غضب جنينها في ظلمة الشرنقة ، والبحر اللزج الذي يعوم فيه ، أخذ يكيل لها الضربات في جنبيها ، وأسفل بطنها ، واستنجدت بي .. حملتها لأول مرة إلى المستشفى .. أدخلتها حجرة ، بها بضعة مقاعد خشبية ، ومنضدة كقطعة من الجليد ، أرقدتها وبعد الكشف عليها أمر الطبيب بنقلها إلى غرفة الولادة .

طردني الطبيب شر طردة ، جلست مقرفصاً في الردهة ، أتلهى بمتابعة الصمت الجاثم فوق الجدران ، بينما يخرجني من متابعتي صخب وضجيج الزوار ، أطفال يجرون ، يتزحلقون ، يضحكون ، أطفال يقعون ، يبكون ويصرخون .

نظرت إلى ساعتي أستعجل الوقت ، لا بد أن ألحق بعملي ، أو أتصل هاتفياً لأخبرهم بظروفي ، متى تخرج زوجتي من الحجرة ، وقد تخففت من حملها ؟ متى يرى جنيننا النور وأضعه بين ذراعي ؟

خرجت تتكئ على كتف ممرضة خلتها ابنتنا ، هتفت بهمة ولهفة :

ـ «ماذا قال الطبيب ؟» .

قالت :

ـ «أمر باحتجازي ، أعطاني حقنة تحمي الطلق ..» .

ثم رفعت أمام عيني ثلاثة أصابع من راحة يدها قائلة :

ـ «ثلاثة قراريط فقط ..» .



بعد برهة فهمت، تذكرت أم السعد مولدة الحي، كانت تزور زوجتي في مرات وضعها المتعددة، كل ساعة، أو ساعتين، وتعلن: «بقي قيراطان ويأتي الفرج».

تمددت زوجتي فوق سرير ضمن ثلاثة أسرة في الحجرة، الأولاد يدخلون ويخرجون في مرح، رجال ونساء يزورون مريضاً لهم، لا يأبهون لصخب الصغار، بين الحين والحين تخرج كلمة من فم أحدهم لينة، طرية لا تهش ذبابة:

ـ «اسكت يا ولد انت وهو».

وأحياناً تخرج نظرة فيها من التشجيع أكثر مما فيها من زجر، تحت الأسرة كرنفال ألوان، قشر برتقال، فول سوداني، قشر بيض، أعقاب سجائر، تلفت حولي، لعنت الفقر المر الذي ألقى بي في غياهب مجتمع المرضى الأكثر مرارة، ترحمت شفتاي على أم السعد، وفي صدري غصة ألم.. لقد اختطفها الموت رغم رسالتها الإنسانية، كم قدمت من كفوف الراحة لأطفال تركوا الأرحام غير نادمين، كم أسهمت مع الفقراء من جيبها الخاص للاحتفاء بالمولود.. رحمك الله يا أم السعد رحمة واسعة، رغم النكران والجحود الذي أصابك في أواخر أيامك من أجيال جديدة، تأبى الأجنة الخروج من أرحامهن إلا على أيدي الأطباء.

لماذا يتبوأ الموت مكانة عالية في رأسي، هززتها، أمسكت يد زوجتي وهي تخرج من فمها صرخة ألم، وأمل، حقنتها الممرضة مرة أخرى وقالت:

ـ «شدي حيلك، كلها ساعة أو ساعتين».

نظرت إلى الوقت في معصمي، انتهت مواعيد العمل الرسمية، لن أستطيع الاتصال بعملي. في الغد إن شاء الله أزف إليهم النبأ السعيد، يشاركونني الفرحة، يغفرون لي تغيبي دون إذن، يقول رئيسي مبتسماً:

ـ «مبروك يا سيدي، قبلت عذرك من أجل المولود..».

عملي حساس، رغم ضآلته في نظر البعض، وأهميته في اعتقاد البعض الآخر.. بعضهم يأتيني ويحييني:

ـ «صباح الخير يا عم مسعود، البيك هنا اليوم..».

لا أخفي سراً على هؤلاء:

ـ «اليوم في الوزارة، أو في مؤتمر، أو في اجتماع، أو في إجازة..».



والبعض الآخر يشذ عن هذه القاعدة، يقول في عنجهية:

ـ «يا مسعود، البيك وصل».

هذا البعض أتركه فريسة حب استطلاعه، تنهش لحمه قبل عظامه، وأرد:

ـ «سيحضر بعد قليل..».

وأسعد كثيراً لترددهم عليَّ كل فترة وإعادة السؤال.

ازدادت زوجتي تألماً، تتابعت الطلقات تلتهم الدقائق بينها، عشر دقائق، ثمان، سبع، ست، خمس.. هرولت أبحث عن الطبيب، فتشت في حجرة الأطباء، حجرة الاستقبال، في كل ردهات المستشفى ولا من مجيب، بعد لأي قالت ممرضة:

ـ «لعله انصرف في موعد الانصراف..».

أصابتني فاجعة، صرخت:

ـ «انصرف، وحياة امرأتي في خطر..»؟

قالت في بلاهة الاعتياد:

ـ «تنتظر حتى صباح الغد..».

وقفت أفتش عمن يجيرني، لم يجرني إلا الله حين ألهمني فكرة إخراجها، والذهاب بها إلى مستشفى آخر، ومرة أخرى لقيني العنت بوجه مكفهر:

ـ «لا أحد هنا يكتب تصريح الخروج..».

صرخت في وجهه وأنا أقدم له هويتي:

ـ «خذ هويتي، سأخرجها الآن على مسؤوليتي..».

دق المكتب وقد رأيته يتربع عليه بعد أن ألقى بالمكنسة في قاع كومة من القمامة صارخاً:

ـ «ممنوع يا سيد.. لو كنت وزير الصحة لما سلمتها لك.. لا بد من تصريح موقع من الطبيب المناوب..».

جلست كالمرأة الثكلى، أنظر لزوجتي التي هدها الطلق، وفردت ذراعاها إلى جوار جسدها مستسلمة للقضاء والقدر، أفتش عن قوتي، تسربت من جسدي، عن صراخي، ذبلت حنجرتي وتعطلت، وجاءني نذير:

ـ «الـزيارة انتهـت، هيا انصرفوا..».

قلـت في تـوسل واستعطاف:

ـ «لست من الزوار، زوجتي في حالة وضع، متى يحضر الطبيب المناوب»؟

رمقني الرجل بنظرة طويلة متأملة، أظنه رثى لحالي إذ قال:

ـ «فتش عنه في سكن الأطباء..».

هرولت، أصعد درجات، أهبط درجات، أطرق أبواب، أشار أحدهم إلى مبنى صغير يعلن بتطرفه استقلاليته عن المرضى، والعجزة، هرولت ناحيته، وبعد الصد والمنع، والتوسل، والإنذار بالغضب، صرخت بما لا أفقه، حتى أخرسني صوته:

ـ «لماذا تصرخ يا مجنون؟».

ـ «زوجتي في حالة وضع..».

وجاء من الداخل صوت آخر رخو:

ـ «اذهب معه وانته منه..».

صحبني صاحب المعطف الأبيض الناصع، لف حول سرير زوجتي، سأل الممرضة التي لحقت به في اضطراب:

ـ «حالة من هذه..؟».

ـ «حالة دكتور..».

وآثرت أن تهمس له في أذنه بما تبغي من قول، هز بعدها رأسه وقال وهو يربت على كتفي:

ـ «اطمئن.. ستلد في الصباح..».

أي اطمئنان هذا، أنا نفسي لا أطمئن إلى عيني، هل رأتاه يكشف عليها أم لا، هل جاء معي من السكن أم لا؟ هل سمعت منه شيئاً أم لا؟ هل أنا يقظ أم لا؟

أفاقتني لسعة البرد، وجدت نفسي أجلس القرفصاء إلى جوار الباب الحديدي للمستشفى، الحارس يجلس في استرخاء داخل (كشك) خشبي، يدخن سيجارة، لا يبين من أغطيته إلا عقب السيجارة المتوهج..

قلت وكلماتي ترتعش أكثر من جسدي:

ـ «من فضلك؟ أريد الاطمئنان على زوجتي، إنها في حجرة رقم...».

قال ولم أر تحرك شفتيه:

ـ «كن مطمئناً، بالمستشفى أطباء ساهرون، وممرضات يقمن بالمرور على المرضى، مهمتي حراسة البوابة..».

قلت وأنا أمد قبضة يدي بما تيسر من النقود:

ـ «أتوسل إليك، ألقاء نظرة عليها فحسب..».

قال وقد أقام جزعه نصف قومة:

ـ «أجننت يا رجل، تدخل حجرة الحريم في الليل..؟».

غمغمت:

ـ «معاذ الله، أحرس أنا بوابتك، وطمئني أنت عليها..».

تناول ما حوته قبضتي وقال:

ـ«اهدأ.. اهدأ..».

ثم مشى عبر الظلام الساجي متمهلاً، وقف أمام باب جانبي، نادى ممرضة، همس لها، وانتهى بأن تثاءب في صوت بشع جسّمه الصمت، عاد وقال:

ـ «سأطمئنك يا سيدي، اهدأ، ألا تعرف أنها الآن بين يدي الله، آه، المرأة في حالة الوضع تحف بها الملائكة..».

هززت رأسي أنفض المعنى السيئ الذي امتلكها، بسطت راحتي وتطلعت إلى السماء:

ـ «يا رب.. اشملها برعايتك، يا رب هون عليها.. يا رب سلم..».

أقعيت إلى جوار الباب، خرجت عيناي تفتش في الظلام السادر عن ثوب أبيض يشقه كهلال شق كبد السماء، أشعر بروحي تتسلل رويداً رويداً من أجزاء جسدي، اللهفة تخنق دقات قلبي، أشعر بها تكاد تفتك تهتك جدرانه، أهل الثوب الأبيض، عادت قواي التي أوشكت أن تسقط تحت قدمي، أمسكت بالقضبان الحديدية:

ـ «خير يا هانم.. خير يا ست..».





ـ « اطمـئن ، دخلـت حجرة العمليات . . » .

ثم وقفت ، أخذت تمازح حارس البوابة ، لا يدرك رأسي إلا قهقهاتها ، أوشكت أن أصرخ :

ـ « ألا تحسـون آلام البشر ، و . . . » .

كبلت في براحة يدي وهي تقول للحارس :

ـ « اصنع الشاي حتى أحضر . . » .

قال متسائلاً :

ـ « ماذا وراءك ؟ » .

قالت :

ـ « رحـم المريضـة انفجر ، سأطلب الدكتور في البيت . . » .

هـرولت ، تتبعهـا صرخاتي :

ـ « زوجتي . . رحـم زوجتي انفجر . . » .

وأخـذت أدفـع البـاب بقوتي الواهية :

ـ « افتح يـا رجـل . . زوجتي في خطر . . » .

سعل الحارس في غضب ثم قال :

ـ « اهدأ يا رجل ، كل المرضى في خطر ، مـاذا تفعل لها ، سيحضر الطبيب بعد قليل . . » .

قلت وأنا أدفع برأسي في فراغ بين قضيبين :

ـ « والطبيـب المناوب . . ؟ » .

قال في لا مبالاة :

ـ « لا يفهم في أمراض النساء » .

خمدت أنفاسي كأنفاس الليل الساجي حولي ، مـاذا أستطيع أن أقدم لها ، لست طبيباً ، ولا مولدة ، والأمر من البداية للنهاية في يد الطبيب ، لا . . أستغفر الله ، الأمر كله في يد الله ، ويد الله فوق أيدينا جميعاً .

انقشع الظلام بغتة ، أيادي حانية تـربت على كتفي ، تطلعت ، الوجوه كأنـي أراهـا لأول مـرة ، بعض الأهـل ، بعض الجيران ، أرشف وجـوه أبنائي بعيني كأنهم ليسوا مني ، أتحسس أجسادهم كأنهم شبوا أكثر ممـا عهدتهم . .

ـ «كيف حالها ؟ » .

ـ «هل وضعت ؟ » .

ـ « لماذا تأخرت ؟ » .

ـ « هل أصابها شر ؟ » .

ـ « أيـن أمـي يـا أبـي ؟ » .

مرقت سيارة من الباب إلى الداخل ، تابعتها بفم أخرس ، وعين مطفأة ، غمغمت :

ـ « إنها في خطر . . » .

قال الحارس :

ـ « الطبيـب وصل . . » .

ـ « ربنا معهـا . . » .

ـ « اجبرها يـا رب بالسلامة . . » .

السكون المطبق على جسدي شـل أفكاري ، إحساس التخمة يوقف كل حركات أعضائي الحية ، كل شيء هين ، تتساوى البهجة مع الحزن ، لا شيء يدوم ، كل يـأخذ وقتـه ويمضي ، الأنفاس ذاتها إلى فناء .

مـرقت نفس السيارة بعد لحظات إلى الخـارج ، تـابعتها ، لا أملك تحـريك ذراع لإيقـافها ، لا أملك تحريك لسان لأسأل ، لا أملك خطوات أتجه بها نحو الداخل .

جـاءت ذات الثـوب الأبيض ، تتهادى كملاك لا يراه إلا الحالم ، قالت كلمات لا يجمع خيوطها إلا اليقظ ، ضـاعت وسـط الصراخ والبكاء . . سألت مستفسراً :

ـ « مـاذا حـدث ؟ لماذا الصراخ والبكاء ؟ » .

ربتت الأيدي الحانية على كتفي :

ـ « شد حيلك . . ربنا يرحمها . . » .

انتبهت لآخر مـرة ، والممرضة تقول :

ـ « اطمئنوا . . الجنين حي . . الجنين حي . . »

أحاول بصعوبة وجهد فك عقدة لساني ، أبغي أن أردد مع الملاك الذي أتى منذ برهة :

ـ « الجنين حـي . . حي . . حي » .







تأليف : شانوان شمايد
ترجمة : خديجة سليمان

قصص قصيرة جداً للأطفال

الديك

تسلل لصان مسلحان ذات ليلة إلى طاحونة ليسرقا الطحان الثري . وعندما كانا يتسحبان على أطراف أقدامهما العارية في الممر المؤدي إلى غرفة الطحان ، أخذ الديك يصيح في البيت المجاور .

ارتعد أصغر اللصين وهو يقول لزميله :

ـ هذا الحيوان يخيفني ، فهيا بنا ، من الممكن أن يكتشف أمرنا

أجاب الآخر :

ـ أيها الجبان ! إذا ظهر أحد ، نستطيع أن نتعامل معه بخنجرنا على وجه السرعة ، ولن يمنعنا صياح الديك .

واقتحم اللصان حجرة الطحان وقتلاه قبل أن يستوليا على نقوده ، وتمكنا من الهرب بمغنمهما .

بعد ثلاث سنوات ، أثناء وجودهما في فندق إحدى القرى المنعزلة لقضاء ليلتهما ، استيقظا فجأة على صياح الديك .

قال أصغر الاثنين :



ـ حيوان أنت ، كم أود لو عقفت عنقك ، فمنذ عملية الطحان وأنا لا أكاد أسمع صياح الديكة ، إلا وأصابني الفزع .

فاستطرد الأكبر سناً مردداً بقوله :

ـ وأنا أيضا . فقد أخطأنا بقتل الطحان ، فمنذ تلك اللحظة وفي كل مرة يصيح فيها الديك ، أشعر كأني اتلقى طعنة خنجر .

ومع هذا خلدا إلى النوم . لكنهما استيقظا من جديد عند الفجر ، ولكن هذه المرة على أصوات جنود الشرطة ، الذين قيدوا أيديهما وساقوهما إلى السجن .

فقد سمع صاحب الفندق حديثهما من غرفته المجاورة وأسرع بإبلاغ العدالة .

حكم عليهما بالإعدام ونفذ فيهما الحكم بعد فترة وجيزة .

فلو أنهما استمعا إلى تحذير السماء الذي صدر إليهما عن طريق صياح الديك الأول ، لما سلما إلى العدالة بفضل صياح الديك الثاني .

وعلى هذا لا ينبغي أن نتردد أبدا في الاستماع إلى التحذير الأول .

الدجاجة

فتاة فقيرة تدعى **بريجيت** كانت تجلس وحيدة ذات مساء ، في غرفتها الصغيرة وهي تغزل . وفجأة لاحظت دجاجة ضئيلة الحجم تتقدم بخطى مترددة عن طريق الباب نصف المفتوح . تعرفت **بريجيت** على الدجاجة الصغيرة التي شهدتها مرارا في فناء الجارة وبدلا من أن تردها ، تركتها تدخل ، ثم أغلقت الباب بسرعة وحجزتها في « صندرة » صغيرة .

ـ لن يعرف أحد أنها هنا ، واستطيع أيضاً أن أطعمها دون أن يلحظ ذلك أحد ، وأجني مع الوقت عشرات من البيض .

باضت الدجاجة بالفعل منذ اليوم التالي . لكنها أخذت تنقنق ، مثل كل الدجاجات ، فرحا بوضع بيضها . ولم تكن **بريجيت** قد فكرت في ذلك ، فأخذت تقفز على أربع حتى وصلت إلى « الصندرة » لإسكات الدجاجة . وبعد فترة





هرولت الجارة التي تعرفت على صوت دجاجتها . وثارت ضجة كبيرة ، فاعترفت **بريجيت** بفعلتها وفقدت في الوقت نفسه احترام المزارعة والهدايا التي كانت تتلقاها منها دوما ، من زبد وبيض ودقيق .

وهكذا أدركت الفتاة مؤخراً أن : « **الحرام يأخذ الحلال ويطير** » !



البقرة

أرملة كانت تعيش مع ابنتيها في حالة قريبة من البؤس . فقد كن يربحن بالكاد ما يسد احتياجاتهن ، قبل أن تموت بقرتهن الوحيدة ، زيادة في التعاسة .

وظلت النسوة المسكينات في ذعر ، فقد كن يرددن قولهن :

ـ ماذا نفعل ؟ إذا لم يساعدنا الله ، لن نستطيع أبداً أن نربح مالا يكفي لشراء بقرة أخرى .

فقالت لهن إحدى الجارات :

فمن بواجبكن بضمير حي ، ولن يضيع الله أجركن . افعلن كل ما يمكن عمله لزيادة حصيلة كل يوم ، فثلاثتكن تتقن الغزل والتطريز والحياكة ، إذا عنيت كل واحدة منكن ، بعد عودتها من العمل باستثمار مواهبها ، رفعتن في وقت سريع دخلكن اليومي . وعليكن أيضاً أن تقتصدن في مصروفاتكن بقدر المستطاع ، تحقيقاً دقيقاً للتوفير . فمثلا ، بدلاً من تناول هذا المشروب الأسود الذي تسمينه بالقهوة في وجبة الغذاء ، اشربن حساء جيداً يفيدكن أكثر ويكلفكن أقل . بهذه الطريقة ، صدقنني ، تستطعن قريباً شراء دابة أخرى .

تبعت النسوة نصيحة جارتهن وبعد عام واحد تقريبا ملأت بقرة أخرى من جديد حظيرتهن . فأدركن أن العمل والاقتصاد يجلبان دائما نعم السماء .

(ساعد نفسك ، تساعدك السماء) .

التيس

كانت السيدة **دوهيل** تسكن بيتاً جميلاً على أطراف المدينة .

قالت ذات صباح للشغالة :

ـ جانيت ، سأغيب في الخارج ، فإذا ذهبت لإحضار



الماء أو لقطف ثمار المشمش من الحديقة ، اهتمي بإغلاق الباب بالمفتاح . فقد لاحظت كثيراً أنك تهملين إغلاقه ، وآمل أن تطيعينني هذه المرة ، وإلا سيصبح من السهل أن يتسلل أحد اللصوص إلى البيت في غيابنا ليرتكب بعض السرقات .

خرجت السيدة **دوهيل** وأخذت **جانيت** في إنجاز أعمال البيت ، ثم اتجهت لإحضار الماء دون أن تهتم بتعليمات سيدتها .

قالت لنفسها : « **لا يوجد إنسان قط ، في الطريق ، وإني اتساءل لماذا إذن تخاف سيدتي دائما !** »

وأخذت تتجاذب أطراف الحديث طويلا مع جارتها حول نبع الماء .

وبينما تثرثر **جانيت** ، راق لتيس أن يمرر رأسه من فتحة الباب نصف المفتوح ، ثم تسلق الدرج ووصل إلى غرفة السيدة **دوهيل** حيث وجد نفسه أمام مرآة كبيرة شاهد من خلالها حيوانا يشبهه تماماً . مد قرنه إلى الأمام واعتقد أن صورته الشخصية غريماً له ، ونزع المرآة وسط صيحاته المدوية .

ودخلت **جانيت** في اللحظة نفسها فسمعت صوت الزجاج المتكسر فهرولت في ذات الوقت لتتفادى الكارثة . وأخذت تضرب التيس بيديها وقدميها حتى نجحت في طرده لكنها لم تستطع أن تنقذ المرآة .

وعندما عادت **مدام دوهيل** أنهت خدمة **جانيت** .

إن الطيش قد تحول بضربة واحدة ، حتى أنها لم تعد تهتم ، في مكانها الجديد الذي نجحت في العثور عليه أخيراً ، إلا بإحكام إغلاق الأبواب .



الشمس

عند هبوط الليل ، وبعد يوم من العمل الشاق في الحقول ، عادت الأم الشجاعة إلى بيتها ، بصحبة ولديها عقب توقفهما لوداع والدهما المتجه في هذا اليوم إلى المدينة .

وأثناء فتحهما باب البيت أسعدتهما رؤية المصباح المضيء فوق المائدة ، فالأطفال الصغار لا يحبون الظلام .

صاح **الصغير** وهو يرى الضوء قائلاً : « **ياللسعادة ! من الذي أضاء المصباح إذن ، فلم يكن بالبيت أحد ؟!** » .

ردت **الصغيرة** قائلة : « **من يكون إذن إن لم يكن والدنا ، فلابد أنه عاد من المدينة قبل عودتنا !** » .

واندفع الاثنان إلى الغرفة المجاورة تغمرهما السعادة فوجدا والدهما الذي أخذهما بين ذراعيه .

وفي اليوم التالي ذهبت كل الأسرة إلى غرفة كبيرة لتنقية العلف ، كان اليوم صحواً ، شمسه مشرقة رائعة وأخذ الصغيران يصيحان وهما يلعبان : « **يالها من شمس جميلة !** » .

سألهما **الأب** : « **قولا لي ياصغيريَّ ، هل يمكنكما أن تخمنا مثلما فعلتما أمس ، من الذي أضاء من أجلكما هذا النجم الرائع البراق ؟** » .

أجابت **الصغيرة** : « **الله ، بكل تأكيد ، هو وحده القادر على إضاءة هذا المصباح الضخم في قلب السماء** » .

وأكد **الصغير** قول أخته « **طبعاً ، فالله هو الذي خلق الشمس والقمر والنجوم كما خلق الزهور والأشجار وكل ما يحيط بنا** » .

القمر

كان **الأب** قد ذهب إلى المدينة مع **طفله الصغير** ، ولما تأخرا في العودة ، خرجت **الأم والإبنة** للقائهما وبعد أن قطعتا مسافة طويلة ، وبعد أن أعياهما الاضطراب ظهر المسافران في الأفق .

وعندما شاهد **الصغير** علامات الاضطراب على وجه أمه صاح قائلاً : « **لم يواجهنا أي خطر يا أماه ، فقد أضاء القمر طريقنا منذ غادرنا المدينة حتى عدنا إلى هنا** » .

فصاحت **الصغيرة** قائلة : « **ونحن أيضاً ، لم يتركنا القمر لحظة واحدة منذ غادرنا باب البيت حتى عدنا إلى هنا** » .

فرد **الصغير** قائلاً لأخته : « لا تقنعيني بذلك ، فكيف يمكن أن يسير القمر من القرية إلى المدينة وهو يسير في الوقت نفسه من المدينة إلى القرية ، **هذا مستحيل !** » .

قال له **الأب** : « كلا ، كلا يابني ، إنك تقول هذا لأنك لازلت صغيراً حتى تدرك كيف يتم ذلك الذي أدركه أنا بحكم سني ، ولا عجب ففي الحياة ظواهر كثيرة تبدو مستحيلة حتى لمن هم أكبر مني سناً ، وحتى للعلماء أنفسهم ، فنحن نرى مستحيلاً ما يعجز فكرنا المحدود عن فهمه ، **لكن لا شيء يستحيل على إرادة الله** . ولذلك فعلى كل إنسان أن يؤمن وبدون شك بمعجزات الله التي تتبدى أمامه » .

النجوم

قال **الفتى** لأخته الصغيرة ذات مساء : « **انظري كم يتلألأ نجم الليل في علاه ، إنه ولا شك أجمل نجم في السماء** » .

قالت **الصغيرة** : « **لا شك أنه جميل ، لكني أرى أن نجم المصباح أكثر تلألؤاً** » .

فرد **الفتى** بقوله : « **ليس هذا ما أرى** » .

واشتبك الشقيقان في معركة كلامية ، وحتى ينهيا المعركة ، ذهبا إلى والدهما يطلبان منه معرفة أيهما على حق .

قال **الأب** : « كلاكما خاطىء فنجم الصباح الذي تشاهدانه مع الفجر هو نفسه نجم المساء الذي تشاهدانه في الليل » .

وأضافت **الأم** قولها : « إذا كان نجم الصباح يبدو أكثر بريقاً وتلألؤاً ولمعاناً فلأنكما تشهدانه بعيون متيقظة ، فبعد ليلة جميلة ، كل شيء يبدو جميلاً مع أشعة النهار الأولى ».

إن الاستيقاظ المبكر ينعش وينشط !

قوس قزح

تأمل **الفتى الصغير قوس القزح** رائع الجمال الذي كان يرسم علامات في الأفق وهو يقول : « لم أر في حياتي أجمل من هذه الألوان ، وبهذا العدد الكبير ، وهي تمتد من الصفصاف العجوز هناك على حافة النهر حتى الحديقة الواقعة خلف البيت . إنها تلون ما يصادفها ، أما القطرات التي تسقط من أوراق الشجر فيمكنني أن استخدمها في الرسم ، ولذلك سأجمعها في إنائي » .

وجرى **الفتى الصغير** نحو الأشجار وأخذ يهز فروعها ، لكنه فوجيء بأنه يجمع فقط قطرات غير ملونة من الماء .

عاد إلى البيت مبتلاً مكدوداً . وعندما سأله **والده** عن السبب ، قص عليه مغامرته .

فقال له **الأب** : « إسمعني جيداً يابني ، بدت لك قطرات الماء ملونة من بعيد لأنك كنت ترى فيها إنعكاسات أشعة الشمس ، لكنها لم تكن ملونة أصلا . وهذا ما يحدث في الحياة ، فما كان يبدو لنا على البعيد مليئاً بالسحر ، يصبح لا معنى له عندما نختبره عن قرب . **فاحذر المظاهر الخادعة !** » .

الثوب الجديد

طلبت الأم من الحائكة تفصيل ثوب جميل من الساتان الأزرق المخطط لابنتها . فلما جاءت الحائكة بالثوب في ليلة العيد ، أرادت الفتاة من فرط سعادتها أن تجربه ، وارتدته بالفعل .

قالت الأم : « **اذهبي يابنيتي لإحضار كوب من الشراب الساخن يدفيء هذه السيدة الفاضلة . فالجو شديد البرودة هذا المساء . لكن خذي معك شمعة حتى لا**



تخاطري بالاصطدام بشيء ما في المطبخ » .

جرت الفتاة لتبحث عن الشراب وعادت لتقدم كوباً صغيراً للحائكة . لكن ما أن وضعت الحائكة الكوب على شفتيها حتى أعادت السائل رغما عنها دفعة واحدة . ويالكارثة كان السائل حبراً !

لم تنصت الفتاة لنصائح أمها ، ولم تحمل نفسها مشقة إشعال شمعة ، فأخطأت في الظلام رؤية الزجاجات .

ولم تكتف بمحاولة التسبب في تسميم الحائكة ، لكن ثوبها نال جزءاً من الحبر الملقى **ويالها من كارثة !** لم تتمالك الفتاة المسكينة دموعها .

قالت لها أمها : « **هذه هي ياصغيرتي المسكينة نتيجة عصيانك ، تلف ثوبك ولن تتمكن الحائكة من صنع ثوب آخر لك بدلا منه ، وستضطرين لقضاء العيد بثوبك القديم** » .

المعطف القديم

في وقت من أوقات الشتاء البارد الممطر ، توقف بعض الجنود خلال الحرب الأخيرة في قرية للبحث عن مرشد .

تولى بائع جرائد فقير مهمة اصطحابهم ، لكنه قبل أن يرحل معهم ، طلب من الفلاحين إقراضه معطفاً يقيه الريح والمطر الشديدين .

لم يهب أحد لمساعدته ، فيما عدا عجوز حل بالقرية منذ فترة وجيزة ليعمل بالحدادة ، هو الذي رأف بحال بائع الجرائد ، وأعطاه الثوب الوحيد المستعمل والمرقع الذي يملكه .

صحب المرشد الجنود ، وفي اليوم التالي وصل إلى القرية راكباً جواداً ضابطٌ شاب وسيم يرتدي زياً رائعاً ، سأل عن الرجل الذي أعطى معطفه للمرشد ، فأوصله البعض حيث يقيم العجوز .

صاح العجوز وهو يرتمي بين ذراعي الضابط الشاب : « **شكراً لله ! ابني العزيز** »

كان العجوز قد فرَّ أثناء الحرب ، بينما ظل ابنه يحارب في صفوف الجيش تأدية لواجبه ، ففقد كل منهما الآخر ، إلى أن تعرف الابن على معطف والده وهو ينظر صدفة إلى ما يرتديه المرشد الذي صحب جنوده .

وهكذا كان لقاؤهما مؤثراً ، حتى أن الحاضرين مزجوا دموع فرحهم بدموع الأب والابن .

وبعد ليلة كاملة قضاها الابن مع أبيه ، رحل الابن مرة أخرى بعد أن أخذ مبلغاً كبيراً من المال يكفي احتياجاته لفترة طويلة .

إن الله رؤوف رحيم بكل رؤوف رحيم !

الحذاء

لم يكن راعي الماعز يحصل على أجر كاف ، حتى أنه لم يتمكن من شراء حذاء يقيه برد الخريف وأمطاره الكثيفة .

وبينما هو يراقب الماعز ذات يوم ، خرج أحد اللصوص المعروفين من الحقل وقال له : « **أنت تمارس هنا مهنة تعسة ، أن مهنتي أفضل بكثير ، فإذا أردت أن تساعدني ، أعطيتك حذاء جيداً لا يجعلك تشعر على الإطلاق ببرودة الطين اللاصق بقدميك العاريتين** » .

فقال له راعي الماعز : « **أفضل بؤسي على ثرائك ، وأحب أن اتألم من البرد طوال حياتي ، وأن أضع قدمي في الطين دون أن ألطِّخ ضميري بما تأتي به من أفعال ، فأنا فقير حقا ، لكني شريف ، هذا هو شعاري** » .

مسمار الحذاء

كان صانع الأحذية يعمل ليل نهار بهمة ونشاط ، حتى إن الناس اطلقوا عليه هذا الوصف « **بدون راحة** » .

وكان هؤلاء الناس يسعدون برؤيته وهو يضرب الحديد بقوة ويجذب الخيوط من كل اتجاه ، حتى إن كثيراً من المارة كانوا يتوقفون لمشاهدته ومن بينهم صبي من أثرياء الحي .

وذات مرة قال صانع الأحذية لهذا الصبي : « **من الأفضل لك أن تتعلم كيف تدق مسماراً في حذاء ، بدلاً من أن تضيع وقتك في الثرثرة ، فمن يدري ربما احتجت يوما للعمل** » .

راقت الفكرة للصبي ، فجلس إلى السندان واستطاع بفضل توجيهات صانع الأحذية أن يتقن العمل بطريقة بارعة .

وبعد فترة وجيزة ، فقد الصبي أباه وثروته معا . وكان عليه أن يترك قصر والده والمدينة أيضا ، ويذهب للبحث عن عمل يعيش منه في مكان آخر .

ولدى مروره بإحدى المدن ، علم أن عدداً من محلات الأحذية المكلفة بصنع آلاف الأحذية للجيش ، تعاني من نقص في المسامير اللازمة . فذهب على الفور وعرض إمكانية تصنيع هذه المسامير محلياً تجنباً لصعوبة الحصول عليها من مدن أخرى . وكان طلبه الوحيد ورشة يعمل ويقيم فيها .

أجابه أصحاب هذه المحلات إلى طلبه ودفعوا له مقابلا سخياً لعمله .

وتذكر صانع الأحذية الشاب قيمة ما تعلمه في الأيام السابقة ، وأخذ يردد قوله : « **يالها من سعادة ، أن تعلمت كيف أصنع مسمارا . فها أنذا أربح من مهنتي الجديدة أكثر مما كنت سأجني من ممتلكاتي ، تلك التي فقدت الآن قيمتها** » .

مهنة نافعة أفضل من ثروة طائلة !

دائرة المعارف

السفن العربية الإسلامية

أ

الأهورة :

من أسماء السفن التي أخذها **العرب** عن **الهند** بعد **الإسلام** . وصفها **ابن بطوطة** عند ذكر سفره في **نهر السند** : (.. وهي نوع من الطريدة عندنا ، إلا أنها أوسع منها وأقصر . وعلى نصفها معرش من خشب يصعد له على درج ، وفوقه مجلس مهيأ لجلوس الأمير . ويجلس أصحابه بين يديه ، ويقف المماليك يمنة ويسرة ، والرجال يجدفون ، وهم نحو أربعين . ويكون مع هذه الأهورة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها ، اثنان منها فيهما مراتب الأمير) .

ب

البارجة :

قال **ابن سيده** في **المخصص** : (البارجة سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال) . وذكر **البلاذري** البوارج في مواضع عدة من (**فتوح البلدان**) عند كلامه عن توجه المسلمين إلى بلاد الهند . وذكرها **الطبري** في حوادث سنة ٢٥١ هـ **فقال : (ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة إلى بغداد** عشر سفائن بحرية تسمى البوارج ، في كل سفينة اشتيام ، وثلاثة نفاطين ونجار وخباز ، وتسعة وثلاثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة ، فيكون بذلك في كل سفينة خمسة وأربعون رجلاً) .

ت

التلوي :

كذا ضبطها (ابن سيده) في المخصص (١٠ : ٢٥) واقتصر على القول إنها ضرب من السفن . ووردت كذلك في **أحسن التقاسيم** (٣١) . وهي مركب صغير سريع الجري ذو مقدم مرتفع ، يشبه الرقبة ويصعب قياده .

ث

المثلثة :

مركب صغير ، مقدمهُ عريض ومؤخره مدبب . ولذا فهو يبدو كأنه مثلث .

ج

الجعفرية :

وردت في كتاب البخلاء **للجاحظ** : (... قال رمضان كنت مع شيخ أحوازي في جعفرية وكنت في الذنب وكان في الصدر وليس في السفينة غيري وغيره ...) . وقال في كتاب الحيوان : (ربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفريات على وجهه شبه القرد) . وذكرها **الأزدي** في حكاية **أبي القاسم** .

ح

الحراقة :

ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر . كما كانت تستعمل في حمل الأسلحة النارية كالنار العربية (المسماة خطأً بالنار اليونانية) . والحراقة سفينة حربية قد استعملت في **العصور الوسطى** وانتشرت في جميع أجزاء العالم الشرقي والغربي على السواء .

ومن أنواع الحراقة ما كان معروفاً في صدر **الدولة العباسية** ، يجري في **نهر دجلة** ، للنزهة والنقل ، وكان **للخليفة الأمين** خمس حرّاقات على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس . وقد ورد ذكرها في قصيدة لأبي نواس مادحاً الأمين ، واصفاً حراقتي الليث (الأسد) والعقاب .

خ

الخيطية :

ضرب من السفن ذات القاع العميق المدبب الذي يترك وراءه في الماء خطاً يشبه الخيط .

د

الدسراء :

وهي التي تدسر الماء بصدرها . وفي القرآن الكريم : ﴿ **وحملناه على ذات ألواح ودُسر** ﴾ . والدسار جمع دُسُر أو دسْر ، وهو خيط من الليف تشد به ألواح السفينة . والدسر الألواح الخشبية . قال أحد الشعراء :

معبـدة السقائـف ذات دسر   مقبـرة جوانبهـا رداح

ذ

الذهبية :

مركب كان يستعمله **العرب** ، حمولته تتراوح بين مائة وأربعمائة طن ، وهو ذو صاريين وأشرعة على شكل شبه منحرف ، ومن خصائصه أن مؤخره أعلى وأعرض من مقدمه ، وتزخرف جوانبه بالرسوم والنقوش . وكانت الذهبية تسير فيما بين **السويس والهند وشواطىء القارة الأفريقية** .

ر

الرقية :

قال **الطبري** : (أحصى ما في الشذا والسميريات والرقيات التي كانت تعبر فيه الخيل فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاّح) . وذكرها صاحب « **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** » .

الرمث :

خشب يجمع بعضه إلى بعض ، يُركب عليه في البحر ، وجمعه **أرماث** . وفي الحديث : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إنا نركب أرماثاً لنا في البحر ولا ماء معنا ، أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (هو الطهور ماؤه الحل مَيْتَتُه) قال **أبو صخر الهذلي** :

تمنيت من حبّي عُلَّية أننا   على رمثٍ في الشرم ليس لنا وفر

ز

الزبزاب :

سفينة كبيرة قليلة العمق سريعة الحركة ، وقد وصفها أحد الشعراء بقوله :

زبـزاب تحكـي إذا سُيـرت   عقاباً وتجـري علـى زئبـق

ويؤخذ من قول **المسعودي** إنها كانت من المراكب التي يقاتل فيها ، ثم عم استعمالها فيما بعد للتنزه والعبور .

س

السميرية :

نوع من سفن البحر والنهر ، عرفت في أواخر القرن الثالث للهجرة . وكان في كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيها السيوف والرماح والتروس . ولما انقطعت المعارك الحربية في أواخر الدولة العباسية صاروا يستعملون هذه السفن في **التجارة والأسفار** .

ش

الشبارة :

من السفن التي عرفت في أواخر القرن الثالث الهجري في **العراق** ، ولما انقطعت المعارك البحرية في أواخر الدولة العباسية صاروا يستعملونها في التجارة والأسفار .

قال **أبو الفرج الأصفهاني** في « الأغاني » : (فكانت السفن التي تخص **المأمون** ، سوى سفن العسكر ، أربعة آلاف شبارة كبار وصغار) .

ص

الصلغة :

هي السفينة الكبيرة ، تستعمل في **الأساطيل التجارية** . جاء في **تاريخ الطبري** : (عرضت لنا في النهر صلغة فيها عشرة صنوج) . وفي موضع آخر : (إن الخبيث قد انفذ عدداً كبيراً من السميريات ، والزواريق والصلاغ مشحونة بالزنج) .

ض

المضفرة :

جاء في « **مناقب بغداد** » **لابن الجوزي** : (كنت اسمع من المشايخ أن بدجلة خمسمائة مضفرة مزينة لا يركب فيها إلا ظراف التجار والأجناد وأرباب المقاطعات الرجل وغلامه ـ أي حارسه ـ والملاحون بالثياب الجميلة) .

وفي كتب اللغة : **الضفير** شط البحر ، فلا شك أنها أخذت منه .

ط

الطراد/الطريدة :

سفينة صغيرة سريعة . قال **ابن مماتي** عند كلامه عن أسطول **المنصور** : (ومنفعة المسلمين به أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر ، فأما الطريدة فإنها برسم الخيل ، وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً . أما الحمالة فيحمل فيها الغلة) . والطراد من سفن **البحر الأبيض المتوسط** . يقول **دوزي** : الطراد نوع من المراكب الحربية لا يزيد طولها عن سبعة أذرع وعرضها ذراعان ونصف ذراع . وهي أكثر شبهاً بالبرميل منها بالسفينة الحربية ، وليس لها سقف وتكاد تكون خالية من المسامير . وقد استعملها بكثرة **صلاح الدين الأيوبي** .

ع

العدولية :

نسبة إلى (عَدَوْ لَي) قرية **بالبحرين** ، كانت قديماً سوقاً للرقيق والعاج . وقد تستخدم كلمة (عدولية) كناية عن السفينة القديمة الضخمة الحجم التي تمخر عباب الماء بحيزومها . جاء وصفها في **معلقة طرفة** :

كأنّ حدوج المالكية غدوة   خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن   يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

يشق عباب الماء حيزومها   كما قسم الترب المفايل باليد

غ

الغراب :

نوع من المراكب ، سمي بهذا الاسم لأن مقدمه يشبه رأس **الغراب** أو الطائر ويمثل في الماء الطير في الهواء .

ورد ذكر الغراب في كثير من أشعار العرب . قال **ابن الساعاتي** المتوفى سنة ٦٠٤ هـ :

وركبت بحر الروم وهو كحيلة ... والموج تحسبه جياداً تـركض
وكم من غرابٍ للقطيفة أسود ... فيه يطير به جناح أبـيض

وجاء في وصف الغراب **لابن حجلة التلمساني** المتوفى سنة ٧٧٦ هـ :

غربانها سود وبيض قلوعها ... يصفّر منهن العدو الأزرق

ف

الفلوة :

قال **المقريزي** بتاريخ سنة ٧٠٧ هـ = ١٣٠٧ م ، رُسم لكل من الأمراء المقدمين بعمارة مركب يقال له جلبة وعمارة لطيفة يقال لها فلوة برسم حمل الأزواد وغيرها وتسفير ذلك إلى الطور على الظهر ليرمى في **بحر القلزم** وبلاد **اليمن** واشترك كل أمير مقدم ومضافيه في عمل جلبة وفلوة ونُدب لعملها الأمير **عز الدين أيبك الشجاعي الأشقر** شاد الدواوين) .

ق

القرقور :

من سفن **العصور الوسطى** المتعددة الصواري والشُرُع ، نسب استخدامها إلى أهل **اسكنديناڤة في البحر الأبيض المتوسط** منذ القرن الحادي عشر الهجري .. غير أن القُرقور قد عرف عند **العرب** منذ قديم . قال الراجز :

قُرقـور ساجٍ ساجـه مطلـيّ ... بالقيـر والضّبـات زنبـري

وقال **عمرو بن الأهتم** :

كأنها بعد ما مال الشريف بها ... قرقور أعجم في ذي لجّة جار

وقيل في قصر **عيسى بن جعفر** ببغداد :

ترى قراقيره والعيس واقفة ... والضبّ والنون والملاح والحادي

وللأخطل :

ولكن لنا برّ العراق وبحره ... حيث ترى القرقور في الماء يسبح

وفي « تاريخ الوزراء » للصابي : (إن الزمان كان يرد **دجلة** في قراقير نُرعت عشرة قراقير منها فكانت سعتها ما بين عشرين ذراعاً إلى ستة عشر ذراعاً) .

ك

الكار :

سفن منحدرة فيها طعام . وهو نوع من السفن تشبه البارجة . **واستعمل الكار** في أساطيل **العصور الوسطى** لحمل المؤن والأزواد .

ل

اللوسراي :

استعملت في العصور القديمة للحروب النهرية ، وخاصة في **نهر النيل ودجلة والفرات والدانوب والرين** . وفي العصور الوسطى ، أدخلت عليها بعض التغييرات وأصبحت تستخدم في البحار .

م

المقيرة :

السفينة المطلية بالقار ، وأول من أجرى في البحر السفن المقيّرة المسمرة غير المخروزة المدهونة والمسطحة غير ذوات الجآجيء ، **الحجاج بن يوسف الثقفي** . وقد وصف المقيرة **الحسن بن هانيء** بقوله :

بنيت على قدر ولأم بنيها ... طبقان من قير ومن ألواح
فكأنها والماء ينطح صدرها ... والخيزرانة في يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى ... يهوى بصوت واصطفاق جناح

ن

النقيرة :

سفينة صغيرة تنحت من سوق الشجر . ذكرها **البيروني** في كلامه على مبايعة من يجيىء إلى المراكب من أهل الجزائر . وعُدّت أيضاً بين أسماء المراكب العشرين في الرحلة الطرابلسية . وكانت معروفة في **مصر** في القرن الثالث عشر . قال **الجبرتي** : (رأوا عدة مراكب ونقارير وصلت إلى قرب **ساحل بولاق**) .

هـ

الهرهور :

ذكر صاحب المخصص : أنه ضرب من السفن . وجاء في معظم المراجع أنه مركب صغير الحجم سريع العدو .

و

الواسطية :

من مرادفات أسماء السفن كما جاء في « أحسن التقاسيم » . وتدل تسميتها على عراقيتها . ولا شك أنها أول ما أتخذ نوعها **في مدينة واسط** .



نتيجة مسابقة أرامكو السّنويّة التاسعة لرسوم الأطفال





وَقعَ اختيَار لجنَة التحكيم عَلى مَائة وثمَان وَأربعين لوحَة بزيَادة ثمَان وأربعين لوحَة عَلى ماأعلن سَابقًا، وَذلك من بَين ستّة آلاف لوحَة من الرّسُوم الجَيّدَة التي تنمّ عن كثير من الأصَالة والاتقَان.
لقد زيد عَدَد اللوحَات المختَارة نتيجَة لتقَارب المستويَات الفنيّة للوحَات واتسَامها بالجَودَة والجمَال، وإن دلّ ذلك عَلى شيء فإنمَا يَدلّ عَلى المستوى الطيب الذي وصَل إليه أطفال مَملكتنا الحَبيبَة في هَذا المضمَار.

لقد تمّ الاتصَال برقيًا بأصحَاب اللوحَات المختَارة وسُلمت مُعظم الجَوائز. وبهَذه المنَاسبَة يَطيب لإدارة العلاقات العَامّة بأرامكو أن تعرب عَن بَالغ شكرهَا لجَميع الذين شَاركوا في المسَابقة وللأسَاتذة والمسؤولين في المدَارس في جَميع أنحاء المملكة لمسَاهمتهم في إنجاحهَا وإظهَارهَا بهَذا المظهر الجيد، كمَا تجدد الدعوة لجَميع الأطفَال في المملكة للمشَاركة في المسَابقة القادمة التي سَيُعلن عنهَا في بداية العَام الدّراسي القادم إن شَاء الله.
والله وَليّ التوفيق.

فيمَا يَلي أسمَاء أصحَاب اللوحَات التي اختارتها اللجنَة:

إبراهيم عبدالله بن ابراهيم الشويعر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أحمد خالد خليل البيكاوي
مدارس الإيمان الخيرية - الملز - الرياض

أحمد راشد الدوسري
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل الصناعية

أحمد عبدالعزيز المسفر
مدرسة عداس الابتدائية - الطائف

أحمد عبدالوهاب إبراهيم
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

أحمد محمد عاكف
مدارس دار الفكر - جدة

أحمد محمد عبدالله غازي
مدرسة جيل الفيصل النموذجية - فرع الجامعة - جدة

أحمد منير ناصر آغا
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

أدي منصور
مدرسة الظهران - الظهران

أريج أبو علي
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

إسحاق جميل تركماني
مدرسة متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل الصناعية

أسماء أحمد رأفت علي عبدالمنعم
مدرسة ١٤٣ الابتدائية للبنات - النسيم - الرياض

إقبال محمد كمال رشدي فرشان
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

الجوهرة محمد عبدالعزيز الشهيل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

العنود فهد سليمان محمد آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

آمال بادحدح
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أماني زكريا رضوان محمود
المدرسة الثامنة الابتدائية للبنات - الطائف

أمين بن صالح بن أحمد بن ناصر
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

إيڤا بديع يعقوب اسحق
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

إيمان عبدالعزيز المنقور
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أيمن علي المهدود
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

بدر بافيل
مدارس دار الفكر - جدة

بدر نزال الشمري
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

بدور عبدالله الثقفي
المدرسة ٤٣ الابتدائية للبنات - الطائف

بلال إسماعيل محمد سعيد بدران
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

بلقيس حسن السبع
المدرسة الابتدائية الخامسة - سيهات

تركي باخيضر
مدارس دار الفكر - جدة

تركي حسين عباس
مدرسة عمرو بن العاص - حفر الباطن

حسام درويش عبدالجليل
مدرسة الأبناء المتوسطة - حفر الباطن

حسناء العوفي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

حمد محسن رويشد
مدرسة عمرو بن العاص - حفر الباطن

خالد إبراهيم محمد الحميد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خالد أحمد عبدالمعطي الجنيد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خالد محجوب محمد
مدرسة روضة لهباس الابتدائية - عرعر

خلدا علي محمد العواجي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خلود الراشد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

دانه عبدالعزيز صالح الجربوع
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رائد عبدالله أبو عزيز
مدرسة الشاطئ - القطيف

رايده رشاد فواد رضاء
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رلى أحمد عبدالله الحنطي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رذاذ حبيب أبو الحمائل
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

رولا عبدالرحيم واكد أبو عقلين
المدرسة الحادية عشر المتوسطة للبنات - الطائف

ريم مبارك الدوسري
المدرسة الثانية الابتدائية للبنات - الثقبة

زهير سلمان المزين
مدرسة الخويلدية الابتدائية - القطيف

سائر عوض عائض السواط
مدرسة حطين المتوسطة - الطائف

ساره بابان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ساره بكر عبدالله ابو الخير
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سديم منير القاضي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

سعد برد قاعد العنزي
مدرسة الفاروق المتوسطة - عرعر

سعود سعد عبدالله القويزاني
العضيلية - أرامكو

سعود سعد عبدالله بن دريس
مدارس الرياض للبنين - الرياض

سعيد عيسى الشرقي
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

سناء اسماعيل ابراهيم كمال
مدرسة الوكرة.

سيرين الحمامي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

شادي ماجد حيدر
مدرسة روضة الروضة الأهلية - الطائف

شدا الدهش
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

شريف فتحي عبدالعاطي
مدرسة روضة الروضة الأهلية - الطائف

شريف محمد مجدي
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف



(PRI-6-88)

شمس رضي الشماسي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

صفية أحمد محمد موسى
المدرسة السابعة الابتدائية للبنات - مكة المكرمة

طارق إبراهيم المطرف
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

طارق بشناق
مدارس دار الفكر - جدة

عادل علي جساس
مدرسة الخويلدية الابتدائية - القطيف

عافل راضي حمد العنزي
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

عاليه عبد الملك آل الشيخ
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

عبد الرحمن ابراهيم المديميغ
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

عبد الرحيم عتيق الرفاعي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

عبد الله المهوس
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

عبد الله عبد العزيز السعوي
مدرسة المعتصم بالله - عرعر

عبد الله موافق عبيد الله
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

عبير محمد أحمد رشاد
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

عثمان عبد الرحمن عبد الخالق الغامدي
مدرسة تحفيظ القرآن الابتدائية - بالجرشي

عزيز هريسان مصلح العنزي
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

علا حسني علي حسان
المدرسة الابتدائية السادسة - عرعر

علا حمدي علي الحمد
حي الشفا - الرياض

علي فرحان نافع
مدرسة عمر بن الخطاب - الحرس الوطني - الرياض

عمر سليمان نمر ديب ضبان
مدارس الرياض للبنين - الرياض

عهود فهد سعد عثمان
مدارس الرياض للبنات - الرياض

عويده هارون محمد عبد الله
المدرسة ٧١ للبنات - مكة المكرمة

عيد هليل العنزي
مدرسة الرشاد - حفر الباطن

غادة عبد الرحمن عبد العزيز العريفي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

غالية نزيه عابدين
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

غدير أسلم باسنبل
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

فادي حسن كفري
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

فارس عبد العزيز صالح أبا الخيل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فاطمة حسن البنا محمود
روضة جمعية البر - الأحساء

فايز سريان العنزي
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر

فايز عبد الرحمن سعيد سالم
مدرسة الساعدية الابتدائية - عرعر

فهد سعد محمد عبد العزيز
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فهد عبد العزيز إبراهيم البراهيم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فواز فرحان عبيد الشمري
مدرسة المركوز الابتدائية - عرعر

فواز علي رويحل الشمري
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

فواز محمد الدخيل
مدرسة طريف المتوسطة - عرعر

لافي محمد بطحي
مدرسة الصفيري الابتدائية - حفر الباطن

لولوه إبراهيم محمد العواجي
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

لولوه فاروق
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ليلى عبد الرحمن محمد البنيان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

لينه الكردي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ماجد الصويغ
المدرسة النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

ماجد صالح العطيوي
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

ماجد عبد الهادي
مدرسة فلسطين الابتدائية - الجوف

ماجد علي الجمعان
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل الصناعية

مازن عبد الله سليم زين
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

مؤيد خليل عبد الوهاب الهبول
مدرسة ابن زيدون الابتدائية - تبوك

مبارك فواز
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

محمد أحمد محمد نوري ماريني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمّد سعد القحطاني
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل الصناعية

محمد سمير العنزي
المدرسة المتوسطة الثالثة - حفر الباطن

محمد عابد عمر التلمساني
المدرسة النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

محمد عبد الله مجاهد
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عرعر

محمد عتيق الرفاعي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

محمد فارس عبد الله المرزوق
مدرسة الأوجام الابتدائية - الأوجام

محمد محمود عبد الله إبراهيم
مدرسة المثنى بن حارثة الابتدائية - رفحاء

محمد مهيل سلمي
مدرسة سهيل بن عمرو المتوسطة - ينبع

محمد مويزر الحربي
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - جدة

محمد يوسف عبد الله جمل الليل
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمود حسين فياض
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مرشد فياض سعيد
مدرسة عبد الرحمن بن عوف الابتدائية - طريف

مشاعل محمد عبد الرحمن الرشيدان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مصعب صالح عبد الهادي العمري
مدارس الرياض للبنين - الرياض

معاذ عبد العزيز الخليوي
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل

معن يوسف حامد
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

مها أحمد السيد محمد البطراوي
المدرسة الخامسة للبنات - الطائف

مها شمس
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مها محمود مسفر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ميس وضاح صبري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ناديا العيدروس
مدارس التربية الاسلامية - الرياض

ناشي وادي
مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عرعر

نايف عبد الكريم البديوي
مدرسة فلسطين الابتدائية - الجوف

نايف محمد علي السعدلي
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عرعر

نايف مضحي خالد الرويلي
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

نجود عمر محمود أبو شيخة
مدارس دار الفكر للبنات - جدة

ندى خورشيد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

نشأت مراد خشيفاتي
مدرسة أبي محجن الثقفي المتوسطة - الطائف

نوره عبد العزيز الحسيني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نيفن عبد الراضي محمد سعد الله
المدرسة العاشرة الابتدائية للبنات - الدمام

هالة مصطفى حسن رازيان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هاني فاروق أحمد سيد
مدرسة المثناه الابتدائية - الطائف

هبة أحمد نظيم عبد الرحمن سليمان
المدرسة الخامسة الابتدائية للبنات - الطائف

هديل أحمد تركي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هويدا محمد أمين صالح تركستاني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

هيازع أحمد محمد عسيري
مدرسة أبي محجن الثقفي المتوسطة - الطائف

وائل محمد سالم حسين معمر
مدرسة سهيل بن عمرو - ينبع البحر

واصل عارف موسى الغامدي
مدرسة أحد الابتدائية - الدمام

ولاء السيد إبراهيم داود
مدرسة اليمامة الأهلية للبنات - الرياض

ياسمين محمود محمد محمود
مدارس الجزيرة الأهلية - الملز - الرياض

يحيى عبد الله البطران
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

يوسف أحمد باحمده
مدرسة تحفيظ القرآن الكريم - عرعر

www.ahlaltareekh.com

الإنسان.. والزمان

شعر: د. ظافر الحسن

ما عدتُ أعلم والحياةُ تمرُّ بي ... وأنا أمرُّ بها ، كحلمٍ وانِ

أأنا الذي أحيا الزمان معانداً ... أم أنَّـهُ بعنـادهِ يحيانـي

هي صفقةُ المغبون يغرفُ من دمي ... ليجود لي من عنده بثواني

أيغولني وأُريده !؟ أحجيَّـةٌ ... ولعُ السجين بقسوة السجَّان

إن كان أنْصَف مرَّةً وأعانني ... فلكلمْ سَقَاني جفوةً ورمانـي

أبداً يفوزُ عليَّ لو راهنته ... ويسُلُّ منّي العزم لو جَارَاني

ويُشيبني وَهْوَ الفتيُّ يزينه ... ألقُ الشبابِ على مدى الحَدَثان

ويُقال ضمَّادُ الجراحِ فهل شفى ... جرحاً ولم يُدمِ يديَّ بثاني

وأعيش مكترثاً ويبقى لاهياً ... لا تستثيرُ حيادَهُ أحزانـي

ناءٍ ويقطنني . وليس يُضيرهُ ... صمتي وليس يهزُّهُ خفقاني

أزلٌ إلى أبدٍ فليس يحدُّهُ ... شيءٌ وحدّي كلَّ آنٍ دانـي

هُوَ في الأماكن كلِّها فيما أنا ... قُيِّدتُ منهُ بموعدٍ ومكان

يعتو بلا وجهٍ عليَّ وهامتي ... تسمو عليه بوجهها الإنساني



الحركة الثقافية في شهر



- معرض للزخرفة والمخطوطات الإسلامية بمركز الملك فيصل بالرياض .
- جمعيتان علميتان جديدتان بجامعة الملك سعود بالرياض .
- عالم ومفكر سعودي يتبرع بمحتويات مكتبته .
- وفاة قاص وروائي سعودي في مدينة « جيزان » .
- ندوة إسلامية عالمية عن مقاومة تحريف القرآن في فرنسا .
- شوقي ضيف أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية في القاهرة .
- مفكرون وعلماء عرب يفوزون بجوائز عالمية رفيعة المستوى .
- صدور مجلدات موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في بيروت .
- عقد مؤتمر إسلامي في باكستان .
- ترجمة أعمال أدبية عربية إلى الهولندية .
- معرض عن الحرمين الشريفين في باريس .





★ الأمير عبد الله الفيصل ★ ★ أحمد عبد الغفور عطار ★ ★ محمد زارع عقيل ★ ★ أحمد محمد جمال ★ ★ إبراهيم الناصر ★ ★ عائد خصباك ★

السعودية :

وفاة قاص سعودي

انتقل إلى رحمة الله تعالى القاص والأديب محمد زارع عقيل في مدينته « جيزان » بالمملكة العربية السعودية الذي يعده الدارسون « رائد القصة في الجنوب » .

والمعروف أن الأستاذ محمد زارع عقيل من مواليد مدينة جيزان عام ١٣٣٩ هـ .. تلقى تعليمه في مدارسها الخاصة ، ثم التحق بحلقة عالم جيزان وقاضيها الراحل **الشيخ عقيل بن أحمد حنين** رحمه الله فقرأ عليه الفقه والحديث وتفسير القرآن والقواعد ، ولازم حلقة الدرس ما يربو على عشرة أعوام .. ثم عقد مع رفاقه نادياً أدبياً خاصاً تهيأت له من خلاله دراسة واسعة في التاريخ وفي القصة وغيرها من الدراسات .

عمل كاتباً لزكوات تهامة ، ثم **محرراً في محاسبة مالية جيزان** ، ثم **مأموراً مالياً وجمركياً** في مركزي « **الجابري** » و « **النوبة** » فتعرف خلال عمله على عادات وتقاليد أهل البادية .. ثم انتقل إلى **قسم محاسبة بلدية جيزان** ، **فرئيساً لمحاسبة البلدية** ، ثم عيّن **مديراً للأراضي ومحامياً شرعياً** .

كتب عن اختلاف اللهجات والعادات في البادية في مجلة « **المنهل** » لصاحبها الأديب والعالم الراحل **الأستاذ عبد القدوس الأنصاري** رحمه الله .. وله من أعماله المطبوعة قصة طويلة بعنوان « **ليلة في الظلام** » ، ورواية تاريخية بعنوان « **أمير الحب** » .. وقصة طويلة بعنوان « **بين جبلين** » .. ومن أعماله التي لم يطبعها مجموعة قصصية بعنوان « **الوفاء** » ودراسة عن « **تهامة في التاريخ** » ، وكتاب « **مقالات أدبية واجتماعية** » ، وله محاضرة ألقاها في نادي جيزان الأدبي بعنوان « **بناة العلم في تهامة** » طبعت ضمن محاضرات النادي .

رئيس بلدية جيزان فترة من الزمن ثم انتقل إلى **إمارة جيزان فالطائف** ثم أحيل للمعاش .. وكان **عضواً في نادي جيزان الأدبي** .. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته .

ومجلة « **الفيصل** » تشارك أهله وقراءه ومحبيه وأصدقاءه العزاء ، وتتمنى للفقيد الرحمة والمغفرة ، ولهم الصبر والسلوان .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

معرض للزخرفة والمخطوطات الإسلامية

أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض معرضاً عن الفضة وزخرفتها ، وعن المخطوطات الإسلامية .

ضم المعرض أكثر من سبعمائة قطعة فضية ، معظمها يعرض لأول مرة ، كما ضم أكثر من أربعين مخطوطة إسلامية توضح أنماط الزخرفة والتقنيات الصياغية التي استخدمها المسلمون لتنفيذ المصنوعات الفضيّة ، وإخراج المخطوطات .

وربما كان هذا المعرض هو الأول من نوعه يقام في المملكة العربية السعودية .. والمعروف أن مركز الملك فيصل يشهد نشاطاً ملموساً في المجتمع من خلال إقامة المعارض التي تتسم بالطابع الإسلامي ، وتنبع من قيمه ، وتلتقي من أهداف المركز الإسلامية الكبيرة ، إلى جانب إقامة الندوات والمحاضرات .. وقد أصبح المركز ملمحاً حضارياً إسلامياً من ملامح مدينة الرياض حيث يرتاده بصورة مستمرة عدد من الزوار إلى جانب الباحثين والدارسين الذين يستفيدون من إمكاناته .. وسوف تنشر مجلة « الفيصل » استطلاعاً مصوراً عن معرض الزخرفة والمصنوعات الفضية في أحد أعدادها القادمة إن شاء الله .

جمعيتان علميتان

قرر المجلس العلمي لجامعة الملك سعود بالرياض إنشاء جمعيتين علميتين ، إحداهما تسمى « **الجمعية السعودية للأذن والأنف والحنجرة** » ، والثانية تسمى « **الجمعية السعودية لعلوم العمران** » ، وسيكون مقرهما في الجامعة .

من الجدير ذكره ، أنه توجد جمعيات أخرى غير هاتين الجمعيتين ، وذلك مثل « الجمعية السعودية لعلوم الحياة » التي تتخذ من الجامعة مقراً لها ، و « جمعية الآثار » .. وغيرها .

العطار .. يتبرع بمكتبته

تبرع العالم والمفكر السعودي المعروف الذي حصل على جائزة الدولة التقديرية الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار . بمكتبته التي تحتوي على خمسة وعشرين ألف مجلد لمكتبة الحرم المكي الشريف . وذلك بهدف إتاحة الفرصة لطلاب العلم للوقوف عليها ، ولتكون مجالاً خصباً للبحث والدرس ، وتضاف لما تقوم به مكتبة الحرم المكي في خدمة العلم وطلابه ، خاصة أن مكتبة العطار تحوي بين ثناياها العديد من المراجع القيمة والمهمة التي كانت حصيلة عمره في تجميعها والاحتفاظ بها انطلاقاً من اهتمامات الأديب العطار الذي من الممكن أن نقول عنه أنه مفكر « موسوعية » ، فله عدة أبحاث أدبية وتاريخية ودينية ولغوية وشعرية ، وله سمعته الكبيرة في أوساط الفكر العربي والإسلامي .

هذا وسوف تخصص لهذه المكتبة قاعة خاصة في خلفية الحرم .

معرض للكتاب

نظم **نادي أبها الأدبي** معرضاً للكتاب والشريط الإسلامي بمدينة خميس



★ عبد الله باشراحيل ★ ★ د. فواز طوقان ★ ★ عبد العزيز الصقعبي ★ ★ د. شوقي ضيف ★

مشيط وذلك خلال شهر شوال ١٤٠٨ هـ بمشاركة العديد من دور النشر المحلية والمكتبات ، حيث تم فيه عرض العديد من الكتب التي تحوي موضوعات تراثية ، وموضوعات معاصرة .

ويعد نادي أبها الأدبي من أندية المملكة المعروف بتعدد نشاطاته التي أهلته للمركز الأول بين الأندية لعدة سنوات .

كتب جديدة

• « مشاعر عبد الله » ، ديوان شعر لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل بن عبد العزيز ، سيصدر قريباً في جدة .

• « ماذا في الحجاز ؟ » ، تأليف الأستاذ أحمد محمد جمال ، صدر في طبعته الثانية عن دار الثقافة للطباعة بمكة المكرمة .

• « الخوف » ، ديوان شعر صدر للشاعر عبد الله محمد باشراحيل في جدة .

• « رائحة الفحم » ، رواية للقاص عبد العزيز الصقعبي ، صدرت في الطائف .

• « تاريخ النظم والحضارة الإسلامية » ، تأليف الدكتورة فتحية النبراوي ، صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة .

• « غيوم الخريف » ، رواية للقاص والروائي الرائد الأستاذ ابراهيم الناصر ، صدرت عن نادي القصة السعودي .

مصر :

الدكتور ضيف أميناً عاماً للمجمع

تم انتخاب الأستاذ الدكتور شوقي ضيف أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وذلك في جلسة حضرها رئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور ، والشيخ محمد متولي الشعراوي ، ومهدي علام ، والشيخ الطيب النجار .

والدكتور ضيف ، أستاذ أكاديمي ، وله باع طويل في خدمة اللغة والأدب ، إذ قام بتأليف العديد من الكتب في التاريخ الأدبي والدراسات اللغوية العربية والبلاغية وكتب التراجم ، والكتب المحققة .. وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي .

وقد أختير عضواً بالمجمع منذ عام ١٩٧٦ م ، وظل يعمل به ، حتى تم انتخابه أميناً عاماً له .

فتحي سعيد والجائزة الذهبية

حصل الشاعر المصري فتحي سعيد على الجائزة الذهبية لمهرجان شعراء

كلمة

موقف القرآن من العلم

لقد رفع القرآن شأن العلم ، ونوّه به في أول مانزل به الوحي الكريم على محمد ﷺ في الغار حيث بدأ لقاءه معه بقوله ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾[١]

ويؤكد هذه العناية ويحوطها بالجلال والتقدير بأن يُقسم الله تعالى بالقلم وما يكتب ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾[٢] ، فهذا القسم من الله سبحانه تنويه كبير بفضل العلم ، وتوجيه واضح إلى مكانته التي أظهرها ، ورفع قدرها بقوله : ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[٣] ، وقوله ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[٤] .

ووضع الرسول مكانة العلم في القمّة حين دخل المسجد فوجد حلقتين إحداهما تذكر الله ، والأخرى تتذاكر بالعلم فجلس إلى أهل العلم وقال : « **إنما بعثت معلماً** »[٥] ، وقد مجّد رسول الله العلم وأحاطه بجوّ من التكريم ، والتقدير الذي يحثّ على التعلم ، والأخذ بأسبابه حين وضع العلماء في الدرجة الرفيعة ، والمكانة السامية فقال : « وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[٦] .

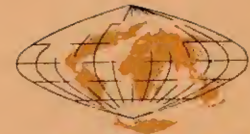
وأرشد النبي ﷺ إلى التكافل في العلم والمعرفة والإرشاد والتوجيه ، ونبّه المسلمين إلى ضرورة التعاون في هذا المضمار ، وإلى أن العلماء مسؤولون عن تثقيف الشعب وتنوير العقول ، وإلى أن الجهلاء ملزمون بالتلقي عن العلماء وبالتعرُّف منهم على ما يُقوّم حياتهم ، ويفيدهم في دنياهم ودينهم .

فالعلم حق مشترك بين الناس يتعاونون في التعرّف عليه ، والتزوّد به ، ويأخذه بعضهم عن بعض ، والعالم يلزمه أن يعلّم غيره ، ولا يبخل بما عنده وإلا استحق من الله العذاب الأليم ، يقول ﷺ : « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »[٧] ، ومصداق ذلك من كتاب الله قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾[٨] ، هكذا ينظر الإسلام إلى كاتم العلم الذي يمنع وصوله إلى المستحقين من الطلاب والراغبين ، أو يمتنع عن إيصاله إليهم ولا يتعاون في نشره بين الناس لتنوير بصائرهم وتزويد عقولهم بمختلف أنواع العلوم ، والثقافات دون الوقوف عند مسائل العقائد والعبادات ونحوها ، فليس غريباً أن يصير التكافل الاجتماعي في العلم والمعرفة من المبادىء الضرورية لبناء المجتمع الإسلامي ، إذ أنه تشريع يخاطب العقل ، ويعتبره مناط التكليف والمسؤولية أمام الله والناس .

صفاء الدين محمد أحمد
مصر ـ محافظة الشرقية

الهــوامــش

(١) سورة العلق ، الآيات من (١ : ٥) .
(٢) سورة القلم ، الآية (١) .
(٣) سورة الزمر ، الآية (٩) .
(٤) سورة فاطر ، الآية (٢٨) .
(٥) الشمائل المحمدية للترمذي .
(٦) الحديث رواه البخاري وأبو داود والترمذي .
(٧) الحديث رواه أبو داود والترمذي والحاكم .
(٨) سورة البقرة ، الآية (١٥٩) .





★ فتحي سعيد ★ ★ صفوت الشريف ★ ★ بنت الشاطئ ★ ★ محمد حسنين هيكل ★ ★ يحيى حقي ★ ★ الطيب صالح ★

البحر المتوسط الذي أقيم في **إيطاليا** ، وذلك عن قصيدة من قصائده الشعرية التي رشحت لهذا المهرجان الذي أقيم عن « **سيادة حضارة أدب المتوسط** » .

الجدير بالذكر ، أنه قد تقدم لهذا المهرجان أكثر من مائة شاعر ، وسوف يتسلم جائزته في المهرجان القادم .

مجلة شعرية جديدة

ستنضم مع المجلات الفصلية ، مجلة فصلية قادمة تختص بنشر القصائد والدراسات المتعلقة بالشعر ، حيث من المنتظر أن يصدر عددها الأول في هذا الشهر (يوليه) .

الجدير بالذكر أن اسم المجلة (**أشعار**) ، ويرأس تحريرها الشاعر المصري المعروف **أحمد عبد المعطي حجازي** .

جائزة عالمية لعالم مصري

حصل العالم المصري الدكتور سعد حسن أستاذ الكيمياء التحليلية بكلية علوم جامعة عين شمس بالقاهرة على جائزة أفضل عالم كيمياء في العالم الثالث لعام ١٩٨٦ م التي تمنحها أكاديميتا العلوم الإيطالية والكندية . ويذكر أن عدد المرشحين لهذه الجائزة بلغ خمسمائة عالم ، وبلغت قيمتها عشرة آلاف دولار ، بالإضافة لشهادة تقدير قدمت للعالم المصري في حفل نظم لهذا الغرض في **مدينة بكين الصينية** .

فلسطين :

كتب جديدة

- « **الصحافة الفلسطينية .. وقوانين الانتداب البريطاني** » ، صدر عن **الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين** .
- « **الصحافة الفلسطينية تحت الاحتلال** » ، بقلم **عدنان إدريس** ، صدر عن **رابطة الصحافيين العرب ، القدس** .
- « **دراسات أدبية** » ، بقلم **جمال بنورة** ، صدر عن **دار الأسوار في عكا** .

قطر :

مهرجان ثقافي

سيقيم نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي بالدوحة سلسلة محاضرات وندوات طوال موسمه الثقافي الذي سيبدأ من أول أكتوبر القادم ، ويستمر لمدة ستة أشهر ، ويشارك فيه العديد من الكتاب والمفكرين والشعراء المحليين والخليجيين والعرب ومنهم الكاتب **محمد حسنين هيكل** الذي سيتحدث عن (**الأوضاع العربية الراهنة**) ، و**إبراهيم نافع** رئيس تحرير الأهرام القاهرية الذي سيتحدث عن (**الصحافة العربية المعاصرة**) ، و**الأستاذ صفوت الشريف وزير الإعلام** الذي سيتحدث عن(**الإعلام في عالمنا المعاصر**) ، كما سيشارك في هذا المهرجان **الدكتورة بنت الشاطئ** ، (**عائشة عبد الرحمن**) ، **ويحيى حقي** ، **والدكتور شوقي ضيف** ، **والطيب صالح الروائي السوداني** ، **وفهمي هويدي** ، **والشاعر فاروق جويدة** .

سيشارك أيضاً في هذا المهرجان الثقافي عدد من المستشرقين أمثال « البرتو مورافيا » و« جاك بيرك » ، وغيرهما .

العراق :

مجلة جديدة للكتاب

- **تعتزم دائرة الشؤون الثقافية في بغداد إصدار مجلة جديدة تهتم بشؤون الكتاب ونشره والتعريف به** .

المجلة اختير لها اسم « **آفاق الكتاب** » ، ويرأس تحريرها القاص **عائد خصباك** ، وتضم هيئة التحرير نخبة من الكتّاب والأدباء .

العدد الأول من المجلة الوليدة ينتظر صدوره قريباً ، ويتوقع أن تكون المجلة جسراً بين القارئ والمهتمين بالكتاب ومشكلاته وشؤونه وشجونه .

ومجلة « الفيصل » يسعدها أن ترحب بهذه المجلة رافداً جديداً في حياتنا الثقافية العربية ، وتتمنى لها النجاح والاستمرار .

سورية :

كتب جديدة

- « **حافظ الأسد .. وقضية فلسطين** » ، تأليف **الدكتور جورج جبور** ، صدر عن **دار المعرفة في دمشق** .

الجزائر :

صدور مجلة جديدة

« **الإبداع** » ، **مجلة جديدة صدر عددها الأول خلال شهر أبريل الماضي عن**



★ إبراهيم نافع ★ ★ فهمي هويدي ★ ★ د. عبد الرحمن بدوي ★ ★ د. زكي نجيب محمود ★

دار **الثقافة لمدينة تلمسان الجزائرية** . وخصّص هذا العدد برمّته **لقضية الشعب الفلسطيني** حيث ضمّ مجموعة من الدراسات والقصص والقصائد الشعرية لكتاب كبار من بينهم **عز الدين المناصرة ، ومحمود درويش ، وحسين أبو شنب ، ومحمد عابد الجابري** .

وحدة الأمة الإسلامية

عنوان الموضوع الذي تقرر أن تتمحور حوله فعاليات **ملتقى الفكر الإسلامي** في هذا الشهر أغسطس/آب **بمدينة تيبازا الجزائرية** . ومن المعروف أن ملتقى الفكر الإسلامي الذي ينظم سنوياً في الجزائر يعد من أهم الملتقيات الإسلامية الدوريّة حيث يشارك فيه عادة كبار رجالات الفكر الإسلامي عبر العالم .

الكويت

كتب جديدة

- **« سيكولوجية اللعب » ، تأليف د . سوزانا ميلر ، ترجمة د . حسن عيسى ، مراجعة د . محمد عماد الدين إسماعيل ، صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة .**
- **« تغيير العالم »** ، تأليف **الدكتور أنور عبد الملك** ، صدر ضمن سلسلة **« عالم المعرفة »** التي تصدر عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب** .
- **« المسرح العربي بين النقل والتأصيل »** ، صدر في الكويت عن سلسلة **« كتاب العربي » رقم (١٨) تأليف عدد من الدارسين والباحثين** .

لبنان

موسوعة الحضارة العربية الاسلامية

صدرت في بيروت ثلاثة مجلدات تحت عنوان « موسوعة الحضارة العربية الإسلامية » ، وذلك عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان** » . من المشاركين في تأليف هذه الموسوعة نخبة من الكتاب والباحثين العرب ، ومن أبحاثها : الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية **للدكتور عبد الرحمن بدوي** ، والكيمياء .. والصيدلة عند العرب ، **للدكتور فاضل أحمد الطائي** .

كتب جديدة

- **« جذور القوة الإسلامية ـ قراءة نقدية لتاريخ الدعوة الإسلامية »** ، تأليف **الدكتور عبد الهادي عبد الرحمن** ، صدر عن **دار الطليعة** .

محاضرات

- **« اغتنم خمساً قبل خمس » ، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الرحيم الهاشم بالدمام .**
- **« أسلوب الدعوة في العصر الحديث » ، محاضرة ألقاها الشيخ محمد قطب بنادي جدة الأدبي .**
- **« ذكر الله .. تعريفه وفضله وشروطه وأنواعه » ، محاضرة ألقاها الشيخ أسامة الكوهجي في الدمام .**
- **« نوميديا : الدولة الجزائرية ، أصولها ونظامها » ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد البشير شينتي بمدينة الجزائر .**
- **« تاريخ منطقة سطيف » ، محاضرة ألقاها الأستاذ المهداوي بمدينة الجزائر .**
- **« التطور العمراني في منطقة سطيف » ، محاضرة ألقاها الأستاذ وارث بمدينة الجزائر .**
- **« الأدب الأسباني » ، محاضرة ألقيت في المنامة بالبحرين ألقاها الدكتور سليمان العطار .**

- **« في تحديث الثقافة العربية »** ، تأليف **الدكتور زكي نجيب محمود** ، صدر عن **دار الشروق في بيروت** .

الأردن

كتب جديدة

- **« القلب الخداع » ، مجموعة شعرية للشاعرة عائشة الخواجا** ، صدر عن **دار القدس بعمّان** .
- **« الاستعمال الصهيوني للأرض الفلسطينية .. قصة الصهيونية والأرض والمقاومة العربية »** ، تأليف **الدكتور فواز أحمد طوقان** ، صدر عن **دار كتابكم في عمّان** .
- **« الحافلة رقم ٣٠٠ وفضيحة أشين بيت »** ، تأليف أحمد بركات ، دار الجليل بعمّان .

البحرين

كتب جديدة

- **« جامعة الخليج العربي .. تاريخ ومسيرة وإنجاز » ، دليل** صدر عن **مركز الجامعة في المنامة بالبحرين** .

المغرب

كتب جديدة

- **« فراشات سوداء » ، مجموعة شعرية تأليف عبد الله زريقة** ، صدرت عن **دار توبقال المغربية** .



في العالم

فرنسا

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون
قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون

القرآن عربي اللسان

لا سبيل إلى تبديله بحروف أخرى أعجمية
ومن اعتدى فإنما يعتدي على نفسه

بمناسبة انعقاد الندوة العالمية الأولى لمقاومة تحريف القرآن الكريم بكتابته بالحروف اللاتينية أو بغيرها من الحروف الأعجمية التي أقامها مركز التربية الإسلامية في باريس يوم السبت ١٩ شوال ١٤٠٨هـ الموافق ٤/٦/٨٨ تحت شعار:
لا إسلام بلا قرآن، ولا قرآن بغير اللغة العربية

★ مركز التربية الإسلامية في باريس ★

معرض عن الحرمين الشريفين

نظم معهد العالم العربي في باريس تحت رعاية سفارة المملكة العربية السعودي في فرنسا خلال شهر يونيو ١٩٨٨ م ، معرضاً تحت عنوان « معرض الحرمين الشريفين » .

ضم المعرض مجسمات ولوحات عن الحرمين ، والأماكن المقدسة ، ومرافق الحج ، والخدمات المهيأة لحجاج بيت الله الحرام ، إلى جانب بعض المخطوطات المتعلقة بموضوع المعرض .. وقد أعلن أن هذا المعرض سوف يستمر لمدة ثلاثة أشهر لإتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من الزوار الفرنسيين وغير الفرنسيين .

مقاومة تحريف القرآن

أقام **مركز التربية الإسلامية بليل سان دني في باريس** ندوته العالمية الأولى حول قضية « **مقاومة تحريف القرآن بكتابته بالحروف اللاتينية أو بغيرها من الحروف الأعجمية** » وذلك يوم السبت ١٩ شوال ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ يونيو ١٩٨٨ م . حضرها عدد من المهتمين بشؤون الإسلام وقضاياه من **المملكة العربية السعودية ، وسورية ، ولبنان وتركيا ، والسودان ، والأردن ، وجزر القمر ، وبلجيكا ، والدانمارك ، وبريطانيا ، وفرنسا ..** وغيرها من البلدان .

وقد مثّل **رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة** الأمين العام المساعد لشؤون المساجد **الشيخ عبد الله بن عقيل بن سليمان العقيل** .. كما مثّل **مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة** كل من **الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي** إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف ، وعضو هيئة التدريس بالجامعة ، وعضو الهيئة الاستشارية العليا بالمجمع .. ومثّل **وزارة الحج والأوقاف بالمملكة الشيخ سعيد عبد العزيز الجندول** مستشار وزير الحج والأوقاف للشؤون الإسلامية ، والمشرف العام على المجمع .. ومثّل **رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد** مندوبها في بلجيكا **الشيخ محمود مجاهد محمد حسن** .. **ومشيخة كبار القراء في دمشق** ، كما مثّل **إدارة جامع بني أمية الشيخ عبد الرزاق الحلبي** .. ومثّل **المركز الإسلامي الأفريقي بالسودان الدكتور عبد الرحيم علي محمد** نائب مدير المركز .. كما مثّل **تركيا عن مركز البحوث الإسلامية ونشرها الشيخ لطفي دوغان** رئيس الشؤون الدينية في مدينة أنقرة سابقا .. ومثّل **جزر القمر الشيخ محمد عبد الرحمن** مفتي جزر القمر سابقاً وعضو مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة .. ومثّل **الجامعة العامة لمسلمي فرنسا الشيخ محمد أيوب** .. كما مثّل **جمعية القرآن في لندن الشيخ شريف أحمد حافظ** .. ومثّل **بلجيكا الشيخ عبد الله محمد الأهدل** إمام ومدير المركز الإسلامي في بلجيكا .. كما مثّل **فرنسا الشيخ أنيس عبد الرحمن** مندوباً عن **اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا** .. إلى جانب **الشيخ صالح علي العود أمين عام مركز التربية الإسلامية في فرنسا** ، وهذا المركز هو الجهة المنظمة والداعية لهذه الندوة المهمة .

وقد ألقى أمين عام المركز كلمة عن أهداف الندوة والأسباب الداعية لاقامتها ، تبعتها كلمات الوفود المشاركة .. وكانت هذه الكلمات تندد وتستنكر المحاولات التي تستهدف النيل من كتاب الله عز وجل .. وفي نهاية الندوة أعلن المشتركون في الندوة القرارات والتوصيات التالية :

١ ـ **أيّد المجتمعون في الندوة ما صدر من فتاوى شرعية بتحريم ومنع كتابة القرآن ـ كله أو بعضه ـ بأحرف غير عربية** .. واستنكروا كتابة القرآن الكريم أو بعضه بأحرف غير عربية ، واتفقوا على تحريم ذلك لما فيه من المخاطر الجسيمة .. كما وافقوا على ما صدر عن الهيئات العلمية والفقهية التي تحرم وتمنع كتابة القرآن العظيم أو بعضه بحروف غير عربية .

٢ ـ **رصد وجمع كل ما ينشر مما فيه تحريف أو إساءة للقرآن الكريم** والتصدي له ومحاربته ، وتبصير المسلمين بأضراره .

٣ ـ **التنبيه على العلماء والدعاة وأئمة المساجد للوقوف بحزم أمام هذه المحاولات الخطيرة لمنع انتشارها ، والقضاء عليها في مهدها .**

٤ ـ **الاستفادة من الترجمات التفسيرية للقرآن الكريم ، مع شدة الحذر من التوسع فيها** إلا بمقدار ما تمليه الضرورة ، وأن تكون كل ترجمة بهذا النص « **ترجمة تفسير القرآن الكريم** » بدلاً من كلمة « **ترجمة معاني القرآن الكريم** » لأن المعاني القرآنية لا تفي بها أية لغة أجنبية ـ غير عربية ـ .

٥ ـ **دعوة المؤسسات الإسلامية في المملكة العربية السعودية لاختيار تفسير مناسب للقرآن الكريم يكون مادة للترجمات المعتمدة .**

٦ ـ **الاهتمام بتعليم القرآن الكريم ونشره بين الصغار والكبار في المساجد والمدارس .**

٧ ـ **الاهتمام بنشر اللغة العربية وتعليمها لأبناء المسلمين في المساجد** والمدارس ، لاسيما في بلاد المهجر .

٨ ـ **مطالبة الهيئات والمؤسسات العلمية والفقهية العالمية بالدفاع عن كتاب الله الكريم ضد محاولات الأعداء .**

٩ ـ **تحذير المطابع والمكتبات ودور النشر من طباعة أو نشر أي مطبوعات فيها إساءة لكلام الله عز وجل** ، ومقاطعتها عند إصرارها .

١٠ ـ **التوصية بتكوين لجنة متخصصة لفحص الترجمات القائمة ، وإجازة الترجمات المستقبلة ، وأن يكون مقرها في المملكة العربية السعودية .**



★ د. جميل علوش ★ ★ هارون هاشم رشيد ★

وفاة كاتب كونغولي

توفي في باريس في أواخر شهر أبريل/نيسان الماضي الكاتب الكونغولي **« تشيكايا أوتسامي »** اثر سكتة قلبية عن ٥٧ سنة . وقد ولد أوتسامي عام ١٩٣١ م بالكونغو ، ويعد من كبار الكتاب الأفريقيين باللغة الفرنسية . وبدأ رحلته الإبداعية بمجموعة شعرية عنوانها **(الدم الرديء)** ، كما قام بكتابة **عدة مسرحيات** ثم عكف على كتابة القصص التي كانت من أشهرها ثلاثية بعنوان **(هذه الفواكه اللذيذة لشجرة الصنوبر)** ذات الاتجاه السياسي الملتزم والتي ظهر جزؤها الأخير عام ١٩٨٧ م . عمل أوتسامي لعدة سنوات في مقر **منظمة اليونيسكو في باريس** ليحال على التقاعد قبل وفاته . وكان قد **حصل على عدة جوائز عالمية** .

الباكستان :

عظمة القرآن

عقد في العاصمة الباكستانية مؤتمر إسلامي حول « عظمة القرآن » ، وذلك خلال شهر شوال ١٤٠٨ هـ الماضي بحضور العديد من العلماء المسلمين في العالم .

نوقشت في هذا المؤتمر عدة موضوعات أساسية ومهمة بالنسبة للإسلام ، وهي موضوعات تنطلق من أحكام القرآن الكريم ، وتعتمد عليه أساساً ليكون حكمها عادلاً ، ولتستقي قوتها من قوة القرآن العظيم .

بريطانيا :

الفائزون بجوائز القسم العربي

فاز الشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد بالجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي أجراها القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائه .

كما فاز بالجائزة الثانية الشاعر الأردني **الدكتور جميل علوش** ، أما الثالثة ، فقد فاز بها الشاعر المصري الطبيب **محمد عطية مزروع** .

هولندا :

ترجمة أعمال مغربية

باتفاق مع اتحاد كتاب المغرب العربي ، ومساهمة **دار الكتب العربية (الهجرة)** ، أصدرت **دار النشر (ديبالي ـ سيمون فرانك) بامستردام** في أوائل هذا العام الميلادي كتاباً يضم مختارات قصصية وشعرية لكتاب وشعراء من المغرب ، حيث ترجمت هذه الأعمال إلى اللغة الهولندية .

وقد جاء هذا الاتفاق بين اتحاد الكتاب المغاربة والدار العربية بهدف التعريف بالأدب المغربي الحديث لدى غير العرب ، خاصة الناطقين بلغة غير واسعة الانتشار .

رسائل جامعية

•• « **سياسة فرنسا العربية من خلال صحافة لبنان ١٩٥٤ - ١٩٦٧ م** » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في **جامعة الكسليك بلبنان** ، تقدم بها السيد **أميل معكرون من الجامعة اللبنانية** .

•• « **عبد القدوس الأنصاري .. حياته وأدبه** » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، تقدم بها **السيد نبيل المحيش** .

•• « **القدرات الإبداعية لدى الإناث .. وعلاقتها بالذكاء والتحصيل الدراسي والأداء الفني** » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بكلية التربية ، بجامعة الملك سعود بالرياض** ، تقدمت بها **السيدة نورة إبراهيم السليمان** .

•• « **أثر الخلافات اللغوية في اختلاف الفقهاء** » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في **دار الحديث الحسنية في الرباط بالمغرب** ، تقدم بها **السيد عاطف شكري** .

•• « **موقف الدولة المغربية من احتلال فرنسا للجزائر ما بين ١٨٣٠ - ١٩٤٧ م** » ، موضوع **دبلوم دراسات عليا** ، نوقش **بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط بالمغرب** ، تقدم به **السيد إبراهيم ياسين** .

إسبانيا :

ملتقى ثقافي دولي

سيعقد في مدريد ملتقى ثقافي دولي وذلك بدعوة من المعهد الأسباني العربي للثقافة ، حيث سيحضره العديد من **المهتمين بالثقافة العربية والأسبانية** ، وستلقى فيه العديد من المحاضرات والندوات الفكرية .

أمريكا :

أحدث الكتب

• « **قبل اللهيب** » ، **بحث عن تاريخ العرب الأمريكيين** ، بقلم **جريجوري أورفاليا** ، صدر ضمن **منشورات جامعة تكساس** .

• « **حرب الخليج** » ، تأليف **الدكتور مجيد خدوري** ، صدر عن **جامعة أكسفورد** .

روسيا :

أحدث الكتب

• « **إسرائيل .. وجمهورية جنوب أفريقية ... أهداف وأشكال التعاون** » ، بقلم **سفيتلانا غاسراتيان** ، صدر عن **دار ناؤولا بموسكو** .

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً
ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً
د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي)
هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي : (المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) . مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .



●● مسابقة مجلة الفيصل ●●

●● السؤال الأول :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوع العلوم ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات .

●● السؤال الثاني :

عرف العرب المسلمون فن « الجفرة » ، أو « الشفرة » .. أي الكتابات السرية قبل أن يعرفها الأفرنج .. في أي عهد من العهود العربية الإسلامية بدأ استعمال هذا الفن ؟



●● السؤال الثالث :

هذه الصورة لبوابة « دارة الملك عبد العزيز للوثائق والمخطوطات والبحوث والدراسات » في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية .. متى انشئت هذه الدارة ؟

●● السؤال الرابع :

اذكر اسم العالم العربي المسلم الذي يعد أول من عني بوضع أطلس للبلاد الإسلامية ؟

●● السؤال الخامس :

في أي عام أنشئت جامعة الدول العربية ؟



•• أجوبة مسابقة العدد (١٣١) ••

ج (١) **العالمان اللذان كرمتهما جائزة الملك فيصل العالمية :**

★ الألماني : الدكتور جيردبينج في حقل العلوم وذلك في عام ١٤٠٤هـ .

★ السويسري : الدكتور هنري دوهرر في حقل العلوم وذلك في عام ١٤٠٤هـ .

ج (٢) **أسماء مؤلفي الكتب التالية هم :**

★ الارتسامات اللطاف : **شكيب أرسلان** .

★ التلخيص في علوم البلاغة : **جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب** .

★ تاج العروس من جواهر القاموس : **محمد مرتضى الزبيدي** .

ج (٣) نظراً للالتباس الذي حدث في قسم « المونتاج » فقد نشرت لوحة سلفادور دالي ، بينما المقصود من مضمون السؤال الفنان « فرانشيسكو جوزيه دي جويا » المعروف بجويا .. وكلاهما من أسبانيا .. لهذا الالتباس ألغت لجنة فرز وتصحيح أجوبة هذا السؤال ، ولم تدرجه ضمن المسابقة مكتفية بالأربعة الأسئلة الأخرى .. وعلى هذا الأساس تمت إعداد النتيجة .

ج (٤) عدد **الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية** ثمانية وهي في كل من **مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، الرياض ، الطائف ، جازان ، القصيم ، أبها ، جدة** .

ج (٥) **مرض التريكتيلا Trectela** « أحدث مرض في طابور الأمراض التي تنتج عن الطعام والشراب ، وهو يهاجم كل عضلات الجسم ويسبب آلاماً شديدة ، ولا يموت إلا بالغليان لدرجة كبيرة ، أو بالتجميد تحت الصفر ، وهذا المرض يصيب بعض الحيوانات على وجه الخصوص (**الفئران والخنازير**) التي تتغذى على القمامة ، وهو عبارة عن دودة صغيرة لا ترى بالعين المجردة وعندما يصل الطفيل إلى الخنزير يتكاثر بأعداد كبيرة ويستقر في العضلات وعندما يأكل الإنسان لحمها نصف نيء تدخل اليرقات لجهازه الهضمي وتمر للعضلات وتسبب الأعراض المذكورة . أما **اكتشاف المرض** فقد بدأ في سنة ١٩٥٣م في **مدينة ليفربول** بإنجلترا .

•• نتيجة مسابقة العدد (١٣١) ••

★ فازت **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٧٥٠) **سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً** ، **الأخت نهاد محمد أحمد** ، **العراق** ، **أربيل** .

★ وفازت **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (٥٠٠) **خمسمائة ريال سعودي** ، الأخت **أفراح عبيلان الدجيني** القصيم ، عنيزة ـ **المملكة العربية السعودية** .

★ وفازت **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (٣٥٠) **ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً** ، الأخت **جمانة محمد زارع سورية** ، دمشق ، جامعة دمشق .

★ ★ **وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :**

★ من **تونس** ـ 9 نهج 10093-2053 تونس العاصمة ، الأخ **صالح بن الشريف بن علي** .

★ من **المغرب** ـ الدار البيضاء ، الأخت **خديجة إمحمد امريدوش** .

★ من **السودان** ـ بورسودان ، ص . ب . (١٦٠) بواسطة جعفر عبد الله علي ، الأخ **عبد الحفيظ عبد الله علي** .

★ من **مصر** ـ الزقازيق ، الأخت **سماح دياب محمد محمد دياب** .

★ من **اليمن** ـ تعز ، ص . ب . (٦٧٦٨) الأخ **علي محمد العبالي** .

★ من **الأردن** ـ ، الأخت **محاسن خضر محمود جراد** .

★ من **مصر** ـ القاهرة ، (٣٤٤) شارع بورسعيد ، ميدان باب الخلق ، الأخ **صلاح الدين حسن حسين** .

★ ★ **بالإضافة إلى عشر جوائز ، قيمة كل منها إشتراك مجاني ، لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة (الفيصل) ، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:**

★ من **سورية** ـ دمشق ، جامعة دمشق ، كلية الشريعة ، الأخ **مأمون عبد الحافظ خليل** .

★ من **الإمارات العربية المتحدة** ، دبي ، الأخت **شريفة عبد الرحيم أحمد** .

★ من **الكويت** ـ مدرسة اليرموك المتوسطة للبنين ، ص . ب . (١٩٠٢٨) الأخ **غسان زهير الرمحي** .

★ من **البحرين** ـ المنامة ، الأخت **أمينة عبد الله إبراهيم** .

★ من **المغرب** ـ الدار البيضاء ، درب البلدية زنقة (76) رقم (9) حي سيدي عثمان ، الأخ **المكي الناصري حسن** .

★ من **الأردن** ـ عمان ، الأخت **خولة نبيل محمد أبو شاور** .

★ من **السودان** ـ الخرطوم ، كلية الزراعة ، شمبات ، ص . ب . (٣٢) ، الأخ **أبو جبر علي بنًا** .

★ من **العراق** ـ بغداد ، الأخت **حمدية عبد الله عباس** .

★ من **اليمن** ـ ذمار ، ص . ب . (٨٧٠٠١) ، الأخ **محمد صالح محمد العستوت** .

★ من **المملكة العربية السعودية** ـ ينبع البحر ، ص . ب . (١٠٥٥) بواسطة محمد بن بدين القائدي ، الأخ **علي بدين بادي القائدي** .

ردود قصيرة

• الأخ (علي حميد السامرائي) ـ العراق ـ قضاء سامراء :

نشكر لك مشاعرك النبيلة نحو المجلة والعاملين عليها .. ونسأل الله أن يوفقنا لما يفيد القارئ ، ويثري عقله ووجدانه .. ومادمت من المتابعين للمجلة فمن الأفضل تجليدها إذا أردت الاحتفاظ بها ، لأن شراءها كاملة مجلدة سوف يكلفك مبلغاً قد لا يكون زهيداً في رأيك .. لأن المجلدات يجب أن تشتري كاملة ، وهي لا توزع بدون مقابل .. مع تقديرنا وشكرنا لك .

• الأخ (بن إبراهيم مسعود) ـ ولاية ورقلة ـ الجزائر :

نشكر لك رسالتك .. وقيمة الاشتراك السنوي في المجلة يرد في كل عدد من المجلة على صفحة (٣) وهي ١٥٠ ريال سعودي للأفراد ، و٢٥٠ ريال سعودي لغير الأفراد .

• الأخ (حربيان صالح الجهني) ـ جدة ـ السعودية :

شكراً لك على متابعتك أعداد المجلة .. ونحن نرحب بكل الموضوعات الجيدة الجديدة الخاصة بالمجلة التي لم يسبق نشرها .. وأن تكون في مستوى المجلة .. وأهلاً بك .. مع تحياتنا .

• الأخ (محمد أحمد دفع الله) ـ أم درمان ـ السودان :

نشكر لك مشاعرك الكريمة نحو المجلة .. ونحب أن نؤكد لك أن سعر المجلة في السودان ليس مرتفعاً كما تتصور قياساً إلى كثير من الاعتبارات التي لا تخفى عنك .. وقيمة الاشتراك في المجلة يكلفك أكثر من شرائها من السوق في السودان .. وتستطيع أن تقارن سعرها في السودان بقيمة الاشتراك أو بسعرها في غير السودان بعملية حسابية بسيطة توضح لك أن سعرها في السودان منخفض جداً .

• الأخت (عزة السيد فتح الباب) ـ مركز المنصورة ـ بدواي ـ مصر :

شكراً لمشاعرك الطيبة نحو المجلة .. واختفاء باب الردود على رسائل القراء لا يعني إهمالها .. ويرجع السبب أن بعض الرسائل لا تحتوي على أمور تستحق الرد ، وبعضها يرد عليها بالبريد ، والبعض لا تعدو عن كونها تكراراً لأمور سبق أن ردت المجلة على رسائل مماثلة لها .. ونؤكد لك أننا نعير رسائل القراء اهتمامنا الخاص ، لأن المجلة تتوجه إلى القارئ ، وتحرص على تقديم ما ينفعه ، كما تحرص على كل رسالة ذات محتوى يستحق الرد .

أما أسئلة المسابقة فنحن نحرص على أن تكون من أعداد سنوات غير بعيدة .. بحيث لا تتعدى عامين .. والأسئلة تؤخذ من كل موضوعات المجلة وأبوابها ولا تلتزم بموضوع معين أو باب ثابت .. ولكي يستطيع المشترك في المسابقة الإجابة عن كل الأسئلة أن يلم بموضوعات كل عدد .. وهي من السهولة بحيث لا تحتاج إلى جهد كبير .

أما عن الانتفاضة الفلسطينية فقد كتبت عنها المجلة في افتتاحية أحد أعدادها بعنوان « الطوفان الفلسطيني العربي » بقلم رئيس التحرير .. والمجلة ليست لنشر الأخبار التي تعنى بها الصحف اليومية .. لأنها مجلة ثقافية شهرية .

وإشارتك إلى عدم نشر قصائد لبعض الشعراء فهذا ليس تقصيراً من المجلة بقدر ما هو عزوف وانشغال بعض الشعراء أنفسهم .. ونحن لا نحرص على الأسماء .. وننشر القصائد الجيدة الهادفة التي تصل إلينا .

أما طلبك العدد (١٠٠) من المجلة فسوف نحرص على إرساله إليك إذا كان متوفراً .. ولك تحياتنا .

• الأخ (علي عبد الرحيم محمد خير) ـ عطبرة ـ السودان :

نشكر لك مشاعرك الكريمة نحو المجلة .. وطلبك العددين (١٢٩ و١٣١) سوف نرسلهما إليك إذا كانا متوفرين لدينا .. ولك تحياتنا وتقديرنا وشكرنا لحرصك على أعداد المجلة .

• الأخت (صليحة صيمر) ـ بسكرة ـ الجزائر :

المجلة ليست مجالاً لنشر أسماء القراء وأعمارهم وهواياتهم .. وقد كتبنا أكثر من مرة أن المجلة لا تحرص على نشر ما يسمى بـ « باب التعارف » الذي تهتم به مجلات عديدة .. ولكل مجلة منهاجها وسياستها .

• الأخت (عفاف إبراهيم عثمان) ـ السويس ـ مصر :

المجلة للثقافة فقط ، وليست للقضايا التي وردت في رسالتك .. نرجو قبول اعتذارنا وتحياتنا .

• الأخ (أحمد عبد الغني عشرة) ـ الاسكندرية ـ مصر :

مشاعرنا هي نفس مشاعرك .. نسأل الله أن يوفق العرب والمسلمين لما فيه الخير وتوحيد الصفوف لمواجهة كل التحديات الخارجية التي تريد السوء ببلادنا وأمتنا .. وماذلك على الله بعزيز .. ولك تحياتنا .

• الأخ (عبد الغني عبد الهادي) ـ عمان ـ الأردن :

أبواب المجلة يعدها كتاب مختصون .. ونحن نرحب بكل الأعمال الجيدة .. ونعتذر لك لعدم تزويدك بعناوين بعض الكتاب الذين وردت أسماؤهم في رسالتك لأن مثل هذه الأمور تعد من الخصوصيات .. وسنحاول أن نكتب لهم بمضمون رسالتك ليتولوا الرد عليك بأنفسهم .. ولك تحياتنا .

• الأخ (أحمد منير النصر) سورية :

نشرت المجلة استطلاعاً مصوراً عن جسر الملك فهد البحري . الذي يربط بين المملكة والبحرين في العدد (١١٩)

قال عليه الصلاة والسلام "مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة" رواه البخاري

